الخطابة الإسلامية
بين
الأصالة و المعاصرة

للدكتور

محمد سعد علي شعيب

أستاذ الدعوة و الثقافة الإسلامية المساعد

بكلية أصول الدين و الدعوة الإسلامية بطنطا

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي هدي عباده إلي القول الطيب ، والبيان الحسن والـــنطق القـــويم وامـــتدحهم بقـــوله ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُـــدُوا إِلَـــى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ .والصلاة والسلام علي سيدنا محمد أقـــدر الـــناس علـــي البيان ، وأفصح الخلق في الكلام الذي أتاه الله جوامع الكلم وعلي آله وأصحابه والمهتدين بهديه إلي يوم الدين .

وبعد .

فإن الخطابة الإسلامية قادرة علي شحذ الهمم لنقل المدعو من الجانــب النظري إلي الجانب التطبيقي ، والعودة بالأمة إلي الينابيع الأولـــي الصـــافية مـــن جميع الأكدار ، فربانية الإسلام و شموليته وواقعيـــته ، وعالميـــته ، وقيمه الخالدة ، المجردة عن حدود الزمان والمكـــان ، وعطائـــه الإنســـاني وتأكـــيده علـــي الأخوة الإيمانية والإنســـانية ، ووحـــدة الأصـــل البشري ، واعترافه بالآخر كل هذا يـــؤهل الخطابـــة الإســـلامية علي انتشال البشرية كلها من أزمتها الطاحنة .

إن الخطابـــة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم و هداياته وتشـــريعاته ، ومن سنة النبي (ﷺ) قادرة علي أن تجعل هذا الدين يـــزحف مـــن قلب إلي قلب ، ويثب من فكر إلي فكر ، وينتقل مع الزمان من جيل إلي جيل ، ومع المكان من قطر إلي قطر .

فالخطابة في الإسلام ، غيـــر الخطابة التي يري شبحها الآن

فينابيع الخطابة الصحيحة تتفجر من معاني القرآن وأغراضه فالقرآن الكريم هو الكتاب الهادي للأحياء ذو القدرة الفذة علي استثارة أفكارهم واستجاشة مشاعرهم والسمو بهم إلي ما يشاء ولهذا كان رسول الله(ﷺ) أحيانا يخطب بسورة " ق٠ وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيد " وكان عمر أحيانا يخطب بسورة النحل "أَتَىَ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلوه" أما الآن فربما لا يستشهد الخطيب بالقرآن نفسه ٠

إن الخطيب الذي يصلح للتحدث عن الإسلام هو الخطيب البصير بمعاني الكتاب الكريم ، البصير بسنة النبي (ﷺ) ، الخبير بالحياة ، وعللهـا ، المكين في فهم ما نزل علي رسول الله (ﷺ) ليأخذ من وحي الله ما يشفي علل الناس ويصلح بالهم ٠ بهذا تستطيع الخطابة الإسلامية أن تمتص بذور الإرهاب ، والاستبداد، والظلم الاجتماعي وأن تبلغ دعوة الله ، كما أرادها الله،﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1] وعلي بصيرة كاشفة كما قال سبحانه ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَيَ اللَّهِ عَلَيَ بَصِيرَةٍ أَنا وَمَنْ اتبَعَنَي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنا مِنَ الْمُشْرِكين ﴾ [2]

كما تعمل الخطابة الإسلامية أيضا علي استرداد خيرية الأمة التي كادت تنحسر ، بسبب انحسار الخطابة عن تحقيق التفاعل بين الخطيب والمخاطبين .

إن الخطيب القادر علي صياغة أساليب الترغيب والتحبيب قبل التنفير والترهيب ، المتمكن من تجسيد الكلمة الطيبة وتصويرها

---

(١) سورة يوسف أية٠ رقم :(١٠٨)

(٢) سورة النحل الآية ٠رقم (١٢٥)

حتـــى تصل إلى المستمع كأنها كائن حي فيتفاعل معها وتتفاعل معه الخطـيب المتبصـــر بالعـــواقب والمـــآلات وتحقيق عوامل الإثارة والاشـــتياق هـــو الخطـــيب الذي تسعد به الأمة في شرقها وغربها خاصـــة وأن أمتنا الإسلامية تشكلت من خلال الخطاب الإلهي الذي احتواه القرآن الكريم الذي سيظل إلى يوم القيامة خطاب عقيدة وعلم ووعي وفكر وثقافة لأنه يخاطب الإنسان بكل خصائصه ٠

إنه الخطاب الذي يأخذ بالاعتبار مستويات المخاطبين الدينية والثقافـــية ، وفـــروقهم الفردية ، الذي يراعي سنة التدرج والتبصر ويرســـم مشاهد من العبودية و الخوف والرجاء والندم ، والاستكبار والإحباط والنهوض ، مستعينا بأحوال الأمم السابقة ٠٠ هو الخطاب الذي تنتظره الأمة من خطبائها الأفذاذ ٠

هـــذا وقـــد حاولت قدر الجهد والطاقة أن تكون هذه الدراسة بأســـلوب سهل يتماشي مع مستوي طالب الخطابة المبتدئ فيرقي به إلـــي درجـــات الكمال ٠ وقد اقتضت طبيعة البحث الذي جاء تحت عنوان " الخطابة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة " أن أقسمه إلى مقدمة وتسعة فصول وخاتمة ٠

والله أســـال أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهة سبحانه ، وان يجعـــل فـــيه القبول في الدنيا والآخرة ٠ ولست أدعي السلامة من العيوب ولا الخلو من الهفوات ، ولا السلامة من الزلات ٠

فإن كنت قد أصبت فمن الله وحده التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ٠ وصل اللهم علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين ٠

أ ٠ د / محمد سعد علي شعيب

الفصـــل الأول

مصطلح الخطابة ودلالاته

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول

تعريف الخطابة في اللغة والاصطلاح

أولاً : تعريف الخطابة في اللغة :

الناظر في المعاجم اللغوية يجد أن مادة " خطب " تدور حول عدة مفاهيم من بينها . أنها تفيد : أحسن الكلام ، وأصدقه ، وأخلصه ، وأنقاه ؟ والكلمة الفاصلة ، والكلمة الصادقة ، والوعظ البعيد عن الهوى لتحقيق الصلاح والفلاح ، وإنقاذ من توجه إليه من التيه والضلال ، ومؤاجهة الناس بالكلام والتحدث إليهم . [1]

ففي المعجم الوجيز : " خطب الناس ، وفيهم ، وعليهم خطابة خطبة ألقى عليهم خطبة ... وخاطبه مخاطبة ، وخطاباً كالمه وحادثه . وخاطبه وجه إليه كلاماً . ويقال : خاطبه في الأمر حدثه بشأنه ... وتخاطبا : تكالما وتحادثا .

والخطاب : الكلام والرسالة. وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب وفي القرآن الكريم:﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ .

والخطاب المفتوح : خطاب يوجه إلى بعض أولى الأمر علانية والخطبة : من الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم . والخطبة من الكتاب صدره والجمع خطب .

والخطيب من يقوم بالخطابة في المسجد وغيره . والخطيب المتحدث عن القوم . والخطبة:طلب المرأة للزواج . الخطيبة :

المرأة المخطوبة [1]

ويقول صاحب المنجد في اللغة : " خطب خطبة وخطابة : وعظ ويقال خطب القوم وفي القوم . خطب خطابة : صار خطيبا [2] .

ويقول صاحب القاموس المحيط : خطب الخاطب على المنبر خطابة وخطبة وذلك الكلام خطبة أيضاً وهو الكلام المنثور السجع ونحوه ، ورجل خطيب حسن الخطبة . وفصل الخطاب الحكم بالبينة أو اليمين أو الفقه في القضاء ، أو النطق بأما بعد ، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده [3] .

ويقول صاحب أساس البلاغة : " خطب :خاطبه : أحسن الخطاب ، وهو المواجهة بالكلام .. ومن المجاز :فلان يخطب عمل كذا أي يطلبه . وقد أخطبك الصيد فارمه أي أكسبك وأمكنك وأخطبك الأمر وهو أمر مخطب ، ومعناه أطلبك من طلبت إليه حاجة . وما خطبك : ما شأنك الذي تخطبه ، ومنه هذا خطب يسير وخطب جليل وهو يقاس خطوب الدهر [4] .

وفي دائرة معارف القرن العشرين " الخطبة والخطابة والخطاب في اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام . والخطاب هو الكلام المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو مهيأ لفهمه .

والخطاب هو أعظم الآلات السياسية والدينية والعلمية ، فكأنه

(١) انظر المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية – مصر – ص : ٢٠٢ .
(٢) انظر المنجد في اللغة - ص ٣٠١
(٣) انظر : القاموس المحيط . جـ١ مادة خطب ص : ٣٢
(٤) انظر : أساس البلاغة الزمخشري جـ١ ص : ٢٣٩

سوط يساق به الناس إلى الأعمال وقيد يقيدون به [1] .

يتضح لنا من خلال هذا المعنى اللغوي لمادة خطب ما يلي :-

١- إنها تفيد مواجهة الناس بكلام مباشر بأدلة منطقية ، تقتضي منهم الإنصات لما يلقى إليهم .

٢- تفيد أيضاً الفصل في الأمر الجلل من خلال الكلام المحكم الذي ينهي المنازعة أو المساومة ، ويقبل كله بدون نقض ، أو الكلام الواضح المعاني البين الذي لا يشتبه بغيره لإقناع المخاطبين .

٣- يتضح من خلال المعنى اللغوي لمادة خطب أن الكلمة كائن حي مؤثر بها تفتح القلوب للتلقي والآذان للسماع والجوارح للعمل بها ، وكلما كانت الكلمة رقيقة كانت أبلغ وأفصح وأحسن .

٤- يتبين لنا أيضاً من المعنى اللغوي أنه ليس المهم توصيل الحقيقة إلى الناس ولكن الأهم هو الأسلوب والطريقة التي تصل بها ، فالخطبة نصيحة والنصيحة علاج مر فلابد أن يصحبه شئ من حلو الكلام كما قال يحيى بن معاذ :" أحسن شئ كلام رقيق ، يستخرج من بحر عميق ، على لسان رجل رفيق .

ثانياً : تعريف الخطابة في الاصطلاح

عرفت الخطابة عند العلماء بتعريفات كثيرة ومتعددة منها ما ليس جامعاً لكل أنواع الخطابة وجزيئاتها ، ومنها ما ليس مانعاً من دخول أشياء أخرى مثل الوصايا والدروس . والمناظرة والمجادلـــة

(١) انظر : محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين جـ٣ ص ٧٠٧ .

والمحاضرة . وهناك بعض التعريفات .

١- يقول أرسطو :" إن الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل " [١].

٢- ويقول ابن سينا :" إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر في أقسام المنطق ، لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق فإن أوقع التصديق يقيناً فهو البرهان . وإن أوقع ظناً أو محمولاً على الصدق فهو الخطابة .

أما الشعر فلا يوقع تصديقاً . لكنه لإفادة التخييل الجاري مجرى التصديق ، ومن حيث أنه يؤثر في النفس عد في الموصل إلى التصديق [٢].

٣- ويقول ابن رشد :" إن الخطابة قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة " [٣].

٤- وعرفها صاحب كتاب البلاغة والأدب بقوله :" إن الخطابة خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور " [٤].

٥- وعرفها الإمام أبو زهرة بقوله" هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف في فنون القول ، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم .

(١) انظر : الخطابة لأرسطو جـ١ ص : ٩٠ .
(٢) انظر : الخطابة لابن سينا ص ١٢ .
(٣) انظر : الإمام ابن رشد : تلخيص الخطابة : تحقيق عبد الرحمن بدوي ص ١٥ .
(٤) انظر : البلاغة والأدب : جـ٢ ص ٩١ .

فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه . وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه،ليزعن للحكم إذعاناً ويسلم به تسليما"[1]

٦- وعرفها الدكتور عبد الجليل شلبي بأنها :" فن مخاطبة الجمهور بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة [2].

٧ - وعرفها الدكتور أحمد غلوش بقوله :" الخطابة علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم " [3].

وبالنظر في هذه التعاريف نجد في كل منها نوعاً من القصور ، ذلك أن تعريفي أرسطو وابن رشد يدوران على قوة الإقناع في كل المسائل ، ومن المعلوم أن الإقناع يتأتى من أمور كثيرة غير الخطابة كالمقامة الممتازة . والكتاب العلمي المؤيد بالأدلة والبراهين ، والمحاضرة الدقيقة .

كل ذلك وغيره مقنع مع أنه ليس بخطبة . وأيضاً فإن قصر الخطابة على قوة الإقناع فقط يجعلها متجهة إلى العقل وحده بينما هي تتجه إلى العقل والعاطفة معاً .

وأيضاً فإن تعريفها بالقوة يقتضي قصرها على صناعة الخطابة التي هي فن التطبيق فقط وليس الأمر كذلك لأن الخطابة علم له قواعده وفن له تطبيقاته .

---

(١) انظر : الخطابة : الإمام محمد أبو زهرة ص ١٧ .

(٢) انظر : الخطابة وأعداء الخطيب .د / عبد الجليل شلبي ص ١٥ .

(٣) انظر : د / أحمد غلوش ، قواعد الخطابة ص ٩ .

وأما تعريف ابن سينا فهو غير جامع لأنه جعل المنطق يتجه إلى اليقين ، والخطابة تتجه إلى الأمية الظنية ، والشعر يتجه إلى ما يثير الخيال ويوجد التلذذ . وهذا كله غير صحيح لأن الخطابة كما تعتمد على الحقائق تعتمد على أقوى الأدلة يقيناً وأشدها ثباتاً وكما تعتمد على الحقائق تعتمد على الخيال ، وإن من أبلغ الخطب تلك التي تصب حقائقها في البراهين المنطقية ويجتمع فيها المعنى الدقيق مع الأسلوب الجميل .

إن الخطابة في الحقيقة تستمد قوتها من هذه العناصر الثلاثة ، التي تعد بحق ينابيعها الأساسية ، وقد يعمد الخطيب إلى واحدة منها تبعاً لمقتضى الحال ، وقد يجمع بين ثلاثتها ليحرك العقل ، ويقنع العاطفة ، ويثير الوجدان .

وأما تعريفات المحدثين فقد تلافت هذه المآخذ وضحت إلى الإقناع واستمالة الوجدان وإثارة النفس ، ولم تكثر المشافهة أو الخطاب على الأمور اليقينية أو الظنية أو الخيالية ، وإنما جعلتها شاملة لهذه الأمور الثلاثة . ومع ذلك فإنها قصرت الخطابة على فن التطبيق ، مع أنها علم له قواعده وموضوعه وهدفه .

ولهذا فإن التعريف الذي أراه أوضح وأدق ما عرفت به الخطابة هو – وذلك من وجهة النظر الخاصة – أن " الخطابة علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير في نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم

وإقناعهم واستمالتهم في أي أمر من الأمور الحياتية والدينية " .

وبإمعان النظر في التعريف الذي توصلنا إليه يتضح لنا أن الخطابة الإسلامية تبنى على عدة أسس في غاية الأهمية نتناولها في المبحث القادم

المبحث الثاني :

بيان الأسس العلمية والتطبيقية للخطابة من خلال التعريفات

أولاً : الخطابة :

علم وهذا العلم لـه مقوماته وشروطه وتقنياته وأن الخلل الذي نعيشه اليوم سببه إهمال علم الخطابة – والذي به تقدم الغرب في كل مجالات الحياة – لأنهم يدرسون أسسه وقواعده دراسة علمية وتطبيقية لدرجة أنهم يمارسون الخطابة في الشوارع والميادين العامة ، وعجزنا نحن عن استشراف المستقبل والتحديات المحيطة بنا لعدم تدريس علم الخطابة إلا في بعض الكليات ولنوع واحد من أنواع الخطابة ، وهي الخطابة الدينية ، وبهذا أصيبت عند المسلمين على يد أصحابها أكثر مما أصيبت على يد أعدائها وبدأ دور الخطابة يتضاءل ويتراجع .

وينفصل عن الحياة إلى درجة يمكن أن نقول معها إن منبر الخطابة الدينية –نفسه- انفصل عن المصلين داخل المسجد وأصبح يؤثر سلباً على مسار الدعوة الإسلامية ، وذلك بسبب الطرح السيئ أو الجاهل أو الساذج الذي يسئ إلى الإسلام وعظمته ويزهد الناس فيه ، ويخوفهم منه – قبل أن ينفصل عن صياغة المجتمع خارج المسجد فافتقدنا ما نملك ، وأصبحت معظم الخطب التي تقدم اليوم باسم الخطابة الدعوية تفتقر كثيراً إلى السمات الخطابية المتخصصة

والمؤثرة " لذلك نقول إن الخطاب الإسلامي المعاصر لم يتمكن من استيعاب أقرب الناس إليه ، أو أكثرهم استعداداً للتجاوب معه ، وهم جمهور المسجد علاوة عن كسب الآخرين – فهو خطاب أقرب إلى السلبية والجزئية ، والأحادية والارتجال والحماس ، والذاتية ، منه إلى التفاعل مع هموم الأمة " (١) .

ذلك أن العقل المسلم المعاصر لا يزال بعيداً عن تقدير قيمة التخصص ويتوهم أن بمقدور الإنسان أن يتسع علمه لأن يكون مفكراً ، وشاعراً ، وأديباً ، ورساماً ، وكاتباً ، وعالماً ، وفقيهاً ، وطبيباً ، وواعظاً ، ويدعى أنه يعلم في كل شئ في الوقت الذي نراه قد لا يحسن شيئاً .

كما أن الخطب في معظمها أشبه بنشرات داخلية تحاكي وتحاور نفسها ، ولم تصل إلى مهمتها ، فحاصرت نفسها وعجزت في الغالب عن إيجاد عقول متفتحة ، ولم تستطع أن تقوم بحل مشاكل الناس .

إن علم الخطابة يعصم الخطيب من أن يحاصر نفسه داخل دائرة مغلقة ويعلمه كيف يأخذ الناس بالتدرج ويتخولهم بالموعظة الحسنة ويخاطب الناس على قدر عقولهم فالعالم كما يقول ابن تيمية رحمه الله :" تارة يأمر ، وتارة ينهي ،وتارة يبيح ، وتارة يسكت عن الأمر والنهي أو الإحاطة كما قيل : إن من المسائل مسائل جوابها

(١) انظر : الأستاذ عمر عبيد حسنة مراجعات في الفكر والدعوة والحركة صـ ٦١ .

السكوت ، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء حتى علا الإسلام وظهر . فالعالم في البلاغ والبيان كذلك ، قد يؤخر البيان والبلاغ إلى وقت التمكن ، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله (ﷺ) إلى بيانها [1] .

ثانيا : القواعد العلمية :

إن الخطابة تحتاج إلى قواعد علمية حتى لا يلقى الكلام على عواهنه دون أية دراية بمقتضى الحال فبلاغة الطرح وامتلاك القدرة على استخدام وسائل التأثير تسحر الإنسان كما قال (ﷺ) : " إن من البيان لسحراً " حتى لا يبصر الإنسان إلا الحق ، إننا اليوم – أكثر من أي وقت مضى – في أمس الحاجة إلى مراجعة الخطاب الإسلامي وبنائه على أسس وقواعد علمية ، فعالمية الرسالة تقتضي عالمية الخطاب ، وعالمية الخطاب لا تبلغ مداها ما لم تقم على أسس علمية فالخطابة هي إيصال المعلومة وعملية التوصيل تتركب من مجموعة عناصر ، لكل منها مواصفاته ، التي لابد من توفيرها حتى يتحقق المطلوب .

ثالثا : فن المشافهة :

من أسس الخطابة أيضاً استعمال فن المشافهة " والفن مهارة يحكمها الذوق والموهبة ، والتطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل

(١) انظر : مجموعة الفتاوي لابن تيمية جـ٢٠ ص ٥٨ – ٦٠ وانظر مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ص٦٦، ٦٧ بتصرف .

التي تحققها ، ويكتسب بالدراسة والمرانة "[1] . وقيل هو "جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان للتعبير عما يحسه بداخله من أفكار وأحاسيس لإقناع العقول وإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال الحسي والمعنوي والتعبير الفني".

وبهذا يغلب في الخطابة طابع الفن أكثر من غيرها ، لأن الإنسان الخطيب يقصد بالخطابة أن يؤثر في المستمع عن طريق السمع والبصر .. وما يدخل عن طريق السمع هو الأسلوب والإلقاء والصوت ، وما يدخل عن طريق البصر هو الهيئة والحركة والملامح وتلك المؤثرات هي قوام هذا الفن وملاكه .

والخطيب الموهوب يملك من شفافية الروح وذكاء العقل ما يعينه على تصور دقائق الحياة والأحياء يرصد الكون بعين باصرة ، وبصيرة كاشفة وإلى جانب ذلك له قدرة على تصوير ما دعاه ونقله إلى غيره كما فهمه ورآه في تعبير قوي ومؤثر .

رابعاً : الجمهور:

لابد أن تكون الخطبة لجمهور من الناس حتى يستطيع أن يؤثر فيهم الخطيب لأن الإنسان إذا تحدث إلى فرد أو اثنين فإنه عادة لا يحتاج إلى لهجة خطابية ويكفيه أن يشرح المعنى أو الفكرة التي يريدها بصوت هادي وطريقة مألوفة ، أما الخطاب للجمهور فيحتاج إلى جهارة الصوت وتكيفه وتنوع نبراته ، وتجسيم المعاني التي

(١) انظر : المعجم الوجيز صـ ٤٨٢ .

تتضمنها الخطبة ، كما تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد – لكنها محسوبة – كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول ، فكل ذلك يثير جمهوره من المستمعين ويوجه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه .

خامساً : القدرة على التأثير :

من أسس نجاح الخطبة أن يؤثر الخطيب في نفوس المخاطبين ويثير لديهم دواعي الفرح إذا كانت الخطبة تتحدث عن الآمال وتحقيقها فإذا أراد أن يدعو إلى إنشاء مدرسة أو مستشفى فعليه أن يبين لهم مزايا ما يدعو إليه وما يعود عليهم من فوائد ، وكلما كانت قوة الخطيب حاضرة كان تحقيق ما يدعو إليه ممكناً .

سادساً : القدرة على الإقناع :

من أسس نجاح الخطبة أيضاً أن يكون الحديث الخطابي مقنعاً يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الخطيب ، فإذا خلت الخطبة من هذه الأدلة فإنها لا تزيد على أن تكون إبداء رأى ، وهي تكون فاشلة لأنها لا تؤدي إلى الغرض الذي قيلت من أجله والخطيب الناجح يشرح الأدلة التي يسوقها شرحاً وافياً يكثر فيه المرادفات ، ويعيد بعض الجمل ويلح على تركيز معان خاصة لتثبيتها في أذهان سامعيه ، ومما يجب لفت الأنظار إليه في هذا الجانب أن يقوم الخطيب بتقديم كل ما يتعلق بتقويم الفكر ، وتصحيح التصور ، وتصويب منهج النظر والعمل ، كما يجب عليه أن يكون ملماً بالمبادئ

التي تمكنه من الإقناع الخطابي وهي :

١ - فقه الدين فقهاً يتميز بالشمول والاتزان والعمق .

٢ - فقه لواقع الحياة دون تهوين ولا تهويل وواقع المسلمين وواقع أعداهم حتى يستطيع أن يعالج الأمور ببصيرة نافذة .

٣ - فقه سنن الله وقوانينه التي لا تتبدل وخصوصاً سنن الاجتماع البشري وأن الإسلام يجمع ولا يفرق ، ويحبب ولا ينفر ، ويعالج الأمراض والجروح مهما كانت خطيرة .

٤ - فقه مقاصد الشريعة وعدم الجمود على خواطرها .

٥ - فقه الأولويات مع ربطه بفقه الموازنات في مجال العلم والفكر ومجال الفتوى والدعوة ومجال العمل ومجال المأمورات والمنهيات وغير ذلك .

٦ - فقه الاختلاف وأدبه والتعاون فيما اتفق عليه والتسامح في المختلف فيه .

٧ - الموازنة بين ثوابت الشرع ومتغيرات العصر .

٨ - أن يقدم الإسلام مشروعاً حضارياً متكاملاً لبعث الأمة وإنقاذ البشرية من الفلسفات المادية المعاصرة .

٩ - اتخاذه منهج التيسير والتبشير في الخطابة والفتوى والدعوة .

١٠ - إبراز القيم الاجتماعية والسياسية في الإسلام مثل الحرية والكرامة والشورى والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان [1] .

---

(١) الدكتور يوسف القرضاوي : في فقه الأولويات ص ١٩٠ .

فهذه المبادئ تجعل الخطيب مقنعا في كل ما يدعو إليه ، وتجعله مقبولا عند كل من يستمع إليه .

سابعا : القدرة على الاستمالة :

من أسس نجاح الخطابة أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة ، وعنصر الاستمالة عنصر واسع " يتضمن الاستمالة المادية والتمثيلية والهيئة التي تثير في النفس معاني الجمال والروعة أو معاني الأسى والألم والحزن ، وإن شئت قلت الهيئة التي تثير في النفس معاني البسط والقبض [1].

وعنصر الاستمالة يعني أيضا توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطبة،لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما،ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها .

إن الإقناع وحده لا يكفي لنجاح الخطبة بل لابد من جذب السامعين واستمالة عواطفهم نحوها ولذلك يقول الدكتور أحمد الحوفي عن عنصر الاستمالة " المراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو يهدأها ، ويقبض على زمام عواطفهم ليتصرف بها كيف شاء ساراً أو محزناً مضحكاً أو مبكياً داعياً إلى الثورة أو إلى السكينة .

ثامنا : الاعتماد على الكلمة الطيبة :

من أسس نجاح الخطابة أن تبنى على الكلمة الطيبة ، فالكلمة الطيبة في نظر الإسلام كائن حي مؤثر،قال تعالى﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ

(١) الدكتور : أحمد إسماعيل : خصائص خطب النبي صلى الله عليه وسلم صـ٣٠

اللهُ مَثلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤتِي أكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا وَيَضْربُ اللهُ الأمْثَالَ لِلنَّاس لَعَلَّهُمْ يَتَذكَّرُونَ﴾ [1] .

فليس المهم توصيل الحقيقة إلى الناس فقط ولكن الأهم هو الأسلوب والطريقة التي تصل بها،ولهذا قال رسول الله (ﷺ) " زينوا القرآن بأصواتكم ". [2] لكي يتشوق إليه السامع وينجذب إليه فيؤثر فيه ، والكلمة الطيبة الجميلة تفتح مغاليق القلوب قال (ﷺ) لأبي موسى الأشعري " لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود " فقال أبو موسى : "لو علمت ذلك لحبرته لك تحبيراً " [3] يعني زدت في تجويده وإتقانه وتحسين الصوت به .

أهمية الكلمة الطيبة في الخطابة :

إن الإسلام شرع الخطبة لإصلاح المجتمع وبنائه ، ولتأليف القلوب وشرح الصدور وهذا لا يتحقق إلا بالكلمة الطيبة يذكر الإمام الغزالي رحمة الله عليه أن رجلاً وقف على الخليفة المأمون العباسي يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر فأغلظ له في القول ، وقسا في التعبير ولم يراع أن لكل مقام مقال يناسبه وكان المأمون ذا فقه فقال له يا هذا أرفق فإن الله بعث من هو خير

---

(١) سورة إبراهيم أية رقم ٢٤ – ٢٥ .
(٢) رواه الإمام مسلم
(٣) رواه الإمام مسلم عن أبي موسى ، ورواه البخاري وغيره عن جمع من الصحابة .

منك إلى من هو شر مني ، وأوصاهما بقوله ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [1] .

ولهذا حاج المأمون ذلك الرجل وخصمه فلم يجد جواباً ومن يطلع على حوار موسى عليه السلام مع فرعون في القرآن الكريم يجده قد وعى وصية الله لـه ونفذها بكل دقة برغم تجبر فرعون واستعلائه وتهجمه واتهامه وتهديده كما يتبين ذلك من سورة الشعراء.

ومن درس سيرة رسول الله (ﷺ) وسنته في هذا الجانب يرى في هديه الرفق الذي يرفض العنف ، والرحمة التي ترفض القسوة ، واللين الذي يأبى الفظاظة ، كيف لا وقد وصفه الله بقوله : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2] .

وصور علاقته بأصحابه بقوله : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [3] .

---

(١) سورة طه آية ٤٣ – ٤٤ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

المبحث الثالث

نموذج تطبيقي للخطيب الناجح من خلال القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة المستمرة المجردة عن حدود الزمان والمكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . والقرآن الكريم يخصب الذهن وينمي العقل ، ويكسبه القدرة على النظر والحكم على الأشياء وتقويمها .

فالخطيب "لا ينجح في خطبته إلا إذا تبصر بمنهج القرآن الكريم في استنفار العقل ، وتشغيل الحواس ، وتحريك القوى الفاعلة بالإنسان ، وتفجير الطاقات الكامنة فيه ، وبناء القناعة العقلية ، والوصول إلى الصواب " (١)

لهذا كان من الأهمية بمكان أن نذكر نموذجاً للخطيب الناجح من خلال القرآن الكريم ، والخطيب الذي نشير إليه هو " مؤمن آل فرعونَ " والجمهور المستمع هو " فرعون وقومه " قال تعالى :﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ* يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ

---

(١) انظر تقديم : عمر عبيد حسنة – لكتاب الأمة : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص ١٢ – العدد رقم ٩٥

فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [1]

فالناظر في خطاب مؤمن آل فرعون – وهو ليس برسول أو نبي

(١) سورة غافر – آية رقم : ٢٨ – ٤٤

يجد أنه نجح في مخاطبة قوم فرعون نجاحاً باهرا ، وأنه سلك في سبيل ذلك اساليب رائعة لقد حدد أسلوبه وعباراته تحديداً دقيقا وانتقل مع الموجودين بدعوته من مرحلة إلى مرحلة ومن موقع إلى موقع ، بالكلمة الطيبة النبيلة مدركاً لما يقول مخططاً ومبرمجاً له . وهو يقدم للدعاة درساً دعوياً بليغاً في طريقة عرض الدعوة وأساليب التأثير في السامعين . يجب أن يقتدي به كل داعية يتحرك بدعوته ويبغي النجاح في أسلوبه . حيث تلطف هذا الرجل المؤمن في دعوته ، وحدد كلامه ، وظهر على المسرح وقد كان فرعون هو الآمر الناهي ، كان فرعون هو المتكلم الوحيد ، والكل له يسمع ؛ كان يزهو وينتفش وينتفخ ويهدد ويتوعد ويتوقح .

فظهر له الرجل المؤمن ووقف أمامه ، وأخذ يخاطب الجماهير بالكلمة الطيبة والنصيحة المخلصة ، خطاباً مؤثرا ، وبدأ يكسبهم إلى جانبه ، ويحرج فرعون ويفحمه ويضيق عليه ، ويظهره أمام الآخرين في صورة الباغي المتجبر المتكبر ، الذي لا يملك حجة ولا برهان ولا منطقاً ولا إقناعاً .

وصار الرجل المؤمن بالكلمة الطيبة يتحكم في المسرح وما يعرض فيه ، ويخفت صوت فرعون بل وينهي وجوده حتى خلا المسرح من فرعون وانتصب الرجل المؤمن عليه وحده داعياً موجهاً ناصحاً ، والكل له سامعون ولبيانه متأثرون . وقد استخدم الرجل المؤمن في خطبته مؤثرات مختلفة ، ووظف فيها موضوعات عدة ، وقدم فيها حقائق.

ومبادئ لا ترفض وكان متمتعاً بثقافة تاريخية واجتماعية ونفسية وبيانية ودعوية في وعاء من الكلام الطيب وبيان ذلك كما يلي :-

١- استنهض القوم ضد فرعون واستمالهم لدعوته ففي قوله :" أتقتلون رجلاً " تجاهل لفرعون المنتفش ، وفي هذا تحقير لشأن فرعون كما أنه يعلم أيضاً أن فرعون لن يستجيب له ، فلماذا يضيع وقته معه ؟

كما في قوله استفهام آخر : كيف يقول لهم أتقتلون ؟ وهو يعلم أن الذي سيقتل فرعون وليس هم ، إن فرعون يطلب منهم الإذن بالقتل فإن وافقوه على ذلك ، فهم شركاء معه في الجريمة وهم قتلة مثله فالموافق على القتل قاتل وإن لم يشترك في عملية القتل .

٢- استخدم عنصر الإقناع : فقوله :" أتقتلون رجلا " تنكير يدل على حياديته في الموضوع أولاً ، ولرغبته في عدم الكشف عن كل أوراقه الإيمانية أمامهم دفعة واحدة ليضمن إقناعهم . لم يقل : أتقتلون موسى رسول الله وأنا على دينه ، وإنما " أتقتلون رجلاً ؟ " .

٣- " أن يقول ربي الله " فما هي الجريمة التي استحق بها القتل ؟ هل قوله " ربي الله " يعتبر جريمة ؟ ثم هو يقدمه للناس ليتعرفوا عليه وعلى دعوته بعبارة موجزة ، إنه يقول :" ربي الله ثم هو يلمزهم بطريقة خفية ليزحزحهم عما هم فيه . إن موسى يقول :" ربي الله " وهم يقولون ربنا فرعون . وشتان بين القولين .

٤- استخدم عنصر الاستمالة الوجدانية فقوله :" وقد جاءكم بالبينات من ربكم " دليل على أن موسى يملك الأدلة على دعوته ، وأنه قد جاءكم أنتم

بالبينات من ربكم فربكم هو الله وليس فرعون كما تزعمون . فالمستحق للعبادة والطاعة هو الله و ليس فرعون .

٥- دعاهم إلى إعمال النظر والتفكير في قوله " إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم " دعوة إلى النظر والتفكير في دعوته بموضوعية وحيادية . فموسى إما كاذب في دعوته ،وإما صادق ، والخطيب المؤمن من باب الموضوعية والحيادية قدم احتمال الكذب .

فإن كان كاذباً فعليه كذبه ، ولم يؤاخذهم الله بسببه ، ولكن ألا يمكن أن يكون صادقاً في دعواه فما موقفهم فيما لو صح هذا الافتراض ورجح هذا الأحتمال .

٦- استخدام المؤثر الاقتصادي : فالناظر في البيان الخطابي للرجل المؤمن يجد أنه استخدم المؤثر الدنيوي الاقتصادي الحضاري الذي يهم الجميع ، لأنهم لا يريدون أن يفقدوا ملكهم وسلطانهم ، فإذا آذوا موسى فسينتقم الله منهم ولن يستطيع فرعون أن ينقذهم وذلك في أسلوب خطابي طيب وجميل تحبه النفس وتقدم عليه فقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ .

٧- كما استخدم أيضاً المؤثر التاريخي الذي تحقق به وعد الله فيما مضى ، ولفتهم إلى دراسة الماضي والنظر فيه فقال :﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ .

إن الدعاة بحاجة إلى أن يقتدوا بمثل هذا الخطاب وبكلماته البليغة، وبأسلوبه الطيب . لقد بين الله تعالى طبيعة الكلمة ، وبين أنها إما طيبة وإما خبيثة ، وبين أهميةُ الكلمة الطيبة في ميدان العمل الدعوى من حيث أنها توصل الاعتقاد السليم وتدعو إلى الخير المطلق وإلى الحق والعدل ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر.

وبين خطورة الكلمة الخبيثة على المجتمع وأنها مرذولة لا فائدة فيها مطلقاً ، وحذر من سوء استعمالها لأنها وسيلة إفساد وتفريق للشعوب وتباعد بين القلوب ، وتشعل نار الفتنة وتثير لهيب الحقد والبغضاء قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1] .

وحذر النبي (ﷺ) من خطورة الكلمة على قائلها فضلاً عن خطورتها على الآخرين دل على ذلك قوله (ﷺ) لمن سأله على عمل يدخله الجنة قال " أمسك عليك هذا ، وأشار إلى لسانه ، فأعادها عليه فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلى حصائد ألسنتهم . [2]

---

(١) سورة الحجرات آية رقم : ١١
(٢) رواه البخاري .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال :" والكلمة الطيبة صدقة "(١)

وعن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله حدثني بشئ يوجب لي الجنة ، قال عليك بحسن الكلام وبذل الطعام ، وإفشاء السلام "(٢)

وقال ابن يزيد : رأيت ابن عباس – رضي الله عنهما- أخذ بلسانه وهو يقول : ويحك قل خيراً تغنم أو اسكت عن سوء تسلم ، وإلا فاعلم أنك ستندم ، قال : فقيل له يا ابن عباس لم تقول هذا قال : بلغني أن الإنسان أراه قال ليس على شئ من جسده أشد خلقاً أو غيظاً يوم القيامة منه على لسانه إلا من قال به خيراً أو أملى به خيراً .

وكان ابن مسعود –رضي الله عنه – يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شئ أحوج إلى طول سجن من لساني .

وقال يحيى ابن أبي كثير : ما صلح منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله ، ولا فسد منطق رجل إلا عرفت ذلك في سائر عمله .

---

(١) انظر : الترغيب والترهيب جـ ٣ صـ ٣٣٢
(٢) رواه ابن أبي الدنيا والحاكم . وقال الحاكم صحيح ولا علة فيه انظر : الترغيب والترهيب جـ٣ صـ ٣٣٢

المبحث الرابع

نموذج تطبيقي للخطيب الناجح من خلال السنة النبوية

الخطيب الناجح هو الذي يستطيع أن يستميل المخاطبين في أي أمر من الأمور الحياتية والدينية . والعلماء يتحدثون عن ثلاثة أنواع من الاستمالات التي يجب أن تشتمل عليها الخطبة الناجحة وهي :

الاستمالة العاطفية و الاستمالة العقلانية و استمالة التخويف والناظر في سيرة النبي (ﷺ) ، وما تلقاه أصحابه منه يجد أنهم نجحوا نجاحاً باهراً في استمالة الآخر وإقناعه . نجد ذلك واضحاً في توجه الصحابة إلى أرض الحبشة عندما أشار عليهم النبي (ﷺ) بذلك وقال لهم : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه " [١]

وفعلاً خرجوا مهاجرين إليها يقول ابن هشام :" فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائه الذين خرجوا بهم معهم صغاراً وولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلاً غير النساء "[٢] وكان ذلك في السنة الخامسة من مبعثه (ﷺ)[٣] . فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله(ﷺ) " قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ـ جـ١ ص٣١٥ ـ تحقيق د/ محمد فهمي السرجاني ـ ط : المكتبة التوفيقية .
(٢) المصدر السابق صـ ٣٢٣
(٣) خاتم النبيين ـ للإمام : محمد أبو زهرة ـ ط ـ ص ٤٩٠ ـ ط : قطر دار إحياء التراث الإسلامي .

قد أصابوا بها داراً وقراراً ، ائتمروا بينهم أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشي ليردهم عليهم ، فيفتنوهم في دينهم ، ويخرجوهم من الأرض التي اطمأنوا بها ، وأمنوا فيها ، فأرسلوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأرسلوا معهم هدايا يدفعونها للنجاشي ليغروه بها .

تقول أم المؤمنين أم سلمة :" لما نزلنا أرض الحبشة ، جاورنا بها خير جار "النجاشي " فكان أميناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا النجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة .. فجمعوا أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص ، أمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما ادفعا إلى كل بطريق هديته ، قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدما إلى النجاشي هداياه ، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم .. فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار ، عند خير جار " [1] .

وتقدم عمرو بن العاص ليلقي خطبته أمام النجاشي ملك الحبشة فقال :" أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أبصر بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم .. فقال البطارقة – الذين

(١) سيرة ابن هشام جـ١ ص : ٣٢٦

حركتهم الهدايا – صدق أيها الملك قومهم أعلم بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما ليردوهم إلى بلادهم " [1] .

خطبة جعفر بن أبي طالب :

بعد أن أحس النجاشي بالحملة الباطلة ضد المسلمين ، خاصة وأنه لم يقتنع بخطبة عمرو بن العاص ورفيقه رد عليهما رداً حاسماً فقال :" لا أسلمهم إليكم حتى أدعوهم فاسألهم عما يقولون " ، وأرسل إليهم النجاشي فجاءوا أمامه ، فقال جعفر بن أبي طالب لصحبه :" أترضون أن أتقدمكم وأكون خطيبكم اليوم ؟ قالوا : بلى. فدخل وسلم على النجاشي ، ولم يسجد له .. فقال النجاشي : ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من أتباعي ؟ فقام جعفر وقال: أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله ، نوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله ، من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بالصدق والأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والزنا ، والفواحش ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا

---

(١) المصدر السابق ,ص:٣٢٧

نشرك بـه شيئاً ، وإقـام الصـلاة ، وإيتاء الـزكاة ، فصـدقناه وآمـنا بـه ، واتبعناه علـى مـا جـاء بـه ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، وشقوا علينا ، فخرجنا إلـى بلدك ، واخترناك علـى من سـواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك .

فقاطعـه عمرو بن العاص وقال : إنهم يخالفونك في عيسى وأمه .

فقـال النجاشي : ما تقولون في عيسى وأمه ؟ فقال جعفر : نقول فيه ما قاله الله فـي كـتابه : إنـه هـو كلمـة الله وروحـه ، ألقاهـا إلـى العذراء البتول ، وتلى عليه قوله تعالى :﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاس وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَن صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا *فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي

مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (1) .

وما كاد ينتهي جعفر من تلاوته إلى هذا الحد ، حتى بكى النجاشي وبكى من حوله من الأساقفة ، وقالوا : هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا اليسوع المسيح . وقال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة ، مرحباً بكم ، وبمن جئتم من عنده ، أشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي نجده في الإنجيل ، وأنه الذي بشر به عيسى ، انزلوا حيث شئتم ، فوالله ! لولا ما أنا فيه من المُلك ، لأتيته ، حتى أكون أحمل نعليه ، وأوضئه ، وآمر بهديه الآخرين ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ، (قالها ثلاثاً) ، ومعنى سيوم : أي الآمنون(2)

نظرة في البيان الخطابي لجعفر بن أبي طالب :

لقد استخدم سيدنا جعفر -رضي الله عنه - في خطبته أمام النجاشي مؤثرات مختلفة ، وقدم في خطبته حقائق ومبادئ لا ترفض ، وكانت لديه من سرعة البديهة ما جعله يتربع على عقول مستمعيه ، وكان متمتعاً بثقافة تاريخية واجتماعية ونفسية وبيانية ودعوية في وعاء من الكلام الطيب والأسلوب اللين ، وبيان ذلك كما يلي :

---

(1) سورة مريم الآية رقم : ١٦ – ٣٤ .
(2) سيرة ابن هشام جـ١ صـ ٣٢٨ تحقيق الدكتور / محمد فهمي السرجاني – مكتبة التوفيقية .

١ـ الاستمالة العاطفية : التي تستهدف التأثير على وجدان المتلقى وانفعالاته ، ومخاطبة حواسه . نرى ذلك عندما خاطب النجاشي بقوله : أيها الملك .. وقوله فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا .. وخرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك .

وفي هذا تعظيم لشأن الملك ، وتحقيق الجانب العاطفي في الدفاع عنه.

٢ـ الاستمالة العقلانية : وهي تعتمد على مخاطبة عقل المتلقي ، وتقديم الحجج والشواهد المنطقية ، وتفنيد الآراء المضادة بعد مناقشتها وإظهار جوانبها المختلفة .

نرى ذلك في قوله للنجاشي :" كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف .. وقوله : حتى بعث الله إلينا رسولاً منا .. دعانا إلى الله ،وأمرنا بالصدق والأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والزنا... .

٣ـ أمانة العرض : الذي يمعن النظر في خطبة جعفر بن أبي طالب يجد أنه كان أمينا في عرض دعوته ، لأن الدعوة القائمة على الباطل ، أو الكذب مصيرها الزوال والاضمحلال نرى ذلك عندما قاطعه عمرو بن العاص وقال : إنهم يخالفونك في عيسى وأمه . فما كان من جعفر إلا أن قال : نقول فيه ما قاله الله في كتابه ، إنه هو كلمة الله وروحه ، ألقاها إلى

العذراء البتول ، فخرج عمرو ورفيقه من عند النجاشي مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقام المسلمون عند الملك ، وفي أرضه خير إقامة ، وخير جار ، في أمن ودعه ، يعملون على نشر دعوتهم على مرأى ومسمع من النجاشي .

٤- تقديم الأدلة والبراهين : الذي ينظر إلى خطبة سيدنا جعفر يجد أنه حدد أسلوبه وعباراته تحديداً دقيقاً ، حيث توقع ما قد يتعرض له من مقاطعة أثناء خطبته ، ولذلك لم يتلعثم ، ولم يتعثر عندما قاطعه عمرو بل قدم الأدلة والبراهين القاطعة في حقيقة عيسى وأمه .

ومن ثم هيمن على قلوب مستمعيه ، وارتفع صوته بآيات الذكر الحكيم التي شنفت الآذان ، وأخذت بمجامع القلوب حتى بكى النجاشي ، وبكى من حوله من الأساقفة ، وقالوا : هذه كلمات تصدر من النبع الذي صدرت منه كلمات يسوع المسيح استطاع " جعفر بن أبي طالب " بهذه الخطبة أن يكسب للإسلام أرضاً جديدة في أرض الحبشة وأن يفتح للمسلمين باباً جديداً يصعب على المشركين من أهل مكة أن يغلقوه ، كما استطاع بفضل اتباع أوامر الرسول (ﷺ) الذي أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة أن ينقل الإسلام من المحلية إلى العالمية .

لقد استطاع جعفر أن يقدم خطبته للنجاشي في قالب لفظي رشيق ، بأسلوب يقطر عذوبة ، ويفيض رقة فإن الأمر كما يقول الدكتور عبد الله الشاذلي :" ربما تقع –أي النفس – أحياناً أسيرة العبارة ، وقيد الكلمة

وقد يكسر حدتها لفظ منمق ، أو يحطم كبريائها أسلوب جذاب "[1] .
فالخطيب يخاطب نفساً لها كثير من الشهوات والأغراض والميول والعواطف . ولها دروب ومسالك بعيدة الأغوار ، عميقة الشكوك ، متعددة الجوانب . ولهذا يلزم أن يتميز الخطيب بمميزات كثيرة تؤهله لأن يكون مؤثراً في الغير . قادراً على أن يملك زمام الأنفس .

ويسيطر عليها سيطرة يستميلها إلا ما يريد ، ويجذبها إلى فكرته ونصيحته .. كما يستطيع بمقدراته المتنوعة أن يوقظ النفس من غفلاتها ، وينتشلها من ذلاتها ووهادها ، ويحييها من رقدتها ، ويبعث فيها حماس الإيمان ، وقوة الإخلاص "[2] .

---

(١) مدخل إلى الاستدلال القرآني : الدكتور : عبد الله الشاذلي ص. ١١٤ – الطبعة الأولى ١٩٨٧م
(٢) المصدر السابق ص ١١١ ، ١١٢

الفصـــل الثـانـي

أهمية الخطابة وعلاقتها بالعلوم الإنسانية

ويشتمل على أربع مباحث :

المبحث الأول : أهمية الخطابة

المبحث الثاني : علاقة علم الخطابة بعلم النفس

المبحث الثالث : علاقة علم الخطابة بعلم الاجتماع

المبحث الرابع : علاقة علم الخطابة بعلم المنطق

المبحث الأول

أهمية الخطابة

أولاً : أهمية الخطابة عامة :

اهتم الإنسان منذ وجوده على الأرض بنعمة البيان التي تميز بها عن سائر المخلوقات ، فاهتم بتنميق كلامه وتنسيقه وإتقانه وتجويده ، وأخذ ينتقي الكلمات ويتخيل العبارات ، ويتفنن في الأساليب حتى تفاوت أبناء الجنس بعضهم على بعض ، فكان منهم الخاصة والعامة ومن ثم ظهرت أهمية الخطابة وأصبح لها القدر المعلى في كل مناحي الحياة .

واستمر شأنها يتقدم ويسمو ويعلو ويرتفع حتى انتقل الفخر بها من الأفراد إلى الجماعات والأمم . وأصبح للعرب مكانة خطابية لا تعلوها مكانة لأنهم ملكوا أذمة الفصاحة والبلاغة ، وأعنة الكلام والبيان ، وأصبح للخطيب أو الشاعر من ذلك الحظ الوافر والقدح المعلى لأنه ترجمان نفوسهم ، ومصور أحاسيسهم عند المفاخرة والمنافرة ، وبرهانهم عند الدفاع و يتغنى بعدتهم وعديدهم ، ويمجد ماضيهم وحاضرهم ، ويزود عن حياضهم وأعراضهم وأموالهم ويدفع عنهم الظلم والباطل الواقع عليهم .

ومن هنا تظهر أهمية الخطابة عند العرب خاصة وعند جميع أمم الأرض عامة والتي يمكن أن نذكر بعضها في النقاط الآتية :

١- لهداية الناس إلى أقوم الطرق وأبين السبل .

٢- الحض على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل .

٣- الدفاع عن الحق وإقامة العدل ورد المظالم .

٤- تنوير الرأي العام سياسياً واقتصادياً وعسكرياً واجتماعيا .

٥- إثارة الحماسة لذى النفوس الفاترة والهمم الهابطة .

٦- إنهاء المشاكل وقطع الخصومات وتهدئة النفوس الثائرة .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : وظيفة الخطابة الدفاع عن الرأي وتنوير الرأي العام في أي أمر من الأمور : والحض على الاقتناع بمبدأ من المبادئ ، والتحريض على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل ، وإثارة شعور الناس وإيقاظ وجدانهم ليقبلوا ما يريده الخطيب ، وللخطابة أيضاً ثمرات كثيرة ووظائف متعددة فهي التي تفض المشاكل وتقطع الخصومات ، وهي التي تهدئ النفوس الثائرة ، وهي التي تثير حماسة ذوي النفوس الفاترة ، وهي التي ترفع الحق ، وتخفض الباطل ، وتقيم العدل ، وترد المظالم ، وهي صوت المظلومين ، وهي لسان الهداية وهي الدعامة التي قامت عليها الانقلابات العظيمة ، والثورات الكبيرة التي نقضت بنيان الظلم ، وهدمت قصور الباطل [1] ، وهي أيضاً التي تدفع الناس إلى الفساد والكساد .

فالحروب الصليبية التي استمرت لمدة قرنين على الشرق الإسلامي بكل حملاتها الظالمة وحروبها الكالحة بدأت شارتها بخطبة بابا الكنيسة "أوربان" الذي ألقى خطبة تقطر بالحقد والكراهية ضد العرب والإسلام ملأها بالأباطيل والأكاذيب ، لدرجة أن المراجع تروي أن المحتشدين لسماع خطاب البابا صاحوا بعد سماعه قائلين هذه إرادة الله .

---

(١) الخطابة أصولها – تاريخها في أزهر عصورها عند العربية ص ...

ثم حملوا شارة الصليب شعاراً لها " (١) . فالخطابة قوة تثير حمية الجيوش وتدفعهم إلى لقاء الموت ، وتزيد قواهم المعنوية ، ولذلك كان قواد الجيوش المظفرون في القديم والحديث خطباء مصاقع ، كعلي بن أبي طالب ، وخالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ، ونابليون ، فقد حمل هؤلاء مع سلاحهم الحديدي سلاحاً معنوياً شديداً هو الخطابة .

والخطباء أيضاً هم المسيطرون على الجماعات وهم الذين يقيمونها ويقعدونها ، وفي الحكومات الشورية يكون الخطباء هم الغالبين ، تصدع الأمة بإشاراتهم ، وتخضع لسلطانهم ، لأن الغلب في ميدان الكلام ، والسبق في حلبة البيان .

والحق أن الخطابة مظهر اجتماعي للمجتمع الراقي تحيا برقي الجماعة ، وتخبو بضعفها .

قال ابن رشد في تلخيص الخطابة : وللخطابة منفعتان : إحداهما : أنها تحث على الأعمال الفاضلة ، وذلك أن الناس بالطبع يميلون إلى ضد الفضائل العادلة ، فإذا لم يضبطوا بالأقاويل الخطبية غلبت عليهم أضداد الأفعال العادلة وذلك شئ مذموم يستحق فاعله التأنيب والتوبيخ .

أعنى الذي يميل إلى ضد الأفعال العادلة ، أو المدبر الذي لا يضبط بالأقاويل الخطبية على الفضائل العادلة . وأعنى بالفضائل العادلة التي هي فضائل بين الإنسان وبين غيره أي بينه وبين المشارك له في أي

(١) د/ جوزيف نسيم : الإسلام والمسيحية وصراع القوي بينهما ص : ٢١٣

شئ كانت الشركة لا بينه وبين نفسه المنفعة الثانية ، أنه ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معه البرهان في الأشياء النظرية [1]، فالبرهان قد لا يكفي ، ومن ثم فلابد له من الاستمالة الوجدانية . لمعرفة الأهواء وطرق تهيجها وتسكينها فالخطيب لا يوجه كلامه إلى القوى العقلية البرهانية فقط بل عليه أيضاً أن يثير عواطف وميول السامع التي تدفع الإنسان إلى طلب ما يرغبه أو النفور والإعراض عما يرهبه خاصة إذا كانت الخطابة وعظية تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو جوهر العبادة .

---

(١) تلخيص الخطابة . ابن رشد . ص ١٠ .

ثانياً : أهمية الخطابة الوعظية

للخطابة الوعظية أهمية سامية في نشر الإسلام ، وإقناع المدعوين به بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ حيث أن الخطاب في قول تعالى :" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة " للرسول (ﷺ)، ولكل مسلم يصلح للدعوة إلى الله ، والمعنى أي أدع –أيها الرسول الكريم – الناس إلى دين ربك وإلى شر يعته بالقول المحكم الصحيح الموضح للحق ، المزيل للباطل ، الواقع في النفس أجمل موقع ، وأضاف سبحانه السبيل إليه للإشارة إلى أنه الطريق الحق ، الذي من سار فيه سعد وفاز ، ومن أعرض عنه شقى وخسر . وقوله سبحانه :" والموعظة الحسنة " وسيلة ثانية للدعوة إلى الله تعالى . والمعنى ادعهم أيضاً إلى طريق الحق بالأقوال المشتملة على العظات التي ترقق القلوب ، وتهذب النفوس ، وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه ، وترغبهم في الطاعة وتنفرهم من المعصية " [١] .

ومن ثم تتضح أهمية الخطابة الوعظية من خلال الأمور الآتية:-

١- إن الوعظ الديني هو أمر بمعروف في الدين ونهي عن المنكر فيه ، وقد أجمعت عليه الشرائع واتفقت على وجوبه الأديان ، فعليه قامت

(١) الإمام الأكبر د/ محمد سيد طنطاوي : الخطاب الديني وكيف يكون هديه مجلة الأزهر ص ٥٨ .

الدعوة إلى الله تعالى ، ولهذا قال الإمام الغزالي في وصفه :" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطة وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الرسالة ، وعمت الفترة ، وفشت الضلالة ، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق ، وخربت البلاد، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد " [1] .

والأدلة على لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية . ومن كثرتها أضحت الشريعة الإسلامية شريعة التواصي بالحق ، والتناهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [2] وقال سبحانه :﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [3] .

وقال عز وجل:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"[4] وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(١) انظر : إحياء علوم الدين جـ١ ص :
(٢) سورة العصر
(٣) سورة آل عمران آية رقم : ١٠٤
(٤) سورة آل عمران آية رقم : ١١٠

وَيَـنْهَوْنَ عَـن المُنكَـرِ وَيُقِـيمُونَ الصَّـلاةَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَاةَ وَيُطِـيعُونَ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ أُولَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) .

وقـال(ﷺ) في الحديث الذي رواه الإمام أحمد ، وغيره بسندهم عن حذيفة بن اليمامة أن النبي (ﷺ) قال :" والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم " (٢) .

٢- انعقد إجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعموم الأخبار الواردة في ذلك ولشدة التحذير من تركه ، ولهذا قام السلف الصالح بهذا الواجب خير قيام ، لا يهابون في ذلك سلطان ذي سلطان ، ولا تأخذهم رأفة في دين الله ، ولا هوادة في إقامة حقه ، وهذا يكون من خلال الخطاب الوعظي أو الموعظة الحسنة أو الجدال بالتي هي أحسن ، وبهذا الأسلوب استطاع سلف الأمة أن يواجهوا أقوى الحكام عتواً ، وأشدهم قسوة ، وأبعدهم في الأذى ، وما أخبار وعاظ التابعين مع الحجاج وأشباهه من حكام بني أمية بعيدة عن الأذهان .

روى أن الحجاج جمع بعض علماء العراق ، وفيهم الحسن البصري والشعبي ، وأخذ يحادثهم فذكر على بن أبي طالب رضي الله عنه فنال منه ، وجاراه من معه تقرباً له ، وأمناً من شره ، إلا الحسن

---

(١) سورة التوبة آية رقم : ٧١

(٢) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه من حديث عمر بن أبي عمر وقال الترمذي حسن .

البصري ، فصمت على مضض وعض على إبهامه ، فالتفت إليه الحجاج وقال يا أبا سعيد مالي أراك ساكتاً !! قال ما عسيت أن أقول ؟ قال : أخبرني عن رأيك في أبي تراب . قال سمعت الله جل ذكره يقول ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) فعلى ممن هدى الله من أهل الإيمان ، فأقول : ابن عم النبي ، وختنه على ابنته ، وأحب الناس إليه وصاحب سوابق مباركات ، سبقت له من الله ، لن تستطيع أنت ولا أحد من الناس أن يخطرها عليه ، ولا يحول بينه وبينها . وأقول إن كانت لعلى هنات الله حسبه . والله ما أجد فيه قولاً أحسن من هذا فبصر وجه الحجاج وتغير وقام عن السرير مغضباً ، فدخل بيتاً خلفه ، وخرج الجميع .

وفي مرة ثانية بعث الحجاج إلى الحسن ، فلما دخل عليه ، قال : أنت الذي تقول:قاتلهم الله قتلوا عباد الله على الدينار والدرهم " !! قال : نعم . قال : ما حملك على هذا ؟ قال : ما آخذه الله على العلماء من المواثيق ليبينه للناس ولا يكتمونه " (2) .

هكذا كانت قوة الإيمان ، وهكذا يكون الأخذ بتلك الشريعة المستقيمة ، والفريضة المحكمة ، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تلك

---

(1) سورة البقرة آية رقم : ١٤٣
(2) انظر : الخطابة : الإمام محمد أبو زهرة ص ١٥٢ ، ١٥٣

الفريضة التي لو أخذنا بها كما أخذ ذلك السلف الصالح ، لارتبط حاضر الأمة بماضيها ، ولاتصلت نفوس الحاضرين بنفوس السابقين . (١)

٣- إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحيي القلوب الميتة ، ويوقظ العقول النائمة ، ويدفع كل الناس إلى الخير الذي يعود عليهم بالنفع في الدنيا والآخرة ويدفع عنهم الخزي والشر الذي يدفعهم إلى هلاك الدنيا والآخرة ولذا يقول الإمام محمد عبده عن فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، له ثلاث مراتب :

فالمرتبة الأولى : دعوة هذه الأمة سائر الأمم إلى الخير ليشاركوهم فيما هم عليه من النور والهدى ، وقد أوجب الله ذلك على المؤمنين فقال تعالى في وصفهم :﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (٢) .

والمرتبة الثانية : دعوة المسلمين بعضهم بعضاً إلى الخير وتأمرهم فيما بينهم بالمعروف وتناهيهم عن المنكر ، ببيان طرق الخير ، وتطبيق ذلك على أحوال الأمم ، وضرب الأمثال ، ويقوم بهذه وسابقتها العارفون بأسرار الشريعة وهم الذين قال تعالى فيهم : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٣) .

والمرتبة الثالثة : تكون بين آحاد الأمة علماء وجهلاء بالتواصي على الحق والتناهي عن المنكر ، كل بما يعرفه ، فإذا رأى أحد المسلمين مسلماً يتردى

---

(١) انظر : الخطابة : الإمام محمد أبو زهرة ص ١٥٢ ، ١٥٣
(٢) سورة الحج آية رقم : ٤١
(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٢ .

في موبقة هو يعلمها ، ولو لم يكن من الخاصة تصدى لنصحه وإرشاده وبيان ما أمره به الدين وما ينهاه عنه في هذا المقام.

٤ - مما يبين أهمية الخطابة الوعظية أن الجماعات الإنسانية لا تصلح إلا بالدين ، ولا يقوم لها شأن بغير هدايته ، ولا تستقر إلا بقوته ، ولهذا جاء الإسلام يخاطب العقل ويستصرخ الفهم واللب وشرك العواطف .

والأحاسيس في إرشاد الإنسان إلى الخير والعمل الصالح والإصلاح بين الناس ، قال تعالى :﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

وقال سبحانه :﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٢).

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٣ ، ٣٥ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١١٤ .

علاقة الخطابة بالعلوم الإنسانية

تمهيد: للخطابة صلة وثيقة بسائر العلوم وذلك لأن هدفها الإقناع والاستمالة في أي أمر من الأمور ، وهي لا تستطيع أن تؤتي ثمارها إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها وقد أشار ابن رشد إلى ذلك بقوله " إن كل صناعة إنما هي معلمة أي مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه لا في جميع الأجناس ، أما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء في أي مقولة كانت وأي جنس كان، ولذلك لا تنسب إلى جنس خاص" [١]

ولهذا فيجب على الخطيب لكي ينجح في مهمته أن يلم بأصول ما يعرف في عصرنا هذا باسم " العلوم الإنسانية " مثل علم : الاجتماع والنفس والمنطق والأخلاق والتاريخ والجغرافيا وغير ذلك من علوم تعينه على أداء مهمته ، وفهم المخاطبين ، وتكوينهم الفكري ، ومزاجهم الثقافي .

من هذه العلوم التي سنتحدث عنها ما يلي :

علم الاجتماع وعلم النفس وعلم المنطق .

---

(١) انظر : تلخيص الخطابة لابن رشد صـ ١٦

المبحث الثاني

علاقة علم الخطابة بعلم النفس :

الخطابة تهدف إلى التأثير في نفسية المدعوين لحملهم على ما يراد منهم ، ومن ثم يجب على الخطيب لكي يحقق هدفه أن يكون ملماً بعلم النفس وهو " العلم الذي يختص بدراسة سلوك الفرد وميوله ورغباته والتي تسمى أحياناً بالطبيعة البشرية " ليتعرف الخطيب على خواص العقل البشري ، ومناحي تفكيره ، والغرائز التي أودعت في النفس الإنسانية ، والميول التي كمنت في أطوائها ، وبهذه المعرفة يستطيع أن يثير الأهواء والنوازع إلى ما يدعوا إليه ويبتعث الميول من مراقدها ، ويوجهها إلى الغاية التي يريدها ، والمقصد الأسمى الذي يبتغيه " [1]

والدارس للكتاب الكريم فيما يتعلق بسلوك الفرد وميوله ورغباته يستطيع أن يتبين أن منها ما هو كامن في النفس البشرية ومنها ما يأتيها من الخارج ويؤثر فيها تأثيراً يبعدها عن الطريق التي توصل إلى ما يحقق لها الاتصاف بالإنسانية ومن ثم يتحتم على الخطيب أن يلم بالعوائق النفسية والتي تنقسم إلى قسمين وهي:

أولاً : عوائق نفسية داخلية : العوائق النفسية الداخلية هي الميول والرغبات المسيطرة على الفرد والتي يصدر عنها في تصرفاته ، والتي تكون جزءاً من شخصيته ولا يستطيع الفكاك منها إلا بعد جهاد مرير

---

(١) انظر الخطابة للإمام محمد أبو زهرة ص١٦٠

وكفاح شاق وقد تحدث القرآن الكريم عن كثير من هذه العوائق ، وبين خطرها إذا تسلطت على الفرد ولهذا فيجب على الخطيب أن يلم بها ليستطيع أن يؤثر في المخاطبين والتي منها ما يلي :-

أولاً : مرض الإنكار والتمرد : وهو جنوح الإنسان إلى عدم الاعتراف بالجميل لصاحب النعم ومسديها إليه ولقد عبر القرآن الكريم عن هذا الميل في إجمال تارة وفي تفصيل تارة أخرى [1] ، أما الإجمال فنجده في قوله تعالى :﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [2]. ويزيد القرآن هذا المعنى تأكيداً بأن هذه القضية لا تحتاج في تقرير صحتها إلى دليل خارج عن الإنسان نفسه لأن كل ما يصدر عنه بالنسبة لربه وخالقه تنطق بذلك فيقول سبحانه :﴿ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [3] .

وقد بين القرآن الكريم أن هذا المرض له عدة صور منها جنوح الإنسان في تجاهل صاحب النعمة وعدم ذكره إلا عندما تحيط به النوازل في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ ﴾ [4] . وقوله عز وجل :﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا ﴾ [5] .

---

(١) انظر : مقومات الإنسانية لدكتور : أحمد مهنا صـ ٣٤ .
(٢) سورة العاديات آية رقم : ٦ .
(٣) سورة العاديات آية رقم : ٨ .
(٤) سورة يونس آية رقم :١٢
(٥) سورة الإسراء آية رقم : ٦٧ .

أما الجنوح الأشد في داخل النفس الإنسانية التي يجب على الخطيب أن يحيط بها فتتمثل لا في الإعراض والتجاهل فحسب ، ولكن في الإنكار الكلي لأي صلة بين ما يرتع فيه الفرد من نعمة ومصدر هذه النعمة التي لو شاء لسلبها منه كما منحه إياها وهو إنكار يمليه الغرور ويضاعف شناعته التبجح ويعبر القرآن عنه في قوله سبحانه:﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ (1) .

وقد قص الله علينا مثالاً حيا لهذا النوع من الجحود عندما أخبرنا عن قارون، وما كان من نقاش بينه وبين قومه قال تعالى:﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ*قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ (2) .

أما الدرجة الأشد في جنوح النفس الإنسانية والتي يجب على الخطيب أن يكون فاهماً لها فهي التي لا يكتفي صاحبها بالتجاهل والإعراض ، ولا يقف على حد الإنكار الإيجابي لفضل الله عليه ، وإنما يعمل جهده في محاربة الله والصد عن سبيله ، والبغي في أرضه ويعبر

---

(1) سورة الزمر آية رقم : ٤٩ .
(2) سورة القصص . آية رقم : ٧٦ – ٧٨ .

القرآن عنه هنا في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾ (1) .

ثانياً : مرض الجمود الفكري : من موضوعات علم النفس التي كشف عنها القرآن الكريم في العوائق النفسية الداخلية التي يحتاج الخطيب إلى فهمها ثم محاولة علاج المخاطبين مرض التجمد الفكري وعدم الاعتراف بقانون الوجود ، وعدم الانتفاع من سنة الله التي تؤكد كل يوم أن الحياة لا تدوم على حال واحدة ، وينتج عن هذا المرض مشاكل نفسية كثيرة منها : عدم الاعتدال في الحزن والفرح ، فيصاب الإنسان إما بفرح مفرط ينسيه واجب الشكر ، وإما بحزن مفرط يدفعه إلى القنوط ويقضي على أمله في يسر يفرج الكرب ويزيل الغمة ويعبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله : ﴿ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ﴾ . (2)

وفي قوله عز وجل :﴿ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴾ (3) .

ثالثاً : مرض الأنانية وحب الذات : من العوائق النفسية الداخلية مرض الأنانية وحب الذات وهو مرض يمنع الإنسان من التضحية في سبيل دينه وعقيدته ، ويدفع الإنسان إلى حب الاستيلاء بالتملك أو بغيره

---

(1) سورة يونس – آية رقم : ٢١ .
(2) سورة الروم – آية رقم : ٢٦
(3) سورة الشورى . آية رقم : ٤٨ .

بأي وسيلة من الوسائل طالما أن ذلك يحقق رغبات النفس التي لا تنتهي عند حد معين . ولهذا كشف القرآن الكريم عن هذا المرض ، ووضع له العلاج الحاسم قال تعالى :﴿ زُيِّنَ لِلنَّاس حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالبَنِينَ وَالقَنَاطِير المُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ المُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ المَآبِ ﴾ [1] .

ومرض الأنانية وحب الذات يدفع الإنسان إلى التفاخر والتكاثر الذي يلازم الإنسان طول حياته وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ اعلَمُوا أنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا لعِبٌ ولَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولَادِ ﴾ [2] .ولقوله عز وجل:﴿ أَلهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ ﴾ [3] ولقوله تعالى :﴿ وَتَأكُلُونَ التُّرَاثَ أكلاً لَمّاً * وَتُحِبُّونَ المَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ [4] .

ثم يبين القرآن الكريم أن حب الإنسان لنفسه وللمال قد يدفعه إلى التخلي عن مثله ، والتنكر لأعز القيم التي يستند إليها بناء المجتمع ، وخيانة الأمانة ، ولهذا ينعم القرآن الكريم على هؤلاء ويتوعدهم بالعذاب الأليم . فيقول تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [5] .

---

(١) سورة آل عمران . آية رقم : ١٤ .
(٢) سورة الحديد آية رقم : ٢٠ .
(٣) سورة التكاثر . آية رقم : ١ ، ٢ .
(٤) سورة الفجر . آية رقم : ١٩ ، ٢٠ .
(٥) سورة التوبة . آية رقم : ٣٤ .

ويقــول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

وهكذا تتضح لنا النتائج الخطيرة لهذا المرض والتي منها محاولة جمع المال بكافة الطرق ولو كان على حساب التعدي على الحقوق والواجبات .

رابعاً : مرض التقليد والتمسك بالمألوف : من الأمراض النفسية الداخلية التي يجب على الخطيب أن يعالجها مرض التقليد لمن سبق من الأباء والأجداد ، والتمسك بالمألوف وما ألفته الجماعات وما ورثته من معتقدات باطلة وتقاليد فاسدة .

وهذا المرض متأصل في الإنسان منذ عصوره الأولى ، وقد كشف عنه القرآن الكريم وبين أضراره العقائدية والاجتماعية ، فقوم هود قالوا لـــه :﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (٢) .
وقوم صالح قالوا له :﴿ أَتَنْهَانَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ (٣) .

ويحكى القرآن الحوار الذي دار بين إبراهيم وقومه فنقرأ فيه قوله تعالى :" قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ " (٤) .

---

(١) سورة البقرة . آية رقم : ١٧٤ .
(٢) سورة الأعراف آية رقم : ٧٠ .
(٣) سورة هود آية رقم : ٦٢ .
(٤) سورة الأنبياء . آية رقم : ٥٣ .

ويتحدث القرآن الكريم عن المشركين فيقول :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ (١) .

وقوله تعالى:﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢) فعلى الخطيب أن يبين أن هذا المرض يدفع بصاحبه إلى عالم العجماوات أو الحيوانات ولا بيأس من معالجته ويسلك في سبيل تحقيق ذلك :

١- بيان أن الأجداد والآباء ليسوا مصدر تشريع ، وأنهم بشر لا يوحي إليهم ، فلا يؤخذ منهم منهج ، وإنما يؤخذ المنهج من الذي يوحي إليه .

ويتم ذلك بأسلوب علمي مهذب دون النيل من شخص أحد، حتى لا تنقلب الموازين لصالح موروثات الآباء والأجداد وهنا تظهر براعة الخطيب في تخليص الأتباع من القديم البالي ، وتحبيبهم فيما جاء به الشارع الحكيم كما فعل إبراهيم مع أبيه .

٢- على الخطيب أن يبين أن العلاقة بين موروثات الآباء وبين المنهج الإلهي ليست علاقة تضاد . فاحترام الصغير للكبير والشجاعة والكرم والحلم وصدق العهد . كل ذلك جاء به الإسلام وهو من الموروثات (٣) .

خامساً : مرض التنصل والإنكار : من الأمراض النفسية الداخلية مرض التنصل وإنكار التصرفات التي تظهر نتيجتها في غير صالح

---

(١) سورة البقرة . آية رقم : ١٧٠ .
(٢) سورة الأعراف . آية رقم : ٢٨ .
(٣) الدعوة الإسلامية . دكتور : حسين خطاب . ص ١٩٢ .

الإنسان إما بتبريرها والبحث عن سبب يبرر فعلها أو يوجبها ، وإما بإلقاء التبعة على الشريك في حالة وجوده ، أو على الرئيس ، أو المتبوع في حالة الاقتداء بالغيب . ونقرأ ما يدل على التبرير في قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (١) .

ويخبرنا الكتاب الكريم بأن محاولة التنصل من تبعة التصرفات ستظهر يوم القيامة عندما يتكشف لكل إنسان ما عمل يقول سبحانه في أهل النار :﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ (٢)

سادساً : مرض الاستعلاء والاستغناء : من المعوقات النفسية الداخلية أيضاً والذي يمثل جزءاً من طبيعة الإنسان إذا انحرف عن منهج الله مرض الاستعلاء والاستغناء ، وهو مرض يحتاج إلى معالجة حكيمة من الخطيب . وقد بين القرآن الكريم هذا المرض في أكثر من موضوع من ذلك قوله تعالى عن فرعون:﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة النساء آية رقم : ٩٤

(٢) سورة فصلت . آية رقم : ٢٩

(٣) سورة الزخرف . آية رقم ٥١ ، ٥٢ .

وقوله تعالى :﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى ﴾ (١) .

وفي معرض الاستعلاء والاستغناء أيضاً جاء قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ (٢) .

ففرعون في الآيات السابقة يعتز بملكه وسلطانه وثرائه ومنعته ، وهو بهذا يستعلي على قومه استخفافاً بهم . قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (٣) .

أما المترفون فإنهم يستدلون بما أعطاهم الله من أموال وأولاد على صلاحهم ونجاتهم من العذاب ، وجهدوا سنة الله في العطاء أو المنع فالله تعالى يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب وكذلك الأولاد أليس هذا دليل على صلاح الشخص ورضا الله عنه . فعلى الخطيب أن يعالج هذا المرض النفسي من خلال المنهج القرآني الذي سار عليه الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم .

سابعاً : الجزع والتحسر : من المعوقات النفسية الخطيرة التي تعوق رسالة الخطيب مرض الجزع وعدم الرضا بقدر الله إذا نزل بالإنسان مكروه أو امتحن ببعض الإبتلاءات التي لابد منها قال تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ

---

(١) سورة العلق . آية رقم ٦ ، ٧ .
(٢) سورة سبأ . آية رقم :٣٤ – ٣٥
(٣) سورة الزخرف . آية رقم : ٥٤ .

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [1] . وقولُه تعالى : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [2] .

كثيرٌ من الناس يصابون باليأس والقنوط من رحمة الله بسبب بعض هذه الابتلاءات ، ومن ثم يجب على الخطيب أن يفهم هذا المرض وأن يضع له العلاج ، فترويض النفس على تحمل الأذى والمشاق ، واكتساب التجارب والخبرات أمر محمود .

يقول ابن القيم :" إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت فيه أهلكته ، أو أنقصت ثوابه ، وأنزلت درجته ، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ، ويستعد به لتمام الأجر ، وعلو المنزلة ، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه ، كما روى صهيب قال : قال رسول الله (ﷺ) :" عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خيرٌ وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " [3] .

فهذا الابتلاء والامتحان من تمام نصره وعزه وعافيته [4] .

وقد ابتلى الأنبياء وأصحاب الرسالات والذين آمنوا معهم من لدن آدم – عليه السلام – إلى رسول الله (ﷺ)إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة البقرة . آية رقم ١٥٥ .
(٢) سورة العنكبوت آية رقم : ٢ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي – ص ١٨ – ص ١٢٥ .
(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – جـ ٢ ص ١٨٨-١٨٩ .

على المؤمن أن يطتبر ولا يتحسر على ما فات فقد روى البخاري بإسناده عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال شكونا إلى رسول الله (ﷺ) وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال :" قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر لـه في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الركب من صنعاء إلى حضر موت فلا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون "[1] . هذه بعض الأمراض النفسية التي أردت أن ينتبه إليها الخطيب لينجح في دعوته إلي الله تعالى .

ثانياً : عوائق نفسية خارجية : يجب على الخطيب أن يكون عالماً بالعوائق التي تأتي للإنسان من خارج نفسه لتزين لـه طريق المعصية وتبعده عن الفضيلة ، وتضع الحواجز بينه وبين الطريق المستقيم ، وتحاول طمس المعالم أمامه منها ما يلي :-

١- **إبليس:** بين القرآن الكريم نوع الصلة التي تربط إبليس وجنوده بالإنسان ، وبين أنها عداوة محكمة الأطراف ودائمة إلى يوم القيامة ، وأنه يعمل جهده لتحقيق غوايته وإضلاله للخلق حيث قال:﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [2] والتي سوف يتبرأ

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – جـ٧ص ١٦٤-١٦٥
(٢) سورة ص آية رقم ٨٣ .

منها على رؤس الأشهاد يوم القيامة كما أشار إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] .

٢ـ **عوائق بيئية :** وهي من العوائق الخارجية والتي تضع الحواجز والعوائق والتي لا تمكن الخطيب من استمالة المخاطبين إليه عدم إلمامه بالعوامل البيئية التي تغري الإنسان وتدفعه إلى الانحراف مثل القرابة التي يشعر المرء نحوها بتبعات ، وقد تدفعه هذه التبعات إلى الفتنة [2] قال تعالى :" في معالجة هذه العوامل: ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3] . وقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [4] .

وقال :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [5] .

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٢٢ .
(٢) أحمد مهنا : مقومات الإنسانية صـ ٣٦ .
(٣) سورة الأنفال : ٢٨
(٤) سورة التغابن : ١٤
(٥) سورة التوبة : ٢٣

إن الخطيب كما يقول الإمام محمد أبو زهرة لا يصل إلى غايته وإقناع السامعين وحملهم على المراد منهم إلا إذا استطاع أن يثير حماستهم ويخاطب إحساسهم ويتصل كلامه بشغاف قلوبهم ولا يمكنه ذلك إلا إذا كان عليما بما يثير به شوقهم ويسترعي انتباههم وعليماً بطبائع النفوس وأحوالها وغرائزها وسجاياها .

وذلك لا يكون إلا بعلم النفس وإذا كان علم النفس دعامة لعلم التربية فهو أيضا دعامة لعلم الخطابة لأن كليهما يهدي الإنسان إلى وسائل الإقناع والتلقين والتأثير (١) .

---

(١) انظر : محمد أبو زهرة الخطابة صـ ٦٦ .

المبحث الثالث

علاقة علم الخطابة بعلم الاجتماع :

تعريف علم الاجتماع :-

لعلم الاجتماع تعريفات متعددة بتعدد علمائه وتعدد النظريات والمذاهب الاجتماعية المختلفة،من هذه التعريفات،ما يلي :-

١- يعرف علم الاجتماع بأنه " علم المجتمع " على اعتبار أن المجتمع عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم إلى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة .

ومن هنا يكون موضوع علم الاجتماع هو " دراسة السلوك الاجتماعي الإنساني مع التأكيد على أهمية التفاعل الإنساني الذي يعبر عن سلوك الإنسان في علاقته بإنسان آخر ، ولهذا يميل من يؤيد هذا التفسير إلى تعريف علم الاجتماع بصورة أكثر تحديداً بأنه : مجموعة من التعميمات المترابطة تدور حول السلوك الاجتماعي الإنساني الذي نصل إليه عن طريق استخدام المناهج العلمية " (١) .

ويعرفه سوروكن بأنه :" دراسة الخصائص العامة والمشتركة بين أنواع الظواهر الاجتماعية " لذلك تقتضي هذه الدراسة دراسة

---

(١) انظر : د / محمد أحمد بيومي : أسس وموضوعات علم الاجتماع ص ٢٤

العلاقات والارتباطات بين الأنواع المختلفة من الظواهر الاجتماعية كالعلاقة بين الدين والاقتصاد مثلاً " [1] .

عرفه " ماكس فيبر " في كتابه الاقتصاد والاجتماع بقوله :" علم الاجتماع يهتم بتفسير وفهم الفعل الاجتماعي وتحليل مساره وآثاره للكشف عن الأسباب التي تؤدي إلى ذلك والفعل الاجتماعي هو سلوك إنساني سواء كان فعلاً خارجياً أو داخلياً وسواء كان إتياناً لعمل أو امتناعاً عن عمل ما وكيف وإلى أي مدى يضفي الفاعل أو الفاعلون على سلوكهم هذا ، معنى ذاتياً معيناً ويسمى هذا الفعل فعلاً اجتماعياً عندما يؤثر المعنى الذي يخلعه عليه الفاعل أو الفاعلون على سلوك الآخرين ويتأثر بهم في مساره وتطوره " [2] ومن أمثلة هذا الفعل أن ينظر واحد من الناس إلى فرد أخر نظرة عداء أو محبة أو تعاون أو عندما يقدم شخص لشخص أخر يجلس إلى مكتبه ورقة رسمية معينة ، أو عندما يصعد شخص إلى منصة الخطابة ويتجه إلى مجموعة الجالسين ويبدأ في الحديث إليهم .

وعلم الاجتماع بفروعه المختلفة يهتم بالظواهر الاجتماعية ويدرسها دراسة نظرية وعلمية ، بمعنى أنه يدرس الحقائق المحيطة بنشأة الظاهرة وتطورها وأنماطها ويدرس العلاقة بين سائر الظواهر .

---

(١) انظر المصدر السابق ص ٢٥ .
(٢) انظر : الدكتور محمد الجوهري : علم الاجتماع . النظرية . الموضوع – المنهج ط ١٩٧٧م

واكتشاف وظائفها والقوانين الاجتماعية التي تحكمها وذلك لينتفع بهذه القوانين في عملية الارتقاء بأحوال المجتمعات وحل مشكلاتها وتحسين مستويات الجنس الإنساني بصفة عامة .

الصلة بين علم الاجتماع والخطابة :

إن دراسة البنيان الاجتماعي والعمليات الاجتماعية ، والتنشئة ، والتغيير الاجتماعي من الضروريات الهامة للخطيب لأنها هي التي تمكنه من الإحاطة بواقعية المجتمع الذي يخاطبه ومن ثم يقدم الدواء الملائم .

يقول الفارابي:"إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخى طباع الناس، وتلون أخلاقهم وتباين أحوالهم ".

ويقول أفلاطون " لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ولكل إنسان خليقة فعامل الناس على خلائقهم والتمس من الأمور حقائقها ، واجر مع الزمان طرائقه " (١) .

وهذا يدل على تأكد الصلة بين الاجتماع والخطابة ، وضرورة الاستفادة بقوانين الاجتماع في الخطابة بل إن الدراسة الميدانية الحديثة لعلم الاجتماع تحتاج إلى الخطابة أيضاً ، فالتوعية الاجتماعية تعترف بدور الخطابة الرئيسي في مجال التوعية وبخاصة في المجتمعات التي تشيع فيها الأمية ولهذا ينادي علماء الاجتماع بضرورة الاستفادة بدور العبادة في التوعية لأن الناس يأتون إليها طواعية وبشكل منتظم . (٢) وذلك لأن الإنسان منذ أن ولد على ظهر الأرض وهو مرتبط بكل ما

---

(١) انظر : دكتور احمد غلوش : قواعد الخطابة وفقه الحق والعبدين صـ ٦
(٢) المصدر السابق صـ ١٦

حوله يتأثر به ويؤثر فيه وهذا يرجع إلى طبيعة الإنسان الأصلية التي ولد بها ، وميله الطبيعي الضروري الذي يجعله يعتمد على الجماعة بنظمها المختلفة .

والجماعات التي يعيش فيها الإنسان ويمر بها في مختلف أطوار حياته جماعات متعددة : أولها الأسرة ، ثم زملاء الطفولة ثم جماعة الأصدقاء ، ثم الجماعات المدرسية ، وجماعة الهوايات ، ثم الجماعات الدينية والسياسية ، والمنظمات الاجتماعية والاقتصادية ومن المعلوم أن الإنسان إذا نشأ في جماعات صالحة فإنه سيكتسب منها الصلاح . وإذا نشأ في جماعات فاسدة فيكتسب منها الفساد فالجماعة بالنسبة للفرد كالتربة بالنسبة للنبات ، فإذا كانت التربة صالحة صلح النبات وترعرع وأثمر ، وإن كانت غير صالحة ضمر نبتها وعجز عن الإثمار. وقد أشار إلى ذلك حديث النبي (ﷺ) الذي يقول فيه :" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تلد البهيمة الجمعاء هل تجدون فيها من جدعاء ". (1)

ومن هنا تظهر أهمية الدور الكبير الذي يقوم به الخطيب في الجماعة وتنشئة الأجيال تنشئة سليمة يكتسبوا خلالها القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية ، وأيضاً في إعداد المدعوين وتغييرهم من سئ إلى حسن ، ومن حسن إلى أحسن عن طريق خطبه التي تعايشهم وتعالج ما

---

(1)

يطرأ عليهم من أمراض ، وهذا لا يتحقق للخطيب إلا إذا كان محيطاً بعلم الإجتماع .

علم الاجتماع وفقه الواقع :

الخطيب الناجح هو الذي يستطيع أن يفهم فقه الواقع من خلال الإلمام بعلم الاجتماع وسياسة الناس وما يجب لكل طبقة من المعاملة وما يلزم لكل صنف من الناس من خطاب ، يجب أن يكون عليماً بروح الجماعة دارساً لأخلاقها فاهماً لما يسيطر عليها .

وإذا كان ذلك لازم للخطيب ، فمن الواجب إذن أن تكون قوانين الخطابة متصلة بقوانين الجماعات وناموسها ، مستمدة منها قوة ومن مشاربها مسلكاً " وقد كان من أبرز الخصائص التي جعلت المنهج النبوي في التغيير والنهوض والبناء الحضاري ، محلاً للاقتداء والتأسي ، وجعلته نموذجاً يحتذى، إنما هي في واقعيته، وتوافقه مع فطرة الإنسان ، وتعامله مع السنن الجارية في الكون ، ومن خلال عزمات الإنسان ، بضعفه وقوته ، وتذكره ونسيانه وفطرته وغريزته ونزوعه إلى الخير وانحداره في الشر واستيعاب جميع ما يتعرض له في الظروف والأحوال والقابليات ، من الشدة والرخاء والسقوط والنهوض والهزيمة والنصر ليكون المنهج من ثم دليلاً ومرشداً ، في كيفية التعامل مع الأحوال كلها ، من خلال الاستطاعات المتوفرة والظروف المحيطة ، ولم يتحقق من خلال تعامله مع السنن الخارقة ، الخارجة عن طاقة البشر

، التي قد تسهم بالتواكل والإلغاء وانطفاء الفاعلية ، وتؤدي إلى السلبية ... وبهذا تحكم بالزمن تسخيراً وإنتاجاً بعيداً عن النظرة الدهرية والجبرية الزمانية ... وأبطل عبث العابثين بمساره ليتحقق الإنسجام بين السنن الكونية ، والسنن النفسية والاجتماعية [1] ، ومن المهم أيضاً للخطيب أن يطلع على مقررات علم الاجتماع الحديث فكثيراً ما يتخذ بعض ما يحويه سلاحاً لضرب الدين وتعويق دعوته كما فعل عالم الاجتماع اليهودي دوركايم حيث جعل الفرد دمية يحرك خيوطها المجتمع ، مما يتنافى مع المسئولية الفردية التي يؤكدها الدين . ويقيم عليها بناء التكليف وفكرة الثواب والعقاب .

---

(١) انظر :عمر عبيد حسنه من فقه التغيير صـ ٩٤

المبحث الرابع :

علاقة المنطق بعلم الخطابة

للمنطق علاقة قوية بعلم الخطابة فالخطابة لا تخلو من المنطق أبداً فيها القياس بأنواعه ، وفيها كثير من أجزاء المنطق كالجدل والبرهان والحد والرسم . وهذا ما حدا بالأقدمين أن يجعلوا الخطابة جزءاً من المنطق .

وبعد استقلال الخطابة عن المنطق نراها تستخدم المنطق حين أدائها لدورها حتى اشتهر القياس الخطابي . والقصص الجدلي . والأقيسة الإضمارية وغيرها وكل ذلك أخذته الخطابة من المنطق . وصاغته بصورة تلائم مقامها لأنها تسوق القياس بذكر إحدى مقدمتيه مكسوة بالطلاء الجمالي الذي يجعله مقبولاً من النفس والعاطفة وتحذف الكبرى غالباً ، والقصص الجدلي نوع من البراهين المنطقية ، والجدل العقلي يرد في شكل حوار بين أشخاص القصة التي يستغلها الخطيب للتأثير والتدليل والقياس الاضماري هو القياس الذي تظهر نتيجته من غير ذكر مقدماته لأنها مفهومة من فحوى الكلام .

وهذا ويجب على الخطيب أن يجعل خطبته متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض وهذا لا يكون إلا بتسلسل الأفكار وتتابعها ، مع قوة الأسلوب وحسن العبارة وجمال الألفاظ .

وهكذا فعلم المنطق خادم لعلم الخطابة لأن المنطق كما يعصم الذهن من الخطأ يستنبط أيضاً منه ما يرشد الذهن إلى الأخذ بقوانينه [١] .

يقول الفارابي عن المنطق في كتابه إحصاء العلوم :" إنه صناعة تعطى بالجملة القوانين التي أن تقوم العقل ، وتسدد الإنسان نحو طريق الصواب ، ونحو الحق في كل ما يمن أن يغلط فيه من المقولات والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل والغلط في المقولات والقوانين التي يمتحن بها في المقولات "[٢]

بل إن الفارابي يوضح أن الخطيب لا يستطيع أبداً أن يبتعد عن المنطق كما أنه لا يستطيع أبداً أن يبتعد عن علم النحو فيقول :" إن نسبة صناعة المنطق إلى العقل والمعقولات ، كنسبة صناعة النحو إلى اللسان والألفاظ . فكل ما يعطينا إياه علم النحو في الألفاظ فإن علم المنطق يعطينا نظائرها في المعقولات وكما أنه لا يستقيم الكلام الفصيح إلا باتباع قواعد النحو ، فكذلك لا يستقيم التفكير السديد إلا باتباع قواعد المنطق والسير على منهاجه .

فالمنطق يفيد من حيث أنه يساعد على التماس الحق عند أنفسنا وعند غيرنا ، وعلى الدفاع عن أفكارنا ، وإلا فإننا إن جهلناه " لم تقف من حيث نتيقن على صواب من أصاب منهم كيف أصاب ، ومن أي

---

(١) انظر الدكتور أحمد غلوش : وقاعد الخطابة وفقه الحيضه والعبدين صـ ١٧ : ١٨
(٢) انظر الدكتور عبد الفتاح أحمد الفاو دراسات في المنطق صـ ١٥٨

جهة أصاب ، وكيف صارت حجته لا توجب صحة رأيه فيعرض لنا عند ذلك إما أن نحسن الظن بجميعهم وإما أن نتهم جميعهم وإما أن نشرع في أن نميز بينهم فيكون كل ذلك منا بلا تثبت ومن حيث لا نتيقن . فالمنطق ضروري لمن احب ألا يقتصر في اعتقاده على الظنون [١] .

ويرى الإمام الغزالي أن المنطق هو الميزان المعرفي ، والمعيار الفكري والمحك النظرى لأن المنطق من النطق وبالنطق يتميز الإنسان عن سائر الحيوان فيقول " إن الإنسان لا يبلغ غايته إلا بالمنطق ولو تمكن البلوغ إلى أقصى السماوات العلوية بشيء سوى النطق لكان خطاب الباري وتكليف الشرع وإقرار العبودية وتصديق النبوة واثبات الربوبية متعلقا بذلك الشيء ، فلما توخيت هذه المعاني على النطق علمنا أن الإنسان ما تميز من الحيوانات إلا بالمنطق " [٢] .

ويبين الدكتور عبد الفتاح الفاو أن المنطق يقود الإنسان إلى الحق ، ولما كان الخطيب يقود الناس إلى الحق والاستماع والإقناع والاستمالة فكان لابد له أن يتعلم المنطق فيقول : " فكأن الحق الذي يتضمنه النطق لا يقود إليه إلا المنطق ، والإنسان لما لم تكن علومه موهوبة له بالفطرة ومبذولة له بالغريزة كانت لا محالة مستحصلة مطلوبة وهو في طلبها يتجشم مصاعب شتى : النظر والاستدلال والاستنباط ، والاعتبار

---

(١) انظر الفارابي : إحصاء العلوم صـ ٥٤ نقلا عن دراسات في المنطق صـ ١٥٩
(٢) انظر : الغزالي : المعارف العقلية تحقيق دكتور عبد الكريم عثمان صـ ٣٥ ـ ٣٦

والتنظيم والترتيب إلى غير ذلك . والوسيلة التي تهون عليه هذه الصعاب ، وتضمن لـه التوجيه السليم إلى جهة المطلوب هي المنطق [1].

(1) دكتور عبد الفتاح أحمد الفاو دراسات في المنطق صـ ١٧٠ .

الفصل الخامس

خصائص الخطابة الإسلامية

ويشتمل على

١- الدعوة إلى الإيمان بالله وحده .

٢- الدعوة إلى الإيمان بالوحي .

٣- الدعوة إلى الاعتزاز بالعقيدة .

٤- الدعوة إلى إظهار الجانب الروحي .

٥- الدعوة إلى بناء الأمة الإسلامية .

٦- الدعوة إلى إعلاء قدر الإنسان .

٧- الدعوة إلى التسامح مع المخالفين .

٨- الدعوة إلى إنصاف المرأة وفق الضوابط الشرعية .

من خصائص الخطابة الإسلامية

للخطابة الإسلامية خصائص كثيرة تنبع من عالمية الرسالة الإسلامية ، لأن الخطاب الإسلامي ليس خاصاً لجنس دون جنس ، وإنما هو موجه للناس جميعاً منذ اللحظة الأولى لبدء الوحي الكريم. وقد ذكر العلماء خصائص كثيرة للخطابة الإسلامية منها ما يلي :

أولاً : الدعوة إلى الإيمان بالله وحده :-

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تدعو إلى الإيمان بالله الواحد الأحد الذي لا شريك ، ولا ند له ، ولا مثل له. فهو "﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [1]. وهو ﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [2] ،﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [3] ،﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[4] .

وأن الشرك أعظم جريمة يقترفها مخلوق :﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن

---

(١) سورة الإخلاص آية رقم ١-٣ .
(٢) سورة الشورى آية رقم ١١ .
(٣) سورة المؤمنون آية رقم ٩١ .
(٤) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢ .

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [1].

وذلك " لما فيه من ظلم للحقيقة ، وتزوير على الواقع ، وانحطاط للإنسان من مرتبة السيادة على الكون – كما أراد الله العبودية والخضوع للمخلوقات سواء كانت جماداً أم نباتاً أم حيواناً أم إنساناً " [2] ولهذا قال تعالى :﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [3] .

ولأن الشرك وكر للأباطيل والخرافات دعا القرآن إلى عبادة الله وحده وأعلن أن ذلك هو المبدأ الأول المشترك في رسالات النبيين أجمعين ، فكل نبي نادي قومه إلى عبادة الله وحده قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [4] . ومقتضى العبادة المطالب بها الإنسان " أن يجعل المسلم أقواله وأفعاله وتصرفاته وسلوكه وعلاقاته مع الناس وفق

---

(١) سورة النساء آية رقم ٤٨ .
(٢) كيف نتعامل مع القرآن العظيم . للدكتور يوسف القرضاوي صـ ٦٥
(٣) سورة الحج آية رقم ٣٠ ، ٣١ .
(٤) سورة النحل . آية رقم ٣٦ .

المناهج والأوضاع التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ، يفعل ذلك طاعة واستسلاماً لأمره " [1] وهذا لا يتحقق إلا من خلال العمل على تأصيل التنشئة الإيمانية ، والهوية الإيمانية ، والجنسية الإيمانية ، والثقافة الإيمانية ، ومن ثم تصبح القيم والنظم والأخلاق والعادات والتقاليد والفنون وشبكة العلاقات الاجتماعية مستمدة من معطيات الإيمان بالله تعالى .

ثانياً : الدعوة إلى الإيمان بالوحي :

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تدعو إلى الإيمان بالوحي باعتباره أساس الدين ، فتعاليم الدين وأحكامه ليست من صنع الرسول – أي رسول – بل هي وحي أوحاه الله إليه بطريقة من طرق الوحي، وتعاليم الإسلام وأحكامه جاءت إلى النبي (ﷺ) بطريق الوحي الجلي بوساطة سيدنا جبريل –عليه السلام- أمين الوحي. قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [2] وقال تعالى :﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى القُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [3] وقال سبحانه : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [4]

---

(١) مقاصد المكلفين للدكتور / عمر الأشقر . ص٤٦ .
(٢) سورة الشعراء . آية رقم : ١٩٣ – ١٩٥ .
(٣) سورة النمل . آية رقم : ٦ .
(٤) سورة النجم . آية رقم : ١- ٦ .

وإيماننا بالوحي الكريم يجعلنا ملتزمين – بحكم عقيدتنا – بأحكام الإسلام وأوامره ونواهيه : في العقيدة والشريعة والسلوك والمفاهيم والتقاليد . فنحن نصلي ونصوم ونتعبد كما يأمرنا الإسلام ، ونحن نأكل ونشرب ونلبس ونتجمل ونبيع ونشتري ونتعامل ، كما يأمرنا الإسلام ، ونحن نتزوج ونعاشر وننجب ، ونتوافق أو نطلق ، كما يأمرنا الإسلام ، ونحن نتعامل مع أمرائنا وحكامنا في السلم والحرب ، والعافية والبلاء ، كما يأمرنا الإسلام . ونحن نتعامل مع غير المسلمين في الداخل والخارج ،كما يأمرنا الإسلام .

فما دام هناك أمر ملزم من الله ورسوله،أو نهي محرم من الله ورسوله،فليس لنا إلا أن نقول:سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

ويقول :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [2] .

ولا يكون الفرد المسلم مسلماً ، ولا المجتمع المسلم مسلماً حقاً ، إلا إذا احتكم كل منهما إلى شريعة ربه ، مؤمناً بأن ما شرعه الله له ،خير

---

(١) سورة النور . آية رقم : ٥١ .
(٢) سورة الأحزاب . آية رقم : ٣٦ .

مما يشرعه لنفسه ، وأنه ليس أعلم من الله بخلقه ، ولا أبر بهم منه سبحانه وتعالى ، وأنه أرحم بهم من الوالدة بولدها . وقد شرع لهم من الأحكام ما يعلم أن فيه الخير والمصلحة لهم في دنياهم وآخرتهم[1] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [2]

والخطيب مطالب في كل خطبه أن يظهر هذه الخصيصة ويؤكد عليها وأن يفند ادعاءات المستشرقين والمبشرين والعلمانيين الذين يحاولون فصل الإسلام عن واقع الحياة أو نقض الوحي الشريف

ثالثاً : الدعوة إلى الاعتزاز بالعقيدة :

من خصائص الخطابة الإسلامية في هذا العصر أنها تعمل على تأكيد الاعتزاز بالعقيدة في قلب كل مسلم والإعلان عنها باعتبارها عقيدة التوحيد الصافية من كل شوب ، وباعتبارها العقيدة الشاملة ، والعقيدة الخاتمة ، وباعتبار أن الله تعالى حفظ مصادرها من الضياع ومن التحريف ومن التبديل .

والعقيدة الإسلامية وحدها هي التي تجيب على التساؤلات التي شغلت ولا تزال تشغل الفكر الإنساني ، بل وتخبره من أين جاء ؟ ومن أين جاء هذا الكون ؟ ومن الموجد ؟ وما صفاته ؟ ولماذا أوجدنا وأوجد

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة . للدكتور / يوسف القرضاوي .ص ٦٥-٦٦- الطبعة الأولى ٢٠٠٤م . دار الشرق

(٢) سورة الملك . آية رقم :١٤

الكون ؟ وما دورنا في هذا الكون ؟ وما علاقتنا بالخالق الذي خلقنا ؟ وهل هناك مخلوقات عاقلة مفكرة غير هذا الإنسان ؟ وهل بعد هذه الحياة من حياة أخرى نصير إليها ؟ وكيف تكون تلك الحياة .هذه الأسئلة وغيرها لا توجد عقيدة تجيب عليها إجابة صادقة وشافية ومقنعة سوى العقيدة الإسلامية

والسبب في ذلك أن العقيدة الإسلامية هي العقيدة الوحيدة الباقية بأصلها الرباني قال تعالى : ﴿ إن نحن نزلنا الذكر وإن له لحفظون ﴾ [(١)] ولذلك اعتز كل مسلم بانتسابه إلى هذه العقيدة وهاهو رسول الله (ﷺ) يعلن عن الاعتزاز بها عندما يعرض عليه عمه العدول عن دعوته عندما وسطته قريش فرد عليه رسول الله (ﷺ) قائلاً :" والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه ". [(٢)]

وهذا الاعتزاز رأيناه عند صحابة النبي (ﷺ) فقد تحملوا المكاره عن رضا وحب في ذات الله تحملوا سياسة التجويع والضرب والإيذاء من كفار مكة دون أن تلين لهم قناة ، بل توهجت شعلة الإيمان في قلوبهم واعتزازاً بعقيدتهم وهاهو ربعي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس ، وقد سأله : من أنتم ؟ فقال بكل اعتزاز : نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من

---

(١) سورة الحجر آية رقم : ٩ .

(٢) حديث ضعيف أخرجه ابن إسحاق جـ١ صـ ١٧٠ قال الهيثمي في المجمع جـ٦ صـ ١٥ " رواه أبو يعلي باختصار يسير ، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح

عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام " .

إن الخطيب مطالب بأن يوصل اعتزاز العقيدة في قلب كل مسلم حتى يرسخ في نفس المستمع أنه لا يساوم على دينه ولا يتهاون فيه بحال من الأحوال ، ولا يبيعه بملك المشرق والمغرب ، ولا يفرط فيه ، وإن نزلت به المحن ، ومسته البأساء والضراء ، وأحاط به الكرب من كل جانب ، ولقد ضرب أصحاب النبي أروع الأمثلة في الاعتزاز بالعقيدة وهاهو عبد الله بن حذافة يذهب إلى الروم على رأس كتيبة ليقاتل في سبيل الله بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ولكنه بعد صولات وجولات مع العدو يقع أسيراً مع بعض أفراد كتيبته في يدي جنود هرقل الذي يأمر أن يؤتي به مقيداً بالسلاسل إلى قصره ، وفي القصر يقول له هرقل : يا عبد الله تنصر وأعطيك نصف ملكي .. تنصر .. أي اترك دين الإسلام وأدخل النصرانية ! وأنا أتنازل لك عن نصف ملكي .هكذا يحاول الطغاة من أعداء الإسلام في كل زمان أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم وعقيدتهم – فماذا فعل هذا البطل المجاهد ؟ أمام هذا الإغراء الذي يعرضه هرقل . هل يبيع دينه مقابل المال ولو كان نصف ما يملك إمبراطور الروم ؟ لقد كان رده حاسماً . قال عبد الله .. وهو المقيد بالسلاسل والأصفاد .. وهو سليب الحرية .. أمام ذئب من ذئاب البشرية الضارية : والذي بعث محمداً بالحق .. لو عرضت على الدنيا كلها ما

تركت دين محمد .. الدنيا .. الدنيا كلها لو كانت ملكاً لعبد الله لداس عليها في سبيل عقيدته .

وعند ذلك فار الدم في عروق الإمبراطور الغاشم وأمر زبانيته بأن يصلبوه ويضربوه بالسهام .. وأخذ الرماة يصوبون السهام إليه وهو يقول لا إله إلا الله محمداً رسول الله .

ولما لم يفلحوا في تعذيبه استشاروا هرقل في أمرهم فأمر بإنزاله.. على أن يغيروا العذاب إلى لون آخر فأدخلوا عليه امرأة غانية حتى توقعه في الفاحشة ، فما استطاعت وخرجت وهي تقول إن هذا الرجل كالحجر فازداد غليان الدم في عروق هرقل فأمر أن توقد النار تحت قدر كبير وبعد أن اشتد الغليان واحمر جسد القدر ، قال هرقل : يا عبد الله .. تنصر وإلا ألقيتك في هذا الماء الذي يذيب العظام .فقال له عبد الله : والله لا أتنصر أبداً . افعل ما تشاء فأنت تعذب بدناً فانياً فأمره بأن يلقي بنفسه في الماء، وعندما وصلها زرفت الدموع من عينه ، ورآها هرقل .. وظن أنه تراجع فقال له ما الذي يبكيك ؟ فقال له عبد الله : والذي بعث رسوله بالحق لا أبكي خوفاً من النار .. إنني أبكي لأن لي نفساً واحدة ستضحي في سبيل الله .. وكنت أود أن يكون لي مئة نفس أضحي بها في سبيل الله !!

وعندئذ شعر هرقل بأنه ضئيل أمام جبل أشم فقال له : يا عبد الله لي مطلب أخير لديك إن فعلته فرجت عنك .. قال وما هو ، قال : تقبل رأسي وأطلق سراحك .. قال لا بل تطلق سراح إخواني قبلي .. فوافق

هرقل ووافق عبد الله وعاد إلى المدينة المنورة .. إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وقص عليه ما جرى .. فقام عمر -رضي الله عنه- وقبل رأس عبد الله بن حذافة وقال : حق على كل مسلم أن يقبل رأسك يا عبد الله .

هكذا كان أصحاب النبي يعتزون بعقيدتهم ويفتخرون بالانتماء إليها ولله در من قال : "

أبي الإسلام لا أب لي سواه   إذا افتخروا بقيس أو تميم

بل كان الواحد منهم يناجي ربه وهو يقول :

ومما زادني شرفاً وعزاً   وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك : يا عبادي   وأن أرسلت أحمداً لي نبياً

رابعاً الدعوة إلى إظهار الجانب الروحي :

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تدعو إلى إظهار الجانب الروحي وذلك لأن الجانب الروحي في الدين هو الغاية وهو الجوهر ، والدعوة إلى الجانب الروحي لا تعنى إهمال الجانب المادي من الحياة فالله خلق الإنسان مزدوج الطبيعة فيه قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (١) . والجانب الروحي في الإنسان يشمل ما يلي :-

---

(١) سورة ص . آية رقم : ٧١ ، ٧٢ .

- الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، فلا عبادة إلا له ولا استعانة إلا به ، ولا إذعان إلا لأمره . فهو الخالق المنعم :﴿ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١) .
- الإيمان بالآخرة دار الجزاء والخلود ، التي توفى فيها كل نفس ما كسبت ، وتجزي بما عملت :﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (٢) .
- عبادة الله وتقواه ، بأداء فرائضه ، وإقامة شعائره ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وإحلال حلاله ، وتحريم حرامه .
- التقرب إلى الله تعالى بالنوافل والذكر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار .
- تطهير القلب من الآفات النفسية والخلقية ، ومن أمراض القلوب ، التي تجعله سكناً للشياطين ، والتي سماه الإمام الغزالي في إحيائه بالمهلكات ، كالكبر والعجب والغرور والرياء وحب الدنيا وحب المال وحب الجاه والغضب والحق والحسد والبغضاء . (٣)

إن الخطيب الناجح هو الذي يعالج الآفات النفسية والخلقية والسلوكية التي أرقت أمن وسلامة المجتمع المسلم وأوردته موارد الهلكة والدمار .

---

(١) سورة الأنعام . آية رقم : ١٠٢ .
(٢) سورة الزلزلة . آية رقم : ٧-٨ .
(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة . د/ يوسف القرضاوي . ص ٨٠

خامساً : الدعوة إلى بناء الأمة الإسلامية :

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تعمل على بناء الأمة الإسلامية ونهضتها من كبوتها ، وتبعد عنها مظاهر المرض والتوعك التي تتمثل في عجز المؤسسات التربوية عن أداء دورها على الوجه الأكمل لصناعة أجيال قادرة على البناء الحضاري والاستقرار الاجتماعي والسياسي والازدهار الاقتصادي المصحوب بتماسك طبقات المجتمع .

من خصائص الخطابة الإسلامية أيضاً لبناء الأمة إحياء دراسة السنن الاجتماعية في الأنفس والآفاق وإدراك قوانين الحركة التاريخية في نهوض وسقوط الأمم . والانتباه إلى الأبعاد الحقيقية لمفهوم فروض الكفاية ، وموقعها كواجبات اجتماعية ، تساهم في تماسك نسيج الأمة الاجتماعي ، وتشعرها بالمسئولية التضامنية .

إن الخطابة الإسلامية هي وحدها القادرة على إحياء هذه الفروض التي همشت حتى كادت تقتصر على قضايا المصير ، وكل ما يتعلق بحالات الوفاة ولوازمها من التغسيل والتكفين وحمل الجنازة ودفنها ، بعيداً عن إبراز دورها في آفاق الحياة المتعددة .. هذا إضافة إلى انكماش مفهومها في ذهن المسلم المعاصر .

ومن الأمور المهمة في بناء الأمة الإسلامية تأصيل مفهوم الولاء لأنه يعمل على تفاعل العناصر المكونة للأمة المسلمة ، فوجود الولاء في

واقع الأمة يبعد عنها الأمراض القاتلة كالرشوة والاختلاس والإفساد المتعمد والتآمر على عقل الإنسان وصحته كما هو واقع الحال في عصرنا الحاضر ولهذا قال تعالى :﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢)

و قال تعالى :﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٣) وقال (ﷺ) :" المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه " (٤) ، أي لا يخذله عند الشدة أو عند الاعتداء عليه بل ينصره ويسانده ، وهذا هو مقتضى الأخوة وهو ما يؤكده قوله (ﷺ) :" المسلمون تتكافأ دماؤهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم " (٥).

الخطابة الإسلامية تحذر أبلغ التحذير من عداوة الأمة الواحدة إلى حد أن يحارب بعضها بعضاً كما كانت تفعل قبائل الجاهلية يقول (ﷺ) :" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض " (٦).

---

(١) سورة المؤمنون . آية رقم : ٥٢ .
(٢) سورة الأنبياء . آية رقم : ٩٢ .
(٣) سورة الحجرات . آية رقم : ١٠ .
(٤) متفق عليه عن ابن عمر كما في صحيح الجامع الصغير .
(٥) رواه أبو داود في الجهاد . حديث رقم ٢٧٥١ . وابن ماجة . حديث رقم ٢٨٥٢ .
(٦) متفق عليه عن جرير بن عبد الله . كما في اللؤلؤ والمرجان .

سادساً :الدعوة إلى إعلاء قدر الإنسان .

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تدعو إلى احترام الإنسان ، الذي خلقه الله في أحسن تقويم ، وكرمه أعظم تكريم : جعله في الأرض خليفة ، وسخر له ما في الأرض جميعا منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، وبعث له الرسل ، وأنزل له الكتب ، وعلمه البيان ، وهداه السبيل ، وعلمه ما لم يعلم ، وخلق أبا هذا النوع . وهو آدم – بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وفضله بالعلم عليهم ، وطرد إبليس من بينهم حين تمرد على السجود له .

نقرأ ذلك في القرآن بوضوح : ﴿ لقدْ خَلقنَا الإنسانَ فِي أحْسَنِ تقويم ﴾ (١) ، ﴿ ولَقدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٢) ، ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ (٤) ، ﴿ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ

---

(١) سورة التين . آية رقم : ٤.

(٢) سورة الإسراء آية رقم : ٧٠ .

(٣) سورة البقرة . آية رقم : ٣٠ .

(٤) سورة لقمان . آية : ٢٠ .

وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار ﴾ [1] ، ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان *علمه البيان ﴾ [2]،﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [3] ، ﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[4] .

إن الإسلام رفع الإنسان مكانا عاليا ، حين كلفه القيام بخلافة الله في الأرض ، واستعمره فيها ، وحمله أمانة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وهي أمانة المسئولية وحمل التكاليف .

إن الإسلام لا ينظر إلى الإنسان على أنه مجرد حيوان تطور من مراحل دنيا حتى انتهى إلى هذه المرحلة كما يقول "دراون" وأتباعه . بل هو مخلوق خلقا مستقلا ، ليقوم برسالته في الأرض ، ليعمرها ، ويؤدي حق الله فيها ، ويقوم بوظيفة الخلافة لله . وقد هيأه الله تعالى بتكوينه المزدوج : الطيني والروحي ليقوم بهذا الدور ، الذي لا يقدر عليه الملائكة . وسر ذلك يكمن في هذه النفخة التي أودعها الله فيه، بجوار قبضة التراب أو الطين التي تكون منها جسده الذي يمثل الغلاف الظاهري للإنسان .

---

(1) سورة إبراهيم . آية رقم : ٣٤ .
(2) سورة الرحمن . آية رقم :١-٤ .
(3) سورة الإنسان . آية رقم : ٣ .
(4) سورة ص . آية رقم : ٧١-٧٢.

ليس الإنسان حيواناً بل سخر الله له الحيوانات ، وكل الكائنات الحية على الأرض في اليابسة أو في الماء ، كما أنه ليس إلهاً كبعض الفلسفات الغربية التي تؤله الإنسان ، وترفعه فوق قدره ، وتتجاوز به حده وما أنجزه الإنسان على الأرض من علم وتكنولوجيا ، وثورات غيرت وجه البسيطة ، ومنحت الإنسان من القدرات والإمكانات ما لم يكن يحلم به ، هذا كله من فضل الله عليه ، وبره به ، كما قال تعالى في أول وحيه على محمد : ﴿ اقرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١)

إن الإسلام بتشريعاته يرعى فطرة الإنسان فلا يصادرها ، ولا يصادمها ، ولا يعلن الحرب على دوافعها الطبيعية .

فلا يصادر مثلاً غريزة الإنسان الجنسية ، ولا يعتبرها رجساً من عمل الشيطان ، بل يعترف بها ، ويدعو إلى التسامي بها ، والعمل على تصريفها والاستمتاع بها في الحلال (٢).

ترعى الخطابة الإسلامية الكرامة الإنسانية فلا تسمح بإهانة الإنسان لا حياً ولا ميتاً . ولا تجيز إذلال الإنسان لأخيه الإنسان ، فالناس كلهم مخلوقون لله ، ولا يجوز أن يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله .

وذلك لأن الإسلام يرعى حرمة الإنسان : حرمة دمه وعرضه

---

(١) سورة العلق . آية رقم : ٣ – ٥ .
(٢) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة صـ ٥٨ ، ٥٩ .

وماله .فحياة الإنسان مقدسة ، ولها حرمة عظيمة عند الله ، لا يجوز قتلها بغير الحق ، حتى إن القرآن ليقرر مع كتب السماء : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ (١) .

يحترم الإسلام حياة الحيوان ، فلا يجيز قتله بغير حق ، كما في الحديث :" دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " (٢) كما لا يجوز الاعتداء عى حياة الإنسان ، ولا يجوز الاعتداء على جسمه أو عضو منه بالضرب والأذى . كما لا يجوز الاعتداء على الدم ولا يجوز الاعتداء على العرض (٣).

وكذلك حرم الإسلام الغيبة وهو أن تذكر الإنسان في غيبته بما يكره ، ولو كان ذلك فيه بالفعل ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة . آية رقم : ٣٢
(٢) رواه البخاري عن ابن عمر (٨٢ ٣٤) .
(٣) المصدر السابق صـ ٦٠
(٤) سورة الحجرات . آية رقم :١٢ .

لا ينبغي أن يذكر الإنسان إلا بخير حتى بعد موته ، كما في الحديث : " لا تذكروا موتاكم إلا بخير " [١] . وفي حديث آخر :" لا تسبوا الموتى فإنهم أفضوا إلى ما قدموا "[٢] .

كذلك حرم الإسلام الاعتداء على المال ، فلا يحل له أخذ مال امرئ إلا بطيب نفس منه ، ويحرم عليه أن يأخذه بطريق الغصب العلني ، أو السرقة الخفية ، أو الغش في بيع أو شراء ، أو إجارة ، أو ترويج ما لا يحل ترويجه ، أو أخذ رشوة سافرة أو مقنعة ، أو أكل مال الغير بأي طريقة من طرق الباطل كالقمار ، وأخذ أجرة على عمل محرم وغير ذلك .

الإسلام يكرم الإنسان من حيث هو إنسان ، بغض النظر عن لون بشرته ، أو العرق الذي ينتمي إليه ، أو اللغة التي يتكلمها ، أو الإقليم الذي يسكن فيه ، أو الطبقة التي ينتمي إليها . بحسبه أنه إنسان .

سابعاً الدعوة إلى التسامح مع المخالفين :

من خصائص الخطابة الإسلامية أنها تدعو إلى تسامح المسلمين مع مخالفيهم ، يتمثل ذلك في عدة عناصر منا ما يلي :-

الأول : أن المسلم يعتقد من قراءته لكتاب الله : أن اختلاف الناس في الدين ، واقع بمشيئة الله تعالى ، التي لا تنفصل عن حكمته، وما شاء

---

(١) رواه النسائي عن عائشة ، كما في صحيح الجامع الصغير (٧٢٧١)
(٢) رواه البخاري عن عائشة (١٣٩٣) .

الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كما قال تعالى:﴿ ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ [1] ، ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴾ [2]

والمسلم يسلم لمشيئة الله تعالى ، لأنه لن يستطيع معارضتها ، فهي نافذة لا محالة ، ثم إنه لن ينظم الكون أفضل مما نظمه خالقه عز وجل .

الثاني : أن حساب الناس على كفرهم إذا كفروا ، وعلى ضلالهم إذا ضلوا ، ليس في هذه الدنيا ، وإنما هو في يوم الفصل ، أو يوم الحساب ، الذي توفي فيه كل نفس ما كسبت ، وتجزي بما عملت من خير أو شر ، والذي يحاسب الناس في هذا اليوم ، أو تلك الدار : إنما هو خالقهم الذي يعلم سرهم ونجواهم ، وما تخفي صدورهم ، ويعلم المعذور منهم من غير المعذور ، ويعلم من كفر منهم عجزاً وجهلا ، ومن كفر عناداً واستكباراً من بعد ما تبين له الحق .

وهذا ما يقرره القرآن : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شئ شهيد ﴾[3]. وقال تعالى لرسوله:﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ [4]

---

(١) سورة يونس آية رقم : ٩٩ .
(٢) سورة هود آية رقم : ١١٨ ، ١١٩ .
(٣) سورة الحج . آية رقم : ١٧ .
(٤) سورة الحج . آية رقم ٦٨ ، ٦٩ .

وقال تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (١)

كما أمر الله رسوله أن يقول لمخالفيه : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢)

الثالث : أن المسلم مأمور من ربه أن يعدل مع الناس جميعاً ، ولا يجوز أن يحمله شنآن قوم -أي شدة بغضهم له أو بغضه لهم – أن يحيد عن منهج العدل ، كما قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣) وقد ذكرت كتب التفسير : أن الله تعالى أنزل تسع آيات في سورة النساء تدافع عن يهودي اتهم ظلماً بسرقة وهو بريء منها ، وكان الجاني الحقيقي أحد المسلمين الذي اجتهد أهله وذووه أن يدفعوا الرسول ليخاصم عنه وعنهم . فنزل قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ

---

(١) سورة البقرة . آية رقم : ١١٣ .
(٢) سورة الشورى آية رقم : ١٥ .
(٣) سورة المائدة آية رقم : ٨ .

تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[1] .

الرابع : أن الإسلام يكرم الإنسان لمحض إنسانيته وآدميته قبل كل شئ ، سواء كان مسلماً أم غير مسلم ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [2]

وقد روى البخاري عن جابر : أن النبي عليه الصلاة والسلام مروا عليه بجنازة فقام لها واقفاً فقالوا له : " يا رسول الله إنها جنازة يهودي : فقال " أليست نفساً ؟"فما أروع موقفه (ﷺ) ، وما أروع تعليله ! فقد أعلمهم أن النفس الإنسانية – من حيث هي نفس – تستحق الاحترام والتكريم .

ولقد رأيناه عليه السلام ينهي عن التمثيل بجثث المشركين في الحرب ، كما روى مسلم في صحيحه من حديث بريدة " ولا تغلوا ولا تغذروا ولا تمثلوا " برغم أنهم مشركون ، وأنهم معادون مقاتلون ، فهو لا يجيز الانتقام منهم بتشويه جثثهم بعد موتهم ، فلا يجوز أن يعاقب الإنسان بعد موته [3].

إن الخطباء مطالبون بتأصيل هذا الفهم طالما أن المخالفين يبادلوننا تسامح بتسامح وتعاون بتعاون .

---

(١) سورة النساء . آية رقم : ١٠٥-١٠٧ .
(٢) سورة الإسراء . آية رقم : ٧٠ .
(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للدكتور يوسف القرضاوي صـ ١٠٢ : ١٠٤

ثامناً : الدعوة إلى إنصاف المرأة وفق الضوابط الشرعية .

من خصائص الخطابة الإسلامية : أنها تدعو إلى إنصاف المرآة ، وتقف بجانبها ، وتحررها من ظلم الجاهليات المختلفة ، سواء كانت جاهلية عصور التخلف والتراجع الحضاري عند المسلمين ، حين حبسوها في البيت ، وحرموا عليها أن تذهب إلى المسجد ، أو المدرسة ،أو الكتاب ، وزوجوها بغير إذنها ، وحرموها في كثير من البلاد من ميراثها ، وأشاعوا حولها أحاديث مكذوبة .

فكان من فضل الإسلام أنه كرم المرأة ، وأكد إنسانيتها ، وأهليتها للتكليف والمسئولية والجزاء ودخول الجنة ، واعتبرها إنساناً كريماً ، له كل ما للرجل من حقوق إنسانية . لأنهما فرعان من شجرة واحدة ، وأخوان ولدهما أب واحد هو آدم وأم واحدة هي حواء . فهما متساويان في أصل النشأة ، متساويان في الخصائص الإنسانية العامة ، متساويان في التكليف والمسئولية ، متساويان في الجزاء والمصير .[1]

وفي ذلك يقول القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]

وإذا كان الناس رجالاً ونساءً ، خلقهم ربهم من نفس واحدة ،

---

(١) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة للدكتور . يوسف القرضاوي صـ ١٧٤ .
(٢) سورة النساء . آية رقم : ١ .

وجعل من هذه النفس زوجاً تكملها وتكتمل بها كما قال في آية أخرى :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (1) . وبث من هذه الأسرة الواحدة رجالاً كثيراً ونساء ، كلهم عباد لرب واحد ، وأولاد لأب واحد وأم واحدة ، فالأخوة تجمعهم .

ولهذا أمرت الآية الناس بتقوى الله – ربهم – ورعاية الرحم الواشجة بينهم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(2)

فالرجل –بهذا النص- أخو المرأة ، والمرأة شقيقة الرجل . وفي هذا قال الرسول (ﷺ) " إنما النساء شقائق الرجال " (3)

وفي مساواة المرأة للرجل في التكليف والتدين والعبادة ، يقول القرآن : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ

---

(1) سورة الأعراف . آية رقم ١٨٩ .
(2) سورة النساء آية رقم : ١ .
(3) رواه عن عائشة الإمام أحمد في مسنده جـ٦ .صـ ٢٥٦ . والترمذي ١١٣ والدارمي جـ١ .صـ ١٩٥ .وفي صحيح الجامع الصغير حديث رقم ٢٣٣٣ .

فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [1].

وفي التكاليف الدينية والاجتماعية الأساسية يسوي القرآن بين الجنسين بقوله تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2].

وفي قصة آدم توجه التكليف الإلهي إليه وإلى زوجه سواء ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ .

ولكن الجديد في هذه القصة -كما ذكرها القرآن - أنها نسبت الإغواء إلى الشيطان لا إلى حواء -كما فعلت التوراة : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾

ولم تنفرد حواء بالأكل من الشجرة ولا كانت البادئة ، بل كان الخطأ منهما معاً ، كما كان الندم والتوبة منهما معاً : ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [3] بل في بعض الآيات نسبت الخطأ إلى آدم بالذات وبالأصالة : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن

---

(1) سورة الأحزاب . آية رقم ٣٥ .
(2) سورة التوبة . آية رقم : ٧١ .
(3) سورة الأعراف آية : رقم ٢٣ .

قبلُ فنسيَ ولَمْ نَجِدْ لهُ عزْمًا ﴾ [1] ، ﴿ فوَسْوَسَ إِليْهِ الشيْطانُ قالَ يَا آدَمُ هَلْ أدُلُّكَ علَى شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى ﴾ [2] ، كما نسبت إليه التوبة وحده أيضاً ، : ﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فتَابَ علَيْهِ وَهَدَى ﴾ [3] مما يفيد أنه الأصل في المعصية ، والمرأة له تبع .

ومهما يكن الأمر فإن خطيئة حواء لا يحمل تبعتها إلا هي ، وبناتها من براء من إثمها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لهَا مَا كَسَبَتْ ولَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [4] .

وفي مساواة المرأة للرجل في الجزاء ودخول الجنة يقول تعالى : ﴿ فاسْتَجَابَ لهُمْ رَبُّهُمْ أنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أوْ أنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللهِ وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [5]

فنص القرآن في صراحة على أن الأعمال لا تضيع عند الله ، سواء أكان العامل ذكراً أم أنثى ، فالجميع بعضهم من بعض ، من طينة واحدة ، وطبيعة واحدة ، الرجل من المرأة ، والمرأة من الرجل ، وهو

(١) سورة طه . آية رقم : ١١٥ .
(٢) سورة طه . آية رقم : ١٢٠ .
(٣) سورة طه . آية رقم : ١٢٢ .
(٤) سورة البقرة . آية رقم : ١٣٤ .
(٥) سورة آل عمران . آية رقم : ١٩٥ .

يكملها ، وهي تكمله ، لا يستغني عنها ، ولا تستغني عنه ، وهذا معنى بعضكم من بعض .

ويقول تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ، ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [2] وفي الحقوق المالية للمرآة ، أبطل الإسلام ما كان عليه كثير من الأمم – عربا وعجما – من حرمان النساء من التملك والميراث ، أو التضييق عليهن في التصرف فيما يملكن ، واستبداد الأزواج بأموال المتزوجات منهن ، فأثبت لهن حق الملك بأنواعه وفروعه ، وحق التصرف بأنواعه المشروعة . فشرع الوصية والإرث لهن كالرجال ، وأعطاهن حق البيع والشراء والإجارة والهبة والإعارة والوقف والصدقة والكفالة والحوالة والرهن ... وغير ذلك من العقود والأعمال . [3]

---

(١) سورة النحل . آية رقم : ٩٧ .
(٢) سورة النساء . آية رقم ١٢٤ .
(٣) خطابنا الإسلامي في عصر العولمة : صـ ١٧٥ – ١٧٦ .

الفصل الثالث

طرق تحصيل الخطابة وآدابها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : طرق تحصيل الخطابة .

المبحث الثاني : الآداب الخطابية .

المبحث الأول

طرق تحصيل الخطابة

الخطابة منصب عظيم ،ومرتقى صعب المنال ، لا يصل إليها طالبها بيسر ، بل يحتاج مبتغيها إلى زاد عظيم وصبر ومعاناة ، واحتمال للمشاق ، ليصل إلى الغاية السامية وهذا لا يتأتى إلا من خلال ما يلي :

أولاً : الاستعداد الفطري :

الخطابة تحتاج إلى استعداد طبيعي لدى الخطيب ، هذا الاستعداد يطلق عليه العلماء بالفطرة ، فالفطرة هي الركيزة الأساسية في حياة الإنسان والتي تدفعه إلى اتباع الحق . ويراد بالفطرة طبيعة الإنسان الأصيلة مجردة عما لحقها من شوائب المادة ، وسوءات الهوى . وهي الصورة التي يولد الإنسان بها قال تعالى :" فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . " [1]

وقيل إن الفطرة عبارة عن ملكات الحس والفكر والوجدان في الإنسان قبل أن تدخل عليها شوائب المادة والخطيب لا ينجح إلا إذا كانت هذه الملكات صافية من كل ما يلوثها . أي يكون الإنسان الذي يعد للخطابة طاهر النفس ذكي القلب ثابت الجنان ، المعي العقل له خاطر حاضر وفراسة مدركة ، ونظرات نافذة .

---

(١) سورة الروم آية رقم ٣٠ .

وهذا كله يحتاج إلى تربية خاصة منذ الصغر تهتم بالفصاحة والبيان ، كما تهتم بالطهر والأدب والحياء لأن منافذ الانحراف إلى الفطرة عديدة ، ومن أشدها خطراً وأبعدها تأثيراً في ترسيب الشوائب في كيان الإنسان التوجيه الخاطئ من الآباء و لله در من قال :-

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان قد عوده أبوه

والفطرة تتأصل في نفس الإنسان بالإيمان والحياء ولهذا قال رسول الله (ﷺ) :" الحياء والإيمان قرناء فإذا رفع أحدهما رفع الآخر " [1] كما قال (ﷺ) : " الحياء لا يأتي إلا بخير "[2] بل كان رسول الله شديد الحياء عن أبي سعيد الخضري رضي الله عنه قال:"كان رسول الله (ﷺ) أشد حياء من العذراء في خدرها،فإذا رأى شئ يكره عرفناه في وجهه ".[3]

يقول أبو تمام :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فافعل ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء
لا خير في وجه بغير ماء كفاك غياً قلة الحياء

---

(١) رواه الشيخان .
(٢) صحيح البخاري جـ١٠ . صـ ٤٣٣ وصحيح مسلم برقم ٣٧ وسنن أبي داود برقم ٤٧٩٦ .
(٣) صحيح البخاري ط١٠ . صـ ٤٣٤ صحيح مسلم برقم ٢٣٢٠ .

وقال

إذا قل مـاء الـوجه قـل حـياؤه   ولا خير في وجه إذا قل ماؤه

حـياؤك فاحفظـه علـيك وإنمـا   يدل علـى فعل الكريم حياؤه

وإذا نشـأ الخطـيب مـنذ صـغره علـى الإيمـان والحـياء والطهـر والفصـاحة والبيان استوى عوده ، وأصبح من السـهل أن تتحقق ملكـات فطـرته فـيقوى بـيانه ، وإذا قـوى بـيانه أصـبح الخطـيب زيـنة مـن زيـنة الوجود " وروضـة من الـرياض التي تتمـتع بهـا الأبصار ، ومتعة للآذان تطرب بسماعها ، وغذاء بالـغ الـنفع للأرواح تتغذى به كيف لا ، وهو إذا نطق كـان كالبحر ينثر اللآلـئ والجواهر علـى مـن حوله .. يتدفق تدفقاً ويسيل سيلاً لا يهجم على رذيلة إلا قضى عليها قضاءً مبرماً، ولا يعطف علـى فضيلة إلا أنعشـها وأحياها وجعل قلوب السامعين تكـاد تطير فرحاً من الشوق إليها والتمسك بها " [1].

ثانياً : دراسة أصول الخطابة

لكـي يـنجح الخطـيب فـي أداء رسـالته فلابـد لـه مـن دراسـة أصـول الخطابـة دراسـة تحليلية والتـي مـنها فن الإلقـاء أي فن النطق بالكلام على صـورة توضـح ألفاظـه ومعانـيه ، وهـذا لا يتأتـى إلا بدراسـة الحـروف الأبجديـة مـن حيث مخارجهـا وصـفاتها و مـا يـتعلق بهـا لتخـرج مـن الفـم سـليمة كاملـة لا يلتبس مـنها حـرف بحـرف ، مـع دراسة الصوت الإنساني

---

(١) انظر منتهى آمال الخطباء ومنار المسترشدين للشيخ مصطفى أبو يوسف .

في معادنه وطبقاته دراسة موسيقية تجعل الخطيب ينغمه بما يناسب المعاني حتى تبدو الكلمة واضحة جميلة الوقع على آذان السامعين .

وهذا الفن يعتمد في أساسه على الذوق والجمال قبل أن يعتمد على القواعد والقوانين . (١)

قال ابن سينا :" هذه الصناعة قد يتعاطى أفعالها كل إنسان بأن يتأمل ما يختلفون فيه من مدح أو ذم أو شكاية أو اعتذار أو مشورة ، فمنهم من يكون تصرفه في بعض هذه المعاني ومنهم من هو متصرف في جميعها ، ومنهم من يبعد في ذلك بملكة حصلت له من غير أن تكون القوانين الكلية محصلةُ عنده ، ومنهم مَن يجمع إلى الملكة الاعتيادية ، مكلة صناعية ، حتى تكون القوانين محققة عنده ، وهو الذي أحاط بهذا الجزء من الخطابة علما ، واكتسب الملكة بالمزاولة ، والملكة الاعتيادية وحدها إن تنجح فليست عن بصيرة ، فالقوانين على هذا هادية مرشدة تساعد في تحصيل الخطابة بإنارة السبيل ، ولا تكون وحدها الخطيب بل هي مهذبة للفطرة مساعدة لها . (٢)

ومن الأصول التي تساعد على تحصيل الخطابة التي يجب على الخطيب أن يلم بها ، القدرة على إثارة حماسة المستمعين ، ومراعاة مقتضى الحال ، و تصوير المعاني عند النطق .

---

(١) انظر فن الالقاء –عبد الوارث عسر صـ٦ – الهيئة المصرية العامة للكتاب ٨٢ .
(٢) الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب – محمد أبو زهرة صـ ١٨ دار الفكر العربي .

ثالثاً : المران والممارسة :

من الأمور الأساسية في تحصيل الخطابة المران والممارسة فالفطرة والإطلاع ، وثروة الألفاظ ، والقراءة الكثيرة ، والعلم بالأصول الخطابية لا تكفي في تكوين الخطيب ، لأن الخطابة ملكة وعادة نفسية ، لا تتكون دفعة واحدة بل لابد لمريدها من المعاناة والممارسة والمران لكي ينمي مواهبه ، إن كانت فيه فطرتها ، ولكي يداوي عيوبه ، إن وجد في نفسه أول الأمر نقصاً خطابياً ، فإن كثيراً من الخطباء المتميزين كانت فيهم عيوب خطابية فأصلحوها .

جاء في كتاب تاريخ الحضارة عن " ديموستين" خطيب اليونان أنه عندما خطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة .إذ كان صوته ضعيفاً جداً ، ونفسه قصيراً ، فتوافر عدة سنين على رياضة صوته ، ويرى أنه كان ينقطع شهوراً طويلة ونصف رأسه محلوق ، لكي لا يحاول الخروج . وكان يلقى خطباً وفي فمه حصى وهو على شاطئ البحر ليمرن نفسه على التغلب بصوته على جلبة الناس ، ولما رجع إلى المنبر كان قد أخضع صوته لإرادته ، وقد كان يحافظ كل المحافظة على إعداد جميع خطبه قبل إلقائها ، ولذا صار أرقى خطيب وأعظم مفوه في بلاد اليونان .

وكانت تلك حال كثير من الخطباء العرب الممتازين فقد جاء في البيان والتبيين للجاحظ :" ويقال أنهم لم يروا قط خطيباً إلا وهو في أول

تكلفة لتلك المقامات مستثقلا للخطابة فكأن يمرن نفسه حتى تستجيب له المعاني بالتمرين والممارسة ويتمكن من الألفاظ .

والخطابة تكون بأمور كثيرة بعضها يتعلق بالإلقاء وبعضها يتعلق بالأسلوب والفكرة لأن الخطابة فكرة وأسلوباً وإلقاء محكم .

ومن الرياضة التي تتعلق بالفكرة أن يعود نفسه ضبط أفكاره ، ووزن آرائه ، وعقد صلة بينهما وبين ما يجرى في شئون الناس ، وعامة أمورهم ؛ ليكون على أهبة القول الخطابي إن وجدت دواعيه .

المران على الأسلوب: ومن المران الذي يتعلق بالأسلوب أن يعود الخطيب نفسه على أن يتحدث بجيد الكلام ويكتبه كثيراً ، وأن يكون في مرانه الخطابي محاكياً البلغاء في أساليبهم ، أو مقتبساً منهم .

المران على الإلقاء: ومن المران الذي يتعلق بالإلقاء أن يعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها وأن يصور المعاني تصويراً بيناً واضحاً وهذا يتأتى من خلال التركيز والسكتات ولنضرب لذلك مثلاً من خلال هذه الجملة البسيطة " ذهبت إلى الإسكندرية بالأمس وقابلت إبراهيم " إذا كان المتحدث تسيطر عليه محبة السفر إلى الإسكندرية والارتياح إلى ارتياد هذه المدينة فإن تركيزه هنا يكون على كلمة " الإسكندرية " ... ويسوق بقية الجملة سياقاً عادياً لا ينبئ عن أي اهتمام . ويكون الصوت هنا في التركيز على كلمة "الإسكندرية " صوتاً ينبئ عن الفرحة والراحة والسرور بالذهاب إلى تلك المدينة .

وإذا كـان المـتحدث مهـتماً بمقابلـة إبـراهيم فإنـه يركـز علـى كلمـة "إبـراهيم" . وإذا كان اهتمامه بلقـاء إبـراهيم ناشـئاً عن أن إبـراهيم هـذا شخصية عظيمة يفتخر بلقائها .. فإن الصـوت هنا يعبر في تركيزه على إبراهيم .. عن الفخر والمباهاة بلقاء العظماء .

وإذا كانـت شخصـية إبـراهيم بالنسـبة للمـتحدث شخصـية محبـبة كشخصية الابن أو الأخ أو الصديق العزيـز .. فالصوت هنا يركـز فـي نغمة تبرز العاطفة المنبعثة عن الجنان ... [1]

فهذا التركيز هو نـوع من إحساس المتكلم بالمعاني التي يسوقها ، كمـا أنـه يكسب الحديث طـلاوة وجمـالاً بالصوت المعبر ، وهـو الصوت المطلوب لكل حديث .

المران على السكتات : وعلـى الخطـيب أن يمـرن نفسـه علـى السكتات المعبرة أو السكتات القاطعة التي تجعل المستمع في حاجة إلى كلام جديد ، ويبتعد عن السكتات الناقصة التي تذهب بهاء الكلام وجماله . فإذا قال الخطيب مثلاً : " يا رب لا تدع لنا في هذا اليوم العظيم ذنباً إلا غفرته ، ولا كرباً إلا فرجته ، ولا عيباً إلا سترته ، ولا ديناً إلا أديته ، ولا مريضـاً إلا شـفيته ، ولا ميـتاً إلا رحمـته ، ولا سـائلاً إلا أعطيـته ، ولا عاصياً إلا هديته " فيجب على الخطيب أن يقف عند كلمة يا رب ، وعند

(١) فن الإلقاء :عبد الوارث عسر صـ ١٠٥

إلا غفرته وهكذا . وقد يكون للسكتة لون ودلالة فقد تدل مرة على الفرح ، وأخرى على الغضب ، وثالثة على الهدوء والحزن ، ورابعة على الرضا والاستحسان .

المران على تجنب العيوب الصوتية : ومن المران الذي يجب على طالب الخطابة ، أن يمرن نفسه على تجنب عيوب الصوت ، ويقوم بعلاجها وأهم الأصوات التي يجب علاجها ما يلي :

١-**الصوت الحلقي ذو الغرغرة :** وهو الصوت الذي يخرج من الحلق أو الحنجرة مع الارتفاع في مؤخرة اللسان من الداخل فيخرج الصوت مغرغراً تغلب عليه نبرة حرف الغين .

وعلاج ذلك : أن يقف الإنسان أمام المرآة ويتكلم ببعض الكلمات فإن وجد ارتفاعاً في مؤخرة لسانه حاول واجتهد بتخفيض هذا الارتفاع من خلال النطق بحروف المد الثلاثة –الألف والواو والياء – ممدودة جداً ، مع تمرين لسانه على الخروج من الفم إلى أقصى ما يستطيع ببطء أولاً ثم بسرعة حتى يقوى لسانه ويذهب العيب وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه يخرج لسانه حتى يصل إلى أرنبة أنفه .

٢- **الصوت الأنفي أو الأخنف :** ويعالج بالطريقة السابقة مع مراعاة عدم تسرب الصوت إلى الأنف وتمرين الزفير ببطء .

٣- **الصوت المرتعش :** وتنحصر أسبابه في الخوف ، التنفس بطريقة خاطئة ، الضعف العصبي أو الشيخوخة .

وعلاجه : يقوم بعلاج الأسباب التي تخضع للعلاج .

٤- **الصوت الأجش :** ويسمى بالصوت الخشن فإذا لم تكن الخشونة أمراً طبيعياً في الخلقة فإنها تحدث بسبب إجهاد الصوت أو إصابة الإنسان بالبرد وعلاجه بعلاج أسبابه .

٥- **الصوت الخافت :** ويسمي بالصوت المنطفئ أو الميت وهو صوت يستعمله كل إنسان عند الهمس لمن يحدثه خشية سماع الحديث من أحد غيره . وأسبابه قد تكون عضوية تتعلق بعيب في الأوتار الصوتية أو حادث أو عادة ، فإذا كان الأمر كذلك فتمرينات التنفس الصحيحة تعالج هذا العيب . (١)

وهكذا يجب على مريد الخطابة أن يمرن نفسه ويروضها وأن يعالج ما لديه من عيوب ، فإن فعل أصبح خطيباً مفوهاً لا يشق له غبار .

رابعاً : قراءة كلام البلغاء :

من الطرق المهمة لتحصيل الخطابة قراءة كلام البلغاء ودراسته دراسة مقعرف لمناحي التأثير فيه ، وأسرار البلاغة ، ومتذوق لما فيه من جمال الأسلوب وحسن التعبير ، وجودة التفكير . قال ابن الأثير في كتابه المثل السائر :" إن في الإطلاع على أقوال المتقدمين من المنظوم والمنثور فوائد جمة ، لأنه يعلم منه أغراض الناس ونتائج أفكارهم ، ويعرف به مقاصد كل فريق منهم ، وإلى أين ترامت به صنعته في ذلك

---

(١) انظر فن الإلقاء – عبد الوارث عسر صـ ١١٧ باختصار وتصرف

، فإن هذه الأشياء مما تشحذ القريحة وتذكي الفطنة . وإذا كان صاحب هذه الصناعة عارفاً بها تصير المعاني التي ذكرت وتعب في استخراجها كالشيء الملقي بين يديه ، يأخذ منه ما أراد . وأيضاً فإنه إذا كان مطلعاً على المعاني المسبوق إليها قد ينقدح له من بينها معنى غريب لم يسبق إليه . ومن المعلوم أن خواطر الناس وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة فإن بعضها لا يكون عالياً على بعض أو منحطاً عنه إلا بشيء يسير. فقراءه كلام البلغاء تقدم للقارئ إرسالاً من المعاني والأساليب ينال منه بيسر وسهولة من غير معاناة ولا كد ذهن [1] .

خامساً : الإطلاع على كثير من العلوم التي تتصل بالجماعات :

من الأمور التي تساعد الخطيب على تحصيل الخطابة الإطلاع على ما يستطيع من العلوم كالاقتصاد ، والشرع ، والأخلاق ، والاجتماع ، وعلم النفس ، والأديان ، فإن الإطلاع على هذه العلوم فوق أنه ينمي فكره ، ويوسع مداركه ، يجعله على بصيرة في مهمته ، ويضع أمامه المصباح الذي يهديه إلى طريق التأثير ، فيصيب غايته وينال غرضه .

سادساً : الثروة الكثيرة في الألفاظ والأساليب :

ومن طرق تحصيل الخطابة أن يحاول طالب الخطابة أن يحفظ كثيراً من خطب من اشتهر بالبيان ، فإن الخطابة تحتاج إلى تعابير كثيرة ، وتحتاج إلى أن يعبر عن المعنى الواحد بعدة عبارات ، وأساليب

---

(١) راجع الخطابة للإمام محمد أبو زهرة صـ ١٩ .

متغايرة ، حتى لا يصيب السامعين بالملل والسأم ، ولا يمد الخطيب بالعبارات المتغايرة المتحدة المعنى إلا ثروة في الألفاظ والأساليب . واستيلاء تام على نواحي البيان .

سابعاً : الصبر واحتمال المكاره :

الخطابة منصب عظيم ، وقد تعترض الخطيب زوابع من كل ناحية ، وقد يقابل بالسخرية والاستهزاء ، وقد يكون المخاطبون ممن ينقصون عوراته ويتسقطون هفواته ، وكلهم له رقيب عتيد .

فإذا لم يتسلح الخطيب بضبط نفسه ، وسيطرته على إحساسه ومشاعره لم يستطع السير إلى غاياته ، وقديماً قال خطيب عربي :" لقد شيبتني ارتقاء المنابر " وهو قول يدل على مقدار ما كان يعانيه ذلك الخطيب في الاستيلاء على نفسه .

لذلك نقول يجب أن يربى مريد الخطابة على احتمال المكاره والحلم وضبط الإحساس ، ومحاربة مظاهر الاضطراب والوجل ، وهذا ما أمر الله به سبحانه نبيه (ﷺ) عندما قال له : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾.[1] .

وهكذا ربى النبي صحابته الكرام ، يقول عمير بن حبيب لابنه وهو يعلمه :" إذا أراد أحدكم أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر وعلى الأذى ، وليوقن بالثواب من الله

(١) سورة المزمل . آية رقم : ١٠

فإنه من يثق بالثواب من الله مس الأذى"[1] وليكن له قدوة في عثمان بن مظعون عندما سمع لبيد الشاعر وهو يقول :" وكل نعيم لا محالة زائل " فقال له لا والله نعيم الجنة لا يزول ، وكان في جوار الوليد بن المغيرة فقام كفار مكة عليه فضربوه حتى قلعوا عينه ، وكان الوليد قد رد عليه الجوار وقال له الوليد ، يا ابن أخي كانت عينك عما أصابها لغنية ، فقال له عثمان : بلا والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في الله ثم أنشأ يقول :

فإن تك عيني في رضا الرب نالها ... يد ملحد في الدين ليس بمهتد

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ... ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد

---

(١) الزهد للإمام أحمد صـ ١٨٦

المبحث الثاني

الآداب الخطابية

تحدث العلماء عن الآداب الخطابية التي يجب أن يتحلى بها الخطيب عند إلقاء الخطبة ، وما يجب أن يتحلى بها الخطيب عند إلقاء الخطبة ، وما يجب أن يتخذه في سياسة السامعين ، وملاحظة أحوالهم ، فجعلوها على قسمين :آداب الخطيب الخاصة به ، وآداب الخطيب مع السامعين .

آداب الخطيب الخاصة به وأهمها ثلاثة :

أولاً : سداد الرأي

ثانياً : صدق اللهجة .

ثالثاً : التودد للسامعين .

أولاً : سداد الرأي :

من الآداب الخطابية التي يجب أن يتحلى بها الخطيب سداد الرأي ويكون بدراسة الموضوع الذي يخطب فيه الخطيب دراسة تامة ، فإن الرأي المحكم لا يكون إلا بدراسة عميقة ، وإحاطة تامة ، وإطلاع واسع ، وعلم غزير ، وفكر قويم . وليس معنى ذلك أ ن لا يخطب إلا إذا كان محضراً ، مهيئاً الكلام ، بل المراد ألا يتكلم إلا في موضوع سبقت له

دراسته ، والإحاطة به ، حتى يكون كلامه مسدداً ، سواء أكان يلقى الخطبة بعد تهيئة ، أم يلقى الكلام ارتجالاً من غير سابقة تحضير ؛ فإن المرتجل لا يحسن ارتجاله في كل الأحوال ، بل لا يحسن إلا إذا ألقى كلاماً قيماً فيه آراء محكمة ولا يتم له ذلك ؛ إلا إذا كانت له سابقة اطلاع على ذلك الموضوع أو له علاقة بالموضوع تمكنه من أن يدلي فيه برأي سليم .[1] .

ولقد شدد القرآن الكريم النكير على الذين يجادلون بغير علم فقال الله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [2] . وقال عز وجل ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ [3]

ثم قال جل جلاله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ * ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [4] .

---

(١) راجع : الخطابة : للإمام محمد أبو زهرة صـ ٣٩ وخطبة الجمعة للأستاذ : محمد عبد اللطيف الرفاعي صـ ١٧١ والدعوة الإسلامية والإعلام الديني للدكتور : عبد الله شحاته صـ ٢٣ .
(٢) سورة آل عمران . آية رقم : ٦٥ ـ ٦٦ .
(٣) سورة الحج . آية رقم : ٣ ـ ٤ .
(٤) سورة الحج . آية رقم : ٨ ـ ١٠ .

فعلى الخطيب ألا يخوض في حديث ليس له به علم حتى لا يبدي رأياً ضعيفاً أو ناقصاً لا ينال الحق من كل نواحيه . ومما يساعد على تكوين الرأي الناضج بعد الدراسة التامة . سلامة الفكر من هم قاطع ، وغم شاغل ، لأن من شغل باله لا يخلص له رأي ولا فكر . ولا يستقيم له خاطر .

وسداد الرأي دعامة الخطيب الأولى كي يثق به الجمهور، ويتجه إلى رأيه وليست الغاية المنشودة أن يكون كلام الخطيب حقاً في ذاته . بل أن يظهر كذلك في نظر السامعين .

ومظاهر إقناع الناس بالحق كثيرة منها ما يلي :-

١- أن يورد الموضوع الذي يتحدث فيه بصورة جلية واضحة قريبة من أفهامهم .

٢- أن يورد الأدلة التي يراها محققة للجزم في نفوسهم وإن لم تحقق الجزم في ذاتها .

٣- أن يجتهد في استدراك أي اعتراض يوجه إليه قبل إيراده .

ثانياً : صدق اللهجة .

صدق اللهجة تجعل المستمع يثق في الخطيب ، ويصدقه فيما يدعو إليه ، ويعني بصدق اللهجة ، صدق القول ، وصدق الوجهة ، وحسن القصد ، وتحرى الدقة ، واستغراق معاني الأمانة ، وعدم الإسراف في مدح أو ذم، ولا في وعد ، ولا في وعيد ، فإن الإسراف مظنة الكذب ،

والاعتدال مظنة الصدق ، ومن أطلق لسانه بالوعد أو الوعيد ، تخلف عمله عن قوله ، واستثقل العمل ، حيث سهل عليه القول .[1]

وقد كانت " صدق اللهجة واحدة من الخصائص التي اختصت بها الخطبة النبوية الشريفة ، وتميزت بها عن غيرها وصارت علماً وشارة من شاراتها .

لقد استجمعت لهجته (ﷺ) من الصدق غاياته ، ومن النبل كمالاته ، ومن الإخلاص حقائقه ، ومن الحرص مقاصده ، ومن اليقين أماراته ، ومن الحق دلالاته ، لأن كلماتها ومعانيها واتجاهاتها برزت من موطن الريادة .

فالرسول (ﷺ) رائد أمة ، وصاحب رسالة وإمام دعوة صادقة إلى الله تعالى ، وحتى تؤتي الرسالة مقاصدها ، والدعوة ثمارها ، والريادة غاياتها فلابد أن تكون صادقة اللهجة ، يقينية الفكرة سليمة المضامين خالصة الهدف والوجهة .

فالرائد هو عين أمته ، ونبض فؤادها ، وهو المعبر عن مشاعرها وأحاسيسها الصادقة ، وهو عقلها المدرك والواعي ، وهو ضميرها اليقظ الساهر ، الذي إن نامت أيقظها ، وإن غفلت نبهها ، وإن خاضت في اللهو حذرها ، وإن انحرفت قومها وإن وقعت في ظلمة هداها وأرشدها .. إنها الريادة الجامعة لأمور الدين والدنيا والآخرة .

---

(1) انظر : الخطابة : محمد أبو زهرة ٤٠ ، ٤١ .

ولا يليق برائد يستجمع كل هذه الصفات ، ويستغرق كل هذه السمات ، ويتحقق بكل هذه الكمالات ، أن يكون كاذباً غير صادق [1] .

وهكذا يجب أن يكون الخطيب مع قومه ومستمعيه فلا يذهب بهم في الدين مذاهب الوضاعين والفلاسفة ، ولا في العقيدة مذاهب الغلاة أو الملاحدة ، ولا في الشريعة مذاهب المفرَطين والمسارقة ، ولا في الأخلاق مذاهب المنحرفين والإباحية القبيحة والجامحة .

وإنما عليه أن يجمع الصدق كله في قوله وعمله وفعله ، وأن يضع نصب عينيه أن الله سبحانه ذم الذين تتناقض أقوالهم مع أعمالهم ، وعد ذلك من أبشع الخصال فقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [2] . واعتبر ذلك دليلاً على فقدان العقل فقال سبحانه:﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [3] .كما حذر رسول الله (ﷺ) من هذا المسلك وبين مصير من كان هذا مسلكه فعن أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :" يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أكتاب بطنه ،فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن

---

(١) انظر دكتور أحمد اسماعيل : خصائص خطب النبي صـ ٩٢ ، ٩٣
(٢) سورة الصف آية رقم : ٢ : ٣
(٣) سورة البقرة آية رقم : ٤٤ .

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتية ". [1]

وقال أبو الأسود الدؤلي :

يــا أيهــا الــرجل المعلــم غيــره	هــلا لنفســك كــان ذا التعلــيم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا	كـيما يصـح بـه وأنـت سـقيم
ونــراك تصــلح بالرشــاد عقولــنا	أبـدأ وأنـت مـن الرشـاد عـديم
ابــدأ بنفســك فانههــا عــن غــيها	فـإذا انـتهت عـنه فأنـت حكـيم
فهــناك يســمع مــا تقــول ويهــتدي	بالقــول مــنك ويــنفع التعلــيم
لا تــنه عــن خلــق وتأتــي مــثله	عــار علـيك إذا فعلـت عظـيم

إن الصدق علاقة بين الداعي والمدعو فضلاً عن كونها علاقة بين الداعي وربه ، وهذه العلاقة تقتضي قيام الثقة بينهما على نحو لا يقبل الشك والارتياب .

ثالثاً : التودد للسامعين :

يجب على الخطيب الداعية خاصة أن يكون ودوداً مع مستمعيه ومع الناس أجمعين ، وهذا لا يتأتي للخطيب الداعية إلا إذا سعى في مصالح الناس وتواضع لهم ، وأظهر للمدعوين أنه بعيد عن الأغراض الشخصية ، وقد اهتم الإسلام بهذا الأدب الرفيع اهتماماً عظيماً فلقد أمر

(١) انظر رياض الصالحين للإمام النووي صـ ٧١ .

الله رسوله (ﷺ) بالتواضع وخفض الجناح ولين الجانب فقال سبحانه: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١] . بين سبحانه أنه (ﷺ) لو لم يكن ليناً متواضعاً ودوداً لنفض الناس من حوله فقال عز وجل ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٢].

وفي صحيح الإمام مسلم بسنده عن عياض بن حمار رضى الله عنه قال :قال رسول الله (ﷺ) "إن لله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد"[٣] وفي صحيح مسلم أيضاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال :" ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله ". [٤] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي (ﷺ) قال : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً وفعله حسناً قال : " إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق [٥] وغمط [٦] الناس[٧] ".

---

(١) سورة الشعراء آية رقم : ٢١٥
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٥٩
(٣) انظر رياض الصالحين صـ ١٨١
(٤) انظر رياض الصالحين صـ ١٥١
(٥) بطر الحق : أي دفعه ورده على قائله
(٦) غمط الناس : أي احتقارهم .
(٧) انظر : رياض الصالحين للإمام النووي صـ ١٨٣ .

إن التودد للمدعوين وقضاء مصالحهم خلق أصيل للخطباء الدعاة لأنهم يعلمون المكانة العظيمة التي جعلها الله لمن يقومون بقضاء مصالح الناس فعن ابن عمر رضي الله عنهما -في الحديث المتفق عليه- أن رسول الله (ﷺ) قال :" المسلم أخو المسلم : لا يظلمه . ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ،ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال :" من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه (٢).

آداب الخطيب مع السامعين :

الناس مختلفون في مشاربهم العلمية ، وعاداتهم الاجتماعية ، وأخلاقهم ومهنهم ، ولكل طائفة من الناس أحوال تقتضي نوعاً من الخطاب لا تقتضيه أحوال الجماعة الأخرى ، وعلى الخطيب أن يعالج كل طائفة بأنجح دواء لها ، ليستقيم له الطريق ، ويصل إلى غرضه .

---

(١) انظر : رياض الصالحين للإمام النووي صـ ٧٤ .
(٢) المصدر السابق ص ٧٤

ولهذا قال الفارابي في إحدى رسائله :" إن أنفع الطرق التي يسلكها الخطيب تأمل أحوال الناس ، وأعمالهم وتصرفاتهم . ما شهدها ، وما غاب عنها ، ما سمعه ، أو تنامى إليه منها، وأن يمعن بالنظر فيها ، ويميز محاسنها ومساوئها ، ويبين النافع والضار لهم منها ، ثم ليجتهد في التمسك بمحاسنها ، وحض الناس على طلبها لينالوا من منافعها .

فعلى الخطيب أن يدرس الجماعة دراسة عميقة متغلغلة ، وأن يعرف حالها معرفة الخبير الدقيق النظر ، وأن يكون كلامه على صورة ملائمة لأخلاقها ، ومألوفها ، وأن يهديها إلى الطريق المستقيم بالحلم والرفق ، فالرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزم من غير تعنيف ولا إيذاء إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً أو عناداً من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الرابع

صفات الخطيب وخصائص المفردات

والأسلوب الخطابي

ويشتمل على ثلاث مباحث

المبحث الأول : من صفات الخطيب .

المبحث الثاني : خصائص المفردات الخطابية .

المبحث الثالث : خصائص الأسلوب الخطابي

المبحث الأول

من صفات الخطيب

من صفات الخطيب الناجح والتي يمتاز بها الخطباء عن غيرهم ، خاصة الخطيب الداعية ، الذي أوقف حياته على الإصلاح ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ، والتي هي مناط قدرته على التغيير والإصلاح. ومن أهم هذه الصفات ما يلي :

أولاً : الوقفة وقوة الملاحظة :

من الصفات التي تساعد الخطيب على النجاح وقفته أمام الجمهور ، وأحسن حال لوقفة الخطيب أن يقف على مرتفع ليشرف على السامعين ، ويصل صوته إليهم ، وليتمكنوا من رؤيته ، فإن الرؤية تعين على حسن الاستماع .

وأن يكون في وقفته مستقيم الجسد فلا انحناء ولا تقوس ، كما يحسن الوقوف في مكان واحد لأن التنقل من مكان إلى مكان كالممثل يثير سخرية السامعين ، وترك النظر لأعلى ، أو لأسفل أو لأي جهة تصرف المخاطبين عنه ، مع الانتباه إلى أهمية الحيوية واللياقة البدنية ، لأن كسل الخطيب وخموله يشعر المخاطبين أنه غير قادر على قيادة الناس فكرياً وسلوكياً ومن ثم يسقط في نظرهم .

من الصفات المهمة أيضاً التي تلازم الوقفة قوة ملاحظة الخطيب التي

تكسبه قوة في الإلقاء ، ولهذا يستحسن أن تكون نظرات الخطيب إلى سامعيه نظرات فاحصة كاشفة . يقرأ من الوجوه خطرات القلوب ، ومن اللمحات ما تكنه النفوس نحو قوله ، حتى يستطيع أن يجدد من نشاطهم عند فتورهم ، وكي تتصل روحه بأرواحهم ونفسه بنفوسهم . فإن وجدهم مقبلين عليه استرسل في قوله ، وإن أعرضوا عنه نادى عليهم بما يراه أقرب إلى قلوبهم .[1]

ثانياً : صدق العاطفة :

من صفات الخطيب الناجح أن يكون صادقاً في عاطفته متأثراً بما يقول فإيمان الخطيب بدعوته كحبال الجاذبية التي تجذب إليه الجمهور ، وتوثق عرا المحبة والاقتداء بينه وبينهم . ، فالخطيب المتأثر بما يدعو إليه تلتهب كلماته ، وتستقر في القلوب عباراته ، لأنها قبس من نفسه المشتعلة ، وصورة من عواطفه المنفعلة ، وهذا يجعل أرواح السامعين تتصل بروحه ، وتندفع هممهم إلى الطريق المستقيم الذي يدعو إليه .

وصدق العاطفة يجعل الخطيب يستفيد من دعوة الخير التي يوجهها إلى الناس ولذلك وبخ الله سبحانه وتعالى من يأمر الناس بالبر وينسى نفسه قال تعالى :(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)[2] .

---

(١) انظر الخطابة : للإمام / محمد أبو زهرة – ص ٤٤ .
(٢) سورة البقرة آية رقم : ٤٤ .

يقول صاحب الظلال في تفسيره : " ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بنى إسرائيل ، فإنه في إيحائه للنفس البشرية ، ولرجال الدين بصفة خاصة ، دائم لا يخص قوماً دون قوم ولا يعني جيلاً دون جيل .

إن آفة رجال الدين – حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة – أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ؛ يأمرون بالخير ولا يفعلونه ؛ ويدعون إلى البر ويهملونه ؛ ويحرفون الكلم عن مواضعه ؛ ويؤولون النصوص القاطعة خدمة للغرض والهوى ، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص ، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين ، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان ! كما كان يفعل أحبار اليهود !

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه ، هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم ولكن في الدعوات ذاتها . وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم ، لأنهم يسمعون قولاً جميلاً ، ويشهدون فعلاً قبيحاً ؛ فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل ؛ وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة ؛ وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان ؛ ولا يعودون يثقون في الدين بعد ما فقدوا ثقتهم برجال الدين .

إن الكلمة لتنبعث ميتة ، وتصل هامدة ، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة ، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها . ولن يؤمن إنسان بما يقول حقاً إلا أن يكون هو ترجمة حية لما يقول ، وتجسيماً واقعياً لما ينطق ..

عندئذ يؤمن الناس ، ويثق الناس ، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق .. إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها ؛ وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها .. إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة ، لأنها منبثقة من حياة .

والمطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك ، ليست مع هذا أمراً هيناً ، ولا طريقاً معبداً . إنها في حاجة إلى رياضة وجهد ومحاولة . وإلى صلة بالله ، واستمداد منه ، واستعانة بهديه ؛ فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيراً ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره ، أو عما يدعو إليه غيره .

والفرد الفاني مالم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته ، لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه ؛ وقد يغالبها مرة ومرة ومرة ؛ ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى ، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله ؛ فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد فهو قوى قوى ، أقوى من كل قوى ، قوى على شهوته وضعفه . قوى على ضروراته واضطراراته . قوى على ذوى القوة الذين يواجهونه [1] .

فالمطابقة بين القول والفعل ، وبين العقيدة والسلوك من الأمور التي يتحتم على الخطيب أن يلتزم بها .

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال : " قال رسول الله(ﷺ)

---

(١) في ظلال القرآن الكريم – سيد قطب –جـ١ – ص ٦٨ – ط دار الشروق .

مررت ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، قال من هؤلاء ؟ قال خطباء أمتك من أهل الدنيا ممن كانوا يأمرون الناس وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون "(١) .

عن أسامة أني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول :" يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه فيطوف به أهل النار ، فيقولون يا فلان ما أصابك ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتية ، وأنها حكم عن المنكر وآتيه " (٢)

ثالثاً : حضور البديهة :

البديهة الحاضرة تسعف الخطيب بالعلاج المطلوب في الوقت المناسب ، وحضور البديهة تحتاج إلى إعداد العدة بكثرة الإطلاع وسعة العلم ومدارسة القرآن الكريم .

إن حضور البديهة للخطيب تخرجه من ورطة محققة إذا سأله أو اعترض عليه أو قاطعه إنسان سواء أثناء الخطبة أو بعد الصلاة وفي تراثنا أمثلة كثيرة بينت أهمية البديهة الحاضرة من ذلك .

أ- من الأمثلة الدالة على حضور البديهة في المواقف الحرجة .. أن " قتيبة بن مسلم " القائد العسكري وهو يخطب في خرسان أثناء

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده .
(٢) رواه البخاري ومسلم .

فتوحه ، سقط القضيب من يده ، فتشاءم أصدقاءه ، وتفاعل أعداؤه ، وشعر قتيبة بذلك ، فتناول القضيب من الأرض وقال : ليس الأمر على ما ظن العدو ، وخاف الصديق ، ولكن كما قال الشاعر .

فألقت عصاها واستقر بها النوى .. كما قر عيناً بالإياب المسافر

ب- وقد يكون الباعث على المقاطعة والمعارضة إنما هو التهريج والتعويق والتشفي ، خطب أبو جعفر المنصور فحمد الله وأثنى عليه ، فقال أحد السامعين :" أذكرك من ذكرت به " فأجاب أبو جعفر بلا تفكير ولا روية " سمعاً سمعاً لمن حفظ عن الله وذكر به ، وأعوذ بالله أن أكون جباراً عنيداً، وأن تأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين . وأنت أيها القائل فوالله ما أردت بها وجه الله ، ولكن ليقال قام فعوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت . وأنا أنذركم . أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت وفينا انبثت " [1] . ثم عاد إلى الخطبة .

فانظر إلى سرعة البديهة والرد القوي الصارم الذي هيأته الخلفية الثقافية .

جـ- وقد يتعرض الخطيب لأمر يقع عليه وهو على المنبر ، فسرعة البديهة تخلصه من ذلك نرى ذلك عند خالد بن عبد الله بن عبد الملك وكان إذا خطب الناس كأنه يصنع الكلام لعذوبة لفظه وبلاغة

---

(١) تاريخ الطبري جـ٩ ص ٣١١ وصبح الأعشى جـ١ صت ٢٦٢ وانظر : العقد الفريد – ابن عبد ربه جـ٤ صـ ٩٨ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة .

منطقه ، وفي يوم وهو يخطب على المنبر وقعت جرادة على ثوبه فقال : سبحان من الجراد من خلقه ، أدمج قوائمها،وطرفها، وجناحيها،وسلطها على من هو أعظم منها [1]

د- وقد تضيق نفس الخطيب بعد صعوده المنبر ويضطرب تفكيره لحادثة وقعت له ، فسرعة البديهة هي التي تخلصه من هذه المشكلة من ذلك أن بعض الخلفاء العباسيين صعد المنبر ليخطب ، فسقطت ذبابة على وجهه ، فطردها ، فعادت إليه ، فطردها فعادت إليه . فلما تكرر منها ذلك ضاقت نفسه واضطرب تفكيره ، فتخلص بآية من القرآن الكريم ملائمة للحالة التي يعانيها ، فقال : " أعوذ بالله السميع العليم "﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [2] ثم نزل فاستحسنوا منه هذا التخلص .

رابعاً : الشجاعة والثقة بالنفس :

من مكونات الخطيب الجرأة والشجاعة والثقة بما يقول ، وأن يقف مطمئن النفس ، غير مضطرب ولا وجل ولا متردد ، لأن المستمعين إن أحسوا بضعفه واضطرابه ، صغر في نظرهم ، وهان هو وكلامه في أعينهم .

---

(١) العقد الفريد – ابن عبد ربه – جـ٤ – ص ١٤٩ .
(٢) سورة الحج . آية رقم : ٧٣ .

والخطيب قد يتعرض لمواقف كثيرة قد توهن قوته وتجعله يغير مجرى خطبته أو يوجزها أو يحذف بعض عناصرها فتضيع خطبته وتجعل كلامه هباءً منثورا إن كان ضعيفاً ، ولكن الخطيب الجرئ لا يتأثر بها . يقول الدكتور عبد الجليل شلبي " قد يشرع الخطيب في خطبته وبعد إلقاء بعض فقراتها يقوم من المجلس وربما من الصفوف الأمامية بعض الأشخاص ويخرجون . وقد يعرض عنه بعض السامعين فينظر في صحيفة أو كتاب ، أو يتحدث إلى من بجانبه فهذا يوهن قوة الخطيب ويترك أثراً كبيراً من الفتور في صوته وإلقائه ولكن ينفعه في هذه الحالة أن يولي وجهه إلى الآخرين ، وألا يبدي أي اكتراث بما حدث

ومن نصائح الأقدمين :" إنك لا تتعلم الخطابة حتى تتعلم القحة " والمراد بالقحة عدم المبالاة بأي شئ يكون معارضاً له ويرجع ذلك إلى الجرأة وقوة الجنان " [1] ورباطة الجأش .

والخطيب الذي لا يتدرب على الشجاعة والثقة بالنفس إذا وقف أمام الناس فإنه " يصاب بحالة من الإثارة العصبية فتزداد ضربات قلبه عدداً وشدة ، ويتصبب عرقاً ، وتخور قواه ، ويصاب برعشة في كل جزء من جسده ، ويتلعثم بعد جفاف ريقه ، ومن الناحية الوجدانية فإنه يكون مشتت الفكر ، لا يستطيع أن يمسك بفكرة في رأسه ، ومع هذا يمكن للمبتدئ أن يقلل من هذه الأعراض بالتدريب ، فالذي يؤدي خطبته

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب .ص٤٥

أمام المرآة أكثر من مرة تزداد ثقته بنفسه بعدد هذه المرات ، والذي يواجه جمهوراً محدوداً . أسرته - زملائه –أصدقائه- يكون أكثر ثقة وتركيزاً من المتدرب أمام المرآة ، وهكذا ، أما مراجعة نصوص خطب السابقين وحفظها من غير تدريب فإنه لا يغني الخطيب شيئاً حين يواجه الجمهور الكبير [(١)].

خامساً : جمال الهندام :

تحدث علماء الخطابة عن أهمية الملبس وجمال الهندام للخطيب يقول الدكتور الحوفي :" الهندام المنسق يعزز ثقة الخطيب بنفسه ، ويكسبه في أعين الناس مهابة ، والناس منذ كانوا يتأثرون أول وهلة بالهيئة الحسنة . والمنظر الجليل ، والفرنجة يعتنون بزيهم ، ولا سيما إذا علوا المنابر . وكان العرب في الجاهلية وما بعدها يلبسون العمائم ويفخمون منظرهم إذا ما خطبوا "[(٢)] ، وينقل الإمام محمد أبو زهرة – رحمة الله عليه – عن أستاذه وشيخه " محمد المهدي " قوله عن أهمية جمال الملبس :" وإن لم يكن من الصفات التي تقوم عليها الخطابة أمر تجب العناية به ، لأنه مطمح الأنظار ، والنظر يفعل في القلب كما يفعل الكلام في السمع فهو من هذه الناحية لا ينقص اعتباره عن اعتبار

---

(١) الحاجز النفسي دراسة في الخطابة للدكتور / محمد ابو زيد الفقي صـ ٩٠ – دار البيان .
(٢) فن الخطابة للدكتور الحوفي صـ ٣٣ .

الصفات الأصلية [1] ، ألا ترى أن معاوية لما رأى " النخار بن أوس العذري " الخطيب المشهور مرتدياً عباءة رثة أنكر مكانه وهيئته حتى اضطر النخار إلى أن يقول : إن العباءة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها [2]

لهذا يجب على الخطيب أن يجمل ملابسه وينسقها خاصة وأن الله سبحانه أمرنا بهذا فقال سبحانه : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [3]

إن جمال الهيئة في المنهج القرآني غاية مقصودة في الخلق فهو يتجلى في جميع عوالم الكون الفسيح ، ويتجلى في عالم الإنسان البديع ، الذي ينبغي أن يعرف كيف يتذوق هذا الجمال ، ويجسده في سلوكه ، ويحافظ عليه في ظاهره وباطنه ومن حوله في حياته وبيئته ، ولا يكون ذلك إلا باتباع الشريعة البيضاء النقية ، بمصدريها القرآن والسنة ، اللذين هما منبع الجمال الحقيقي الخالد في هذه الحياة .

إن موضوع الجمال في القرآن الكريم من الموضوعات الجديرة بالبحث والتأمل ، فهو جمال منضبط وجمال متعدد الأشكال والأنواع جمال في الماديات و جمال في المعنويات .

---

(١) الخطابة صـ ٤٧ .
(٢) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ صـ ٨٨ .
(٣) سورة الأعراف . آية رقم : ٣١-٣٢.

وقد جاء في آيات كثيرة وصفاً لسلوكيات أخلاقية يرادفها أن تكون قيماً سامقة عالية . من ذلك قوله تعالى مخاطباً رسوله (ﷺ) :" فاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا " [1]. وقوله تعالى أيضاً :﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ "[2] وقال سبحانه على لسان نبيه يعقوب عليه السلام : ﴿ وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [3] ، وقال عز وجل مخاطباً نبيه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [4] .

وعندما سئل الإمام ابن تيمية عن الصبر الجميل والهجر الجميل والصفح الجميل فقال :" إن الله أمر نبيه بالهجر الجميل ، والصفح الجميل ، والصبر الجميل ، فالهجر الجميل هجر بلا أذى ، والصفح الجميل صفح بلا عتاب ، والصبر الجميل صبر بلا شكوى " [5] .

وهكذا الخطيب جميل في ملابسه وجميل في أخلاقه وسلوكياته .

---

(١) المعارج آية رقم : ٥ .
(٢) سورة الحجر . آية رقم ٨٥ .
(٣) سورة يوسف آية رقم : ١٨ .
(٤) سورة الأحزاب . آية رقم : ٢٨ .
(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ١٠ صـ ٦٦٦ : ٦٦٧

سادساً : النطق الحسن :

النطق الحسن هو الدعامة الأولى للإلقاء الجيد ، وإذا اعترى النطق ما يفسده ضاع الإلقاء ، فضاعت معه الخطبة وأثرها ، وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان ، ولا شئ يذهب بالمعنى الجيد أكثر من النطق الردئ ، وكثيراً ما يفهم المعنى على غير وجهه ، لأن النطق قلبه ولم يصوره تصويراً صادقاً .

والنطق الجيد يحتاج إلى عناصر أربعة ، لابد من توافرها ، فإذا فقد أحدها ذهب أحد أركانه ، فاختل بنيانه ، وهي :-

أ- تجويد النطق :

على الخطيب أن يخرج الحروف من مخارجها الصحيحة مع إعطائها حقها ومستحقها من التفخيم والترقيق وغير ذلك مما هو معروف في علم التجويد أو موسيقى الصوت ، ومن العيب الفاضح أن ينطق الخطيب بالثاء سيناً ، وبالذال زاياً ، وبالجيم كما ينطق العامة كافاً ، وهكذا كل مخارج الحروف ، فيجب أن يعني الخطيب بأن يكون الحرف خارجاً من ينبوعه صادراً عن مخرجه الذي عرف به .

والعناية بنطق الحروف نطقاً صحيحاً وإخراجها من مخارجها ليس معناه أن يتشادق الإنسان ذلك التشادق الذي يقع فيه بعض المتكلمين ، فيكسو النطق تكلفاً يثير سخرية السامعين ، أو يقل عليهم ، كبعض الخطباء الذين يدفعهم الغلو في مخرج الحرف فيخرج الجيم بمت يقرب من الشين فراراً من نطق العامة

ب- مجانبة اللحن :

يجب على الخطيب أن يبتعد عن اللحن في الكلام الذي ينطق به ، فلا ينطق مثلاً كلمة سوقه بفتحتين فيذهب ذلك روعة القول وبهائه ، وإذا أراد أن ينطق بالمصطلحات الحديثة أو القديمة فعليه أن يرجع إلى المعاجم اللغوية والعلمية ، وأيضاً لا ينطق بغير ما توجبه قواعد النحو في آخر الكلمات فإن ذلك يفسد المعنى ، وقد يقلبه ، فلو قرأ مثلاً قوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (1) بنصب لام رسوله بدل من رفعها فهذا يفسد المعنى ويقلبه .

فالخطيب الذي لا يستطيع أن يفرق بين الفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر ،والمنصوب والمرفوع والمجرور ، والمعرب والمبنى ، وغير ذلك من قواعد اللغة ، لا فائدة من خطبته ولا اثر لها في نفوس المستمعين ، لأن هذه الأخطاء تذهب برونق الخطبة وحسن وقعها ، وجمال تأثيرها .

جـ- تصوير النطق للمعاني تصويراً صادقاً

على الخطيب أن يصور الكلمة ويجسمها لمستمعيه حتى تتميز عن سواها ، فالجملة المؤكدة ينطقها بشكل يدل على التوكيد في النغم ،

---

(1) سورة التوبة . آية رقم ٣ .

والجملة الاستفهامية ينطق بها بشكل ينبئ عن الاستفهام والمراد منه ، لذلك يجب على الخطيب ان يروض نفسه على تصوير المعاني وأن يجعل من نغمات صوته وارتفاعه وانخفاضه دلالات أخرى فوق دلالات الألفاظ ، وليعمل على أن يكون صوته ناقلاً صادق النقل لمشاعر نفسه .

كما يستحسن أن يجعل صوته مناسباً لسعة المكان ولعدد السامعين ، فلا يعلو حتى يكون صياحاً ، ولا ينخفض حتى يصير كلامه في آذانهم همساً ، ولا يجعل صوته على وتيرة واحدة وبشكل واحد لا تغيير فيه ولا تبديل ، فإن ذلك يلقي في نفس السامع سآمة ومللاً .

ولذلك فمن المهم للخطيب أن يلون صوته فيجعل للعاطفة صوت والشجاعة صوت كالدعوة للجهاد أو لبناء مؤسسة تفيد المجتمع ، ولا يقف الخطيب عند طبقة واحدة من صوته وإنما يمرن نفسه على أن يكون لصوته عدة طبقات .

- **سابعاً : التمهل في الإلقاء :**

التمهل في الإلقاء من ألزم الأمور للخطيب ، لأن النطق السريع المتعجل ينتج منه تشويه المخرج وخلط الحروف بعضها ببعض ، لأن عضلات الفم واللسان لا تأخذ الوقت الكافي للانتقال من لفظ إلى لفظ ، كما أن الإسراع يجعل الخطيب يهمل الوقوف عند المقاطع الحسنة ، والمقاطع لها حسن الأثر في نفس السامع ، والخطيب السريع في نطقه لا يعطي السامع الفرصة الكافية لفهم ما يسمع ، كما أن الإسراع يجعـــل

الكلمات تحتاج إلى مجهود صوتي أكبر ليصل الكلام إلى الآذان (١) .

ومع هذا فإن الخطيب قد يحتاج إلى الإسراع في الجمل الدالة على الفرح والسرور ، وأيضاً الجمل الدالة على الغضب ، ليكون النطق مصوراً للمعنى الروحي لهاتين الحالتين تمام التصوير .

ثامناً : الإشارة :

من الأمور التي يتصف بها الخطيب الناجح قدرته على استخدام الإشارة فهي تقوم بدور فعال في التواصل والتفاهم وتوضيح المبهم والغريب في لغة المتحدث ، وهي المخاطبة الصامتة ، وصوت الشعور ، وعبارة الوجدان ، وللإشارة أثر في إثارة الانتباه والشعور فقد استخدمها النبي (ﷺ) لبيان وإيضاح المعاني للمخاطبين في خطبه وأحاديثه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) :" يقبض العلم ، ويظهر الجهل والفتن ، ويكثر الهرج ، قيل يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال : هكذا بيدي فحرفها كأنه يريد القتل (٢) . وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنهم ذكروا عند رسول الله (ﷺ) من الجنابة فقال رسول الله (ﷺ) :" أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثاً وأشار بيديه كلتيهما " (٣)

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ – جـ١ – ص ٣٤ – ٣٥

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم – باب رفع وقبضه الحديث رقم ١٥٧ ، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٨/٤

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب من أفاض على رأسه ثلاثا – الحديث رقم ٢٥١ . ومسلم في كتاب الحيض باب استحباب إفاضة الماء على الرأس وغيره ثلاثا – الحديث رقم ٣٢ وأحمد في المسند ٨٤/٤

وفي تصوير علاقة المؤمن بأخيه في صورة حسية استخدم رسول الله (ﷺ) الإشارة حينما شبك بين أصابعه دلالة على القوة وشدة التماسك .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) :" أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه"[1] .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) :" كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة وأشار بالسبابة والوسطى " [2]

إن لغة الإشارة أصبحت لغة عالمية ، والإشارة بالإقبال أو الإدبار أو النهي عن الفعل أو بالإبهام والسبابة أو إشارة التعجب والاستنكار أو غير ذلك من الإشارات التي تفهم لدى جميع الناس من الأمور المتفق عليها ، بل أصبحت من العلوم التي تدرس ، فيجب على الخطيب أن تكون إشاراته ملائمة للمعنى ، موافقة لما يقول .

وعلى الخطيب أن يراعي في إشارته عدة أمور منها ما يلي :-

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة .المجلد السادس جـ١٦ .حديث رقم ٢٥٨٥ بدون "وشبك بين اصابعه " ، والترمذي في سننه في كتاب البر والصلة باب ما جاء في حق المسلم على المسلم الحديث رقم ١٩٢٨ ، وقال : حسن صحيح وأحمد في المسند ٤٠٤/٤-٤٠٥ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٢٢/١١

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق -باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين -جـ٢٢٨٧/٤ وأحمد في المسند ٣٧٥/٢

١- أن يأتي بها في مواضعها الملائمة لها المحتاجة إليها .

٢- أن يجعلها موافقة للمعنى وسابقة له فيشير ثم ينطق .

٣- أن تكون إشارته بيده سريعة إذا كان الكلام حاداً ليطابق العاطفة .

٤- يراعي أن الإكثار من الإشارة باليد خطل وصرف للسامع عن الانتباه .

٥- أن تسبق الإشارة القول أو تصاحبه حتى تكون منبئة عنه ممهدة له .

تاسعاً : المعايشة النفسية للمخاطبين :

من الصفات المعنوية للخطيب الناجح أن يعايش المخاطبين ، ويشعر بشعورهم ، ويغضب لغضبهم ، ويفرح لفرحهم ، ويحزن لحزنهم ، ويسر لسرورهم حتى تتصل روحه بأرواحهم فيتمكن من استفزاز مشاعرهم ، أو تهدئة نفوسهم عند الإثارة .

ومما يصح الاستشهاد به في هذا المقام ، لأنه صورة واضحة لاستخدام المعايشة النفسية والوجدانية خطبة أمير المؤمنين " على بن أبى طالب " -رضي الله عنه – بعد استشهاد الخليفة الثالث والتي قال فيها " الحمد لله على كل أمر وحال ، في الغدو والآصال ، واشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياة للبلاد ، حيث امتلأت الأرض فتنة ، واضطرب حبلها ، وعبد الشيطان في أكنافها ، واشتمل عدو الله إبليس على عقائد أهلها ، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي أطفأ الله به نيرانها ، وأخمد به شرارها ، ونزع به أوتادها ، وأقام به ميلها ،إمام الهدى ، والنبي المصطفى (ﷺ) ، فلقد صدع بما

أمر بـه وبلـغ رسـالات ربـه ، فأصـلح الله بـه ذات البين ، وأمن به السبل ، وحقن بـه الـدماء ، وألـف بـه بـين ذوي الضـغائن الواغرة فـي الصـدور ، حتى أتاه اليقين ، ثم قبضه الله إليه حميداً .

ثم استخلف الله أبـا بكر فلم يـأل جهده ، ثم استخلف أبو بكر عمر فلم يـأل جهده ، ثم استخلف الناس عثمان ، فنال منكم ونلتم منه ، حتى إذا كـان مـن أمره مـا كـان ، أتيتمونـي لتبايعوني فقلت لا حاجة لي في ذلك ودخلت منزلـي فاستخرجتموني ، فقبضـت يـدي فبسـطتموها ، وتداككتم علـى حتى ظننت أنكم قاتلي ، وأن بعضكم قاتل بعض ، فبايعتموني وأنا غيـر مسـرور بـذلك ولا جـذل ، وقـد علـم الله سـبحانه أنـي كـنت كارهـاً للحكومة بين أمـة محمد صلى الله عليه وآله ، ولقد سمعته صلى الله عليه وآلـه يقـول :" مـا مـن والٍ يلـي شيئاً مـن أمـر أمتـي إلا أتـى بـه يوم القيامة مغلولة يداه إلـى عنقه علـى رءوس الخلائق ، ثم ينشر كـتابه ، فإن كـان عـادلاً نجـا ، وإن كـان جائـراً هوى " حتى اجتمع ملؤكم ، وبايعنى طلحة والزبيـر ، وأنـا أعرف الغدر فـي أوجههمـا ، والنكث علـى أعينهما ، ثم استأذناني فـي العمرة فأعلمتهما أن ليس العمرة يريدان ، فسارا إلى مكة واسـتخفا عائشـة وخـدعاها ، وشـخص معهمـا أبـناء الطلقـاء ، فقدمـوا البصـرة فقتلوا بهـا المسلمين وفعلوا المنكر ، ويـا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمـر وبغيهما علي وهما يعلمان أني لست دون أحدهما ، ولو شئت أن أقول لقلت ، ولقد كـان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه ، فكتماه عنـى ، وخرجا يوهمان الطغام أنهما يطلبان بدم عثمان ، والله ما

أنكر علـى منكراً ، ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً ، وإن دم عثمان لمعصوب بهمـا ومطلـوب مـنهما ، يـا خيـبة الداعـي إلام دعـا ؟ وبمـاذا أجـيب ؟ والله إنهمـا لعلـى ضـلالة صـماء ، وجهالـة عمـياء ، وإن الشـيطان قـد ذمـر لهـا حزبـه ، واسـتجلب مـنهما خيله ورجلـه ، ليعيد الجـور إلـى أوطانـه ، ويرد الباطل إلى نصابه " [1] .

العيوب البيانية للخطيب :

بعد الحديث عن أهمية الخطابـة وطـرق تحصيلها وآداب الخطيب وصفاته ودعائم الإلقاء الجيد نبين العيوب التي تتصل بالبيان ليقوم طالب الخطابـة بمعالجتها إن كانـت فيه ، وكانـت المعالجـة فـي استطاعته . وهذه العيوب ثلاثة أقسام .

القسم الأول : عيوب تتعلق ببيان المراد والوصول إلى الغرض ، وهو مـا كـان منشـأه عدم المسير علـى قوانـين الخطابـة وعدم ملاحظة فن الإلقـاء كعدم مـراعاة مقتضـي الحـال ، أو عـدم انـتظام الإشـارة ، أو عـدم القـدرة علـى إثـارة حماسـة المسـتمعين ،أو أن الصـوت جـاء مطـرداً علـى وتيرة واحدة من غير أن يكون مصوراً للمعاني تمام التصوير أو السرعة الزائدة وهذا يكفي في الابتعاد عنها المعرفة التامة بأصول هذا العلم .

---

(١) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة . أحمد زكي صفوت -جـ١ -ص ٣٠٣ – ٣٠٤ طبعة المكتبة العلمية بيروت

القسم الثاني : عيوب تتعلق بالنطق وهي كثيرة جداً وأكثرها شيوعاً اللثغة ، والتمتمة ، والفأفأة ، واللفف ، والحبسة .

أما اللثغة : فقد بين الجاحظ –وغيره من العلماء – أنها تعذر النطق بحرف ، والنطق بحرف آخر بدله وأن الحروف التي تدخلها أربعة أحرف هي : القاف ، والسين ، واللام ، والراء . واللثغة التي تعرض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاء : فإذا أراد أن يقول : قلت . قال : طلت . وإذا أراد أن يقول :قال لي ، قال : طال لي .

وأما اللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كما يقولون : بثرة ،إذا أرادوا بسرة ، وباثم الله ، إذا أرادوا باسم الله . وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن صاحبها يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : جمل جمى ، واعتللت اعتييت .

وأما اللثغة التي تقع في الراء وهي أشهرها لكثرة ما يعرض لها من حروف . فمنهم من إذا أراد أن يقول : عمر قال عمى ، فيجعل الراء ياء ومنهم من إذا أراد أن يقول عمرو قال : عمغ ، فيقلب الراء غينا ، ومنهم من إذا أراد أن يقول : عمرو قال : عمذ فيجعل الراء ذالاً [1] .

وذكر الجاحظ بعضاً من مشهوري الخطباء الذين كان بهم شئ من هذا اللثغ وكيف كانوا يتجنبونه وينجحون في تحاشيه ومنهم محمد بن شبيب وهو من رجال الكلام . وكان ينطق الراء غيناً ولكنه كان يستطيع

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ صـ ٣٤ ، ٣٥ .

النطق إذا ضغط لسانه ، وكان لحسن تصرفه في الكلام وسعة المفردات لديه يستبدل الكلمة بأخرى خالية من الراء . وهذا عجيب وشاق ولكنه تأتى له بطول المران حتى وصفه بعض الشعراء بقوله [1] .

عليم بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله

ومن أشهر هؤلاء واصل بن عطاء [2] . رأس المعتزلة ، فإنه كان أللثغ فاحش اللثغ وكان مخرج الراء فاحشا شنيعا .

وكانت مكانته وموقفه من خصومه الكثيرين ، وحاجته لرشح مذهبه والدفاع عنه تحوجه إلى الخطب الطوال ، وأنها لابد أن تكون فصيحة بينة الألفاظ واضحة الحروف فعمل على إسقاط الراء من كلامه فلم يزل يكابد ذلك حتى استقام له أن يلقي الخطب الطوال خالية من هذا الحرف . !!

وكان الناس يعجبون منه ومن حسن تصرفه في الكلام لتحاش هذا الحرف . ويتوقف مثل هذا العمل على سعة العلم بالمفردات اللغوية والتراكيب البيانية ، وعلى التدريب والتمرين

وأما التمتمة فهي التتعتع في التاء ويقال لمن كانت فيه هذه الحال تمتام . والفأفأة وهي التتعتع في الفاء ويسمى من كان فيه هذا العيب فأفاء

---

(١) المصدر السابق صـ ٣٧ .

(٢) واصل بن عطاء ولد سنة ٨٠ هـ وتوفى سنة ١٨١هـ وكان يكن أبا حنيفة ويسمى الغزال لأنه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين ،وكان بشار بن برد قبل أن يجهر بمذهبه في المرجئة يحبه ويجله ويقدمه على أقرانه من الخطباء فلما جهر بمذهبه عاداه واصل .

. وأما اللفف فهو إدخال بعض الكلام في بعض ، ومن كان كذلك سمي ألف . وأما الحبسة فهي ثقل النطق على اللسان من غير أن يتردد في حروف بعينها وقد يكون السبب في ذلك عدم وضوح ما يريد أن يقوله .

وهذه العيوب قد تكون ناشئة بسبب عارض أصاب الجسم ، أو بعض الحميات التي يكون لها أثر في أعصاب اللسان .

يقول الجاحظ عن أهمية البعد عن هذه العيوب :" إن البيان يحتاج إلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة ، وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج ، وجهارة المنطق وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة ، كحاجته إلى الجلالة والفخامة ، وأن ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب ، وتنثنى إليه الأعناق ، وتزين به المعاني "[1] .

---

(١) البيان والتبيين للجاحظ جـ١ صـ ٤١ .

المبحث الثاني

خصائص المفردات الخطابية

تحدث العلماء (1) عن أهمية المفردات الخطابية وميزاتها ولوازمها حيث أن الخطبة مجموعة من هذه المفردات التي كلما كانت الكلمة في مكانها من النصب ، وحسن ملائمة معناها ، لمعاني جاراتها ، ومؤانستها لأخواتها كلما كانت الكلمة متمكنة ومقبولة ، ومن ثم كانت هذه الخصائص والتي منها :-

١- أن يكون اللفظ واضحاً مكشوفاً وقريباً معروفاً ، من السهل إدراك معناه ، والوصول إلى مرماه ، لا يبعد عن مألوف السامعين ، ولا يتناءى عن معروفهم ، وغلا كان غريباً يعلو على مداركهم .

١- ألا تكون الألفاظ مبتذلة أو مستفلة إلى درجة العامية فيذهب بهاء الخطبة ، ويضيع جلال معانيها ، كاستعمال لفظ "أتعشم" في موضع أرجو أو آمل ، أو أطمع . وكاستعمال لفظ أفتكر في موضع أتفكر أو أفكر ، أو أتأمل ، أو أذكر ، ونحو ذلك من الألفاظ العامية ، أو المبتذلة القريبة منها ، التي شاع استعمالها على ألسنة بعض خطبائنا خطأ ،فعلى الخطيب أن ينتقي ألفاظ الخطبة ، من غير أن يبتعد عن المفهوم المألوف ، ومن غير أن ينزل فينطق بالمبتذل أو العامي .

---

(1) انظر الخطابة أصولها - تاريخها في أزهر عصورها عند العرب : صـ ١٠٣

٢- أن تكون في الخطبة ألفاظ مناسبة مثيرة لخيال الجماعة ، موقظة لذكريات حية في نفوسهم ، فإن كل جماعة عندها طائفة من الألفاظ ، إذا ذكرت أثارت خيالات تهز النفس بالسرور والاطمئنان ، أو بالسخط والغضب ، كألفاظ الإيخاء ، والمساواة ، والحرية ، والديمقراطية ، عند الثوار في الثورة الفرنسية . فإنها كانت تهزهم .

والخطيب الماهر من يقتبس من الألفاظ ما يكون له الأثر الكبير فيما يريد بحيث تكون متلائمة مع ما يريد فإذا كان يخطب في الحث على أداء فريضة الحج ، ذكر الحرم الشريف ، ومقام إبراهيم ، وزمزم ، والصفا والمروة ، وغير ذلك .

٣- على الخطيب أن يختار الألفاظ الجزلة في مقامها ، والرقيقة كذلك ، ففي نحو التهديد والفخر ، وإثارة الحمية ، والحماسة ، والحث على الجهاد يختار الألفاظ الجزلة القوية ، وفي نحو إظهار الأسى ، والألم يختار الرقيق من الألفاظ [1] ، والناظر للقرآن الكريم يجد هذا واضحاً غاية الوضوح ، فمثلاً عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط ، وذكر الموت ومفارقة الدنيا يجد أن اللفظة القرآنية فيها من الجزالة والقوة ما يوحي بحقيقة الأمر مثل قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ * وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ

---

(١) انظر الخطابة : الإمام محمد أبو زهرة ص ١٠٥ .

الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [1] .

وأما اللفظة الرقيقة فهي واضحة في مخاطبة النبي (ﷺ) قال تعالى : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [2]

وهكذا نرى سبيل القرآن الكريم في كلا هذين المثالين من الجزالة والرقة ، لأن الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر ، فالألفاظ الجزلة تتخيل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار ، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذوي دماثة ولين أخلاق ، ولطافة مزاج .

أوصاف الأسلوب الخطابي :

للأسلوب الخطابي أوصاف خاصة به تميزه عن غيره من أساليب أخرى ، وقد تحدث العلماء عن أوصاف كثيرة منها ما يلي :-

١ـ على الخطيب أن يتصرف في فنون القول بحيث تتعاقب على المعنى أو المعاني ضروب مختلفة من التعابير ، من تقرير إلى تعجب ، إلى تهكم ، إلى نفي ، فهذا يكسب كلامه حدة فلا يذهب نشاط السامعين ، ولا

---

(١) سورة الزمر . آية رقم ٦٨-٧٠ .
(٢) سورة الضحى .آية رقم : ١-١١

يعتريهم الملل أو الضيق ، بل إنه يستطيع بهذا الأسلوب أن يجعل مشاعرهم يقظة دائماً ، وقلوبهم متفتحة يصل إليها ما يريد .

٢- على الخطيب حسن التآلف بين الكلمات ، وتآخي النغم ، بحيث تنحدر الكلمات على اللسان في يسر وسهولة ، ويحسن وقعها في الأسماع ، فلا تكون واحدة منها نابية عن أخواتها ، أو ساكنة في غير مستقرها ، فتكون قلقة في النطق وثقيلة على السمع .

٣- على الخطيب أن ينوع الأسلوب بتنوع المقامات ، وبتنوع أحوال السامعين ، وبمراعاة سن الخطيب ومنصبه ، وعمله ، وما يليق صدوره عنه ومالا يليق ، فلكل مقام نوع من الأساليب ، ففي مقام التحميس والتهديد تختار الأساليب الفخمة والعبارات الضخمة ، وفي بعض مقامات التأبين وإظهار الألم والأسى تختار العبارات السهلة الرقيقة المؤثرة ، ولكل قوم خطاب ، فالعامة تختار لهم العبارات الساذجة حتى لا تعلو على أفهامهم ، ولا تسمو على مداركهم ، والعلماء يخاطبون بعبارات منتقاة دقيقة محكمة ، ويحلى الكلام ببعض الأساليب المنطقية ، والمتدينون يستشهدهم بشواهد من الدين ، ويحلى الكلام بمقتبسات من الكتب المنزلة وهكذا يجب على الخطيب أن يلاحظ في أسلوبه وعباراته أحوال السامعين ، وما يقتضيه المقام ، وما يحسن منه وما لا يحسن .

٤- تجميل الكلام في بعض الأحوال بسجع قليل قصير الفقرات ، أمر قد وجد قديماً وحديثاً ، فعلى الخطيب أن يجمل أسلوبه بفقرات من السجع خاصة إذا كان في قوم يؤثرون النحو في الكلام ، فإن الكلام الموسيقى

المسجوع يهز نفوسهم .غير أنه يجب أن يلاحظ أن السجع لا يليق في بعض الخطب كالمرافعات القانونية ، فإنها لا يحسن فيها إلا الحقائق عارية من كل شئ .

المبحث الثالث

خصائص الأسلوب الخطابي

أولاً : خصيصة الإطناب

إذا كان الإطناب غير محمود في الأسلوب الكتابي أو العلمي ، فإنه محمود في الأسلوب الخطابي ، وهو ضروري في الخطابة السياسية والقضائية والحفلية ، وقد يضطر الخطيب الديني إلى الإيجاز مراعاة لحالة الجماعة والزمن ، كأن يكون المسجد غاصاً بالمصلين في يوم قائظ ، أو يكون المصلون من ذوي الأعمال العاجلة وقد تركوها ريثما يصلون ، ولكن هذا لا ينفي أن من خصائص الأسلوب الخطابي الإطناب ، لأن الإيجاز إنما تقتضيه ظروف وأحوال .

فعلى الخطيب أن يراعي المقام وما يقتضيه من إيجاز أو إطناب فيطيل في غير خطل ولا إملال ، ويوجز في غير تعمية ولا إخلال .

وسائل الإطناب :

١- من وسائل الإطناب التكرار المعنوي ، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة ، ليتضح ويقوى تأثيره ، ولا عيب في هذا التكرار المعنوي إذا ما تغيرت عباراته : مثل قول الحجاج :" يا أيها الناس من أعياه داءه ، فعندي دواءه ، ومن استطال أجله ، فعلى أن أعجله ، ومن ثقل عليه رأسه ، وضعت عنه ثقله ، ومن استطال ماضي عمره قصرت عليه باقيه "

فهذه الخطبة كلها بمعنى واحد ولكن التعبير مختلف ، فكأن لكل جملة معنى جديداً وتهديداً ووعيداً .

٢- ومن وسائله أيضاً التفصيل والشرح وتوليد المعاني ، ليعمق أثر الخطبة في نفوس سامعيها ، كما كان يفعل الزعيم الوطني مصطفى كامل في خطبه ، فقد كانت لديه قدرة فائقة على الشرح وتوليد المعاني .

ثانياً : خصيصة الوضوح :

الأسلوب الخطابي الناجح يتسم بالوضوح في المعنى لأن فهم المعاني أساس الإقناع والاستمالة . فعلى الخطيب أن يختار من العبارات ما يوافق السامعين بشرط ألا يكون مبتذلاً سوقياً ، وشائعاً شعبياً ، وإنما يكون سهلاً في قوة ، وسامياً في وضوح وسهولة . فأسلوب الخطيب لا يحتاج إلى " بطن شاعر " وإنما يفتقر إلى (وجه القمر) لأن دلالة التعبير الأول مظنة اللبس والغموض ومثاراً للاختلاط وسوء الفهم ، وانحراف الإدراك ، وقصور التصور ، مما يوقع الناس في الشك والحيرة والتردد .

أما التعبير الثاني فله دلالة وضيئة تبوأت من الوضوح قمته ومن البيان ذروته ، مما يجعل المعاني تأتي على نحو ينقطع فيه الشك والحيرة والتردد ، ويؤمن معه اللبس ويزول معه الغموض ويتلاشى معها الاختلاط .

لأن قضايا الدين .. تحتاج إلى قول فصل تطمئن معه النفس ، ويسكن

الإنسان فيه إلى العمل .. ومن ثم كان إرسال الرسل بألسنة أقوامهم ضرورة من ضرورات التبليغ للإفهام وصحة التلقى وكمال اليقين ، ووضوح الرؤى والتصورات[1] . قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾.

ولهذا أضحى الوضوح " إحدى الخصائص العامة للإسلام . سواء فيما يتعلق بالأصول والقواعد . أم بالمصادر والمنابع ، أم بالأهداف والغايات . أم بالمناهج والوسائل " [٢] . وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يكون الوضوح من أهم خصائص الأسلوب الخطابي .

وسائل وضوح الأسلوب الخطابي :

١- أن يدرس الخطيب موضوعه درساً عميقاً دقيقاً حتى يتسنى له أن يعبر عنه تعبيراً جلياً مفهوماً ، فيتجنب الغموض والإبهام والتعبير المحتمل لمعنيين ، لأن الغموض مرده إلى أمرين : إما إلى غموض المعنى في ذهن الخطيب ، وإما إلى عجزه عن الإفصاح عما بذهنه .

٢- من وسائل الوضوح اختيار الكلمات التي تناسب الموضوع والسامعين ، بحيث تدل على معانيها في يسر وسهولة ودقة وتنفذ إلى الذهن والقلب .

---

(١) راجع : فن الخطابة صـ ١٦٩ . وخصائص خطب النبي (ﷺ) صـ ٨٥ .
(٢) راجع : الخصائص العامة للإسلام للدكتور يوسف القرضاوي صـ ١٦٩ .

٣- حسن عرض الجمل وتأليفها ، لتفصح العبارة عن المعنى الذي يقصد إليه الخطيب ، فيقدم أو يؤخر ، ويذكر أو يحذف ، ويؤكد أو لا يؤكد . مع الالتزام بقواعد اللغة .

٤- ترتيب الموضوع ترتيباً منطقياً ، فالمقدمات تسلم إلى النتائج والمعاني الأساسية قبل المعاني الفرعية [١] .

ثالثاً : خصيصة إثارة الشعور :

من خصائص الأسلوب الخطابي إثارة شعور المستمع ، وهذه الإثارة اعتمد عليها الخطباء قديماً وحديثاً واستطاعوا من خلالها إقناع المدعو وهي تعتمد على عدة وسائل منها ما يلي :-

١- من وسائل الإثارة استعمال الخطيب لأسلوب الخيال في العبارة ، وذلك باختيار المفردات العبارات التي تثير في النفوس أخيلة تبعث صوراً وأفكاراً تتلائم مع الموضوع الذي يخطب فيه ، وسبيل ذلك أن يتخير الخطيب العبارات المجازية كالاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، والتشبيه ، والتخييل ، والمبالغة المقبولة .

فالكلمة عند الخطيب والأديب والشاعر لا تفسر بالعقل وحده ولكنها تفسر كذلك بالقلب والخيال ، ومن ثم فالخطيب يحتاج لخيال مشوق يصور عاطفته ، فالجماعة تتأثر بالصور الخيالية والوجدانية أكثر من تأثرها بالصور العقلية ، ومتى كان الخطيب حاذقاً بليغاً أسكر

---

(١) انظر : فن الخطابة للدكتور الحوفي صـ ١٦٩

الجميع بتصويره ، فيثيره أو يهدئه ومن أمثلة ذلك ما ذكره صاحب نهج البلاغة عن أبي حمزة الخارجي في خطبته بالمدينة مدافعاً عن أتباعه قائلاً :" فمضى الشاب منهم قدماً : حتى التفت رجلاه على عنق فرسه ، واختضبت محاسن وجهه بالدماء ، وعفر جبينه بالثرى ، وانحطت عليه طير السماء ، وتمزقته سباع الأرض ، فطوبى بهم وحسن مآب .فكم من عين في منقار طائر بكى صاحبها في جوف الليل من خوف الله .وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً أو ساجداً . وكم من وجه رقيق ، وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد " [1] .

فهذه الخطبة فيها تخييل مثير ، وتصوير بليغ ، وأي تخييل مثير ، وتصوير بليغ ، وأي تخييل أقوى من تصويره أصحابه وقد عفر التراب جباههم ، ونهشتهم السباع والنسور ، وقلعت الطيور عيونهم ، وقد زاد هذا التصوير قوة وبلاغة بقوله إن هذه العيون طالما كانت تبكي من خشية الله ونقاء ، وأن سواعدهم كانت تكأة لأصحابها في الصلاة ، وأن وجوههم الرقيقة ، وجباههم العتيقة قد فلقها الحديد .

ومن أمثلة ذلك أيضاً إجابة الصحابي الجليل حارثة ، عندما سأله رسوله الله (ﷺ) كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال : أصبحت مؤمناً بالله حقاً .فقال له : وما علامة ذلك ؟ قال : أظمأت نهاري ، وقمت ليلي ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً أمامي ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة

---

(١) انظر : نهج البلاغة جـ ١ ص ٣٥٩ وفن الخطابة ص ١٧٤ .

يتزاورون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتعاونون فيها ، فقال له (ﷺ) .أبصرت فالزم " [١] .

٢- ومن وسائل الإثارة أيضاً اختيار الخطيب الكلمات القوية النفاذة إلى القلوب سواء أكان الخطيب في معرض التحميس أو التهديد ، من ذلك ما جاء في خطبة أبي جعفر المنصور بعد أن قتل أبا مسلم الخرساني :" إن من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبى هذا العمد " [٢] فقد اختار أبو جعفر المنصور في خطبته كلمات قوية مثيرة مفزعة مقلقة للسامعين فكلمة " أجزرناه" أقوى من كلمة قطعنا رأسه ، لأنه تذكر بذبح الجزار للماشية في سرعة وفي غير مبالاة ، بل تدل على ذبح المسرة ، وكلمة "خبي هذا العمد" كناية عن السيف الموضوع في جوربه ، وفي هذا شدة تهويل .

ومن ذلك أيضاً خطبة الإمام على لما علم أن النعمان بن بشير أغار من قبل معاوية على عين التمر ، ودعى على الناس أن ينهضوا إليه فتثاقلوا ، فقال :" يا أهل الكوفة . كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أظلكم . انحجز كل امرئ منكم في بيته ، وأغلق بابه انجحار الضب في حجره ، والضبع في وجارها .. ماذا منيت به منكم ، عمى لا تبصرون

---

(١) حديث صحيح رواه أصحاب السنن .
(٢) انظر تاريخ الإمام الطبري جـ ٩ ص ٣١٣ .

وبكم لا تنطقون وصم لا تسمعون ، إن لله و إنا إليه راجعون " [(١)] .

فالناظر هنا في خطبة الإمام يجد أنه أثارهم بكلمات كالطلقات النارية في شدتها وقوتها ، فهو يحقرهم لأنهم يخافون من المنسر –أي العدد الصغير من المحاربين – ويزيدهم تحقيراً ، وتهكما عليهم بقوله :" انجحر انجحار الضب والضبع " وهذا يدل على شدة هلعهم وخوفهم وسرعة الفرار إلى المأوى .

٣- ومن وسائل الإثارة وأساليب التأثير السريع استعمال الخطيب الجمل القصيرة ، لأنها سريعة الأداء سريعة الفهم ، متلاحقة الأثر ، مثلها كمثل الطرقات المتوالية على الحديد المحمي فستؤثر فيه وتشكله .

والمراد بالجمل القصيرة أن تكون وسطاً بين القصر والطول ، لأن العبارات الطويلة بطيئة التأثير مجهدة للخطيب في إلقائها ومن الجمل القصار قول زياد في خطبة له بالبصرة :" قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتغضون على المختلس ، كل امرئ منكم يذب عن سيفه ، صنيع من لا يخاف عاقبة أو لا يرجو معاداً ، وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ، ومن أحرق قوماً أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه فيه حياً ، فكفوا عني أياديكم وألسنتكم أكفف عنكم يدي ولساني ، ولا تظهر من أحد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه .

---

(١) المصدر السابق جـ٦ ص ٧٥

وقد كانت بيني وبين أقوام إحن ، فجعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي . فمن كان منكم محسناً فليزدد إحساناً ، ومن كان منكم سيئاً فلينتزع عن إساءته .."[1]

والناظر في هذه الخطبة يجد أنها تختلف عن غيرها في طبيعة الأسلوب وفي طبيعة الأفكار حيث عمد زياد ابن أبيه إلى التأثير السريع ، من خلال ذكر العقاب الشديد حيث اعتمد على الترهيب والتهديد بالقتل والفتك دون روية أو هوادة ، مبتعداً عن تهديدهم بالنار الآجلة في الآخرة ، منتضياً عليهم سيفاً عاجلاً ، تمثلت لهم فيه الأعناق وهي تقطع والدماء وهي تسيل " [2] .

من وسائل الإثارة أيضاً أن يكون أسلوب الخطيب بين التشابه والتطابق لما لهما من أثر عظيم في إثارة الشعور ومن التشابه ما قاله زياد في خطبته البتراء السابقة :" وقد أحدثتم أحداثاً لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن غرق قوماً غرقناه ومن أحرق قوماً أحرقناه ومن نقب بيتاً نقبنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفناه حياً فيه .

ومن التطابق قوم الإمام على لأهل الحيرة عندما أغار عليهم الضحاك بن قيس من قبل معاوية ، واستنجدهم الإمام فتقاعدوا :" أيها

---

(١) انظر : صبح الأعشى جـ١ ص ٢١٦ ، وفن الخطابة وتطوره عند العرب لإيليا خاوي ص ٢٦٨ .
(٢) فن الخطابة لإيليا خاوى ص ٢٧١ .

الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء .

تقولون في المجال كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم حيدى حياد[1]

فهذا تطابق بين اجتماع الأبدان وافتراق القلوب ، وبين قوة كلامهم وضعف دفاعهم ، وبين جرأتهم على الخوض فيما لاحق لهم فيه وجبنهم إذا جد الجد .

٤- ومن وسائل التأثير أن يراوح الخطيب بين أسلوبي الخبر والإنشاء . حتى لا يكون على وتيرة واحدة فيمل وحتى يجدد نشاط السامعين بهذه المغايرة ، ومن ثم فعليه أن يتخير الأسلوب الملائم للمعنى ، من خبر ، وأمر ، ونهي ، واستفهام ، وتعجب ، الخ .

من ذلك قول الإمام على في خطبة له :" أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ، ولا أوعد العدو بكم ، وما بالكم ، ما دواؤكم ؟ ما طبكم ؟ القوم رجال أمثالكم . أقوالاً بغير علم . وغفلة من غير ورع ؟ وطمعاً في غير حق " [2].

ومن ذلك أيضاً قول أم الخير بنت الحريش تحرض جند على يوم صفين : " صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غداً وقد لقيتم أهل الشام كحمر

(١) انظر شرح نهج البلاغة ص
(٢) المصدر السابق ص ٣ .

مستنفرة فرت من قسورة ، لا تدرى أين يسلك بها من فجاج الأرض ، باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى ، وعما قريب ليصبحن نادمين "[1] .

(١) صبح الأعشى جـ١ ص ٢٤٨ .

الفصـــل السادس

طرق تحضير الخطبة ومراحل بنـائها

ويشتمل على

١- طرق التحضير .

٢- مزايا التحضير

٣- الطريقة المثلى .

٤- مراحل بناء الخطبة .

٥- عرض موضوع الخطبة

المبحث الأول
طرق تحضير الخطبة

للخطباء في إعداد خطبهم طرق شتى تختلف من خطيب إلى آخر والخطيب الناجح هو الذي يحدد موضوع خطبته ثم يقوم بوضع عناصرها وأفكارها ثم بشرحها مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية ولكن مع هذا فلابد من بيان طرق التحضير التي قام بها جهابزة علم الخطابة .

١- من الخطباء من يكتفي في تحضيره لخطبته بدراسة الموضوع دراسة تامة ، ثم يجمع عناصره في خاطره ، ويرتبها بينه وبين نفسه ، ويستحضر الألفاظ اللائقة بالمقام والعبارات الجديرة بالموضوع .

وهذه الطريقة لا يتبعها إلا المتمرن على المواقف الخطابية ، الذي اندرج في سلك الخطباء . ويظهر أن تحضير خطباء العرب كان على هذه الشاكلة ، ومن ذلك ما جاء في أخبار يوم الثقيفة عندما اختلف المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم في أمر الخلافة فقد قال عمر رضي الله عنه في وصف حاله عندما اشتد الخلاف بين الفريقين . فأردت أن أتكلم وكنت زورت كلاماً في نفسي ، فقال أبو بكر على رسلك يا عمر ، فما ترك كلمة كنت زورتها في نفسي إلا تكلم بها[1] .
وهذا يدل على أن تزويرهم الخطبة وتحضيرها إنما كان في الجنان

(١) صبح الأعشى جـ١ . ص ١٥٣ .

وفي النفس . ويدل من جهة ثانية على أن تحضير الكلام في النفس وتزويره ، والاستعداد للموقف قبل الكلام لا يعد من قبيل الارتجال ، والقول على البديهة .

٢- ومن الخطباء من يدرس الموضوع ويهيئ معاني الخطبة ويرتبها ترتيباً محكماً ، ثم يقوم بكتابة عناصرها وأجزائها في مذكرة يستصحبها عند الخطبة لتكون مرجعاً له وضابطاً ، ولحفظ المعاني والأفكار من أن تضيع ، وذلك النوع من الخطباء كثير .. وهي كسابقتها لا يتجه إليها إلا الخطباء الذين مرنوا على القول ، وعرفوا مقاتله ، ومواضع التأثير فيه ، وأصبحت لهم طرق خاصة في الإلقاء ، وتمتاز عن سابقتها بأمرين :

أ- أنها تفيد ضعيف الذاكرة ، ولا يحتاج إليها قوى الذاكرة لأنه ليس في حاجة إلى كتابة العناصر ، إذ هي في وعيه وخاطره .

ب- أنها تحسن إذا كانت الخطبة طويلة جمعاً لأشتاتها ، وحتى لا يقع الخطيب في التكرار الممل الذي يصرف السامعين عنه .

٣- ومن الخطباء من يطلع على الموضوع ، ويدرسه بعناية ثم يتكلم فيه بينه وبين نفسه بصوت مرتفع في غرفة قد انفرد فيها ، أو في مكان خلوى ، أو يتكلم مع بعض الناس ، ومثل ذلك النوع من الخطباء كالمطربين ، إذ يلحنون القطع التي هم بصدد ترتيلها والتغريد بها في وسط الناس ، ويتمرنون على ذلك أمداً غير قصير حتى تستقيم لهم النغمات فكذلك هذا النوع من الخطباء وأيضاً الخطيب

الروماني "كالبا" والخطيب الفرنسي "فيرنيو" كانا يحدثان أصحابهما في موضوع خطبهما قبل إلقائها .

٤- ومن الخطباء من يكتب الخطبة ويتحرى في الكتابة أبلغ الأساليب التي توصله إلى غايته وتؤدي به إلى ما يريد ويحكم معانيها ، ويحملها كل ما ينبغي من وسائل التأثير وطرق الإقناع التي يصوبها نحو هدفه ويرمي بها إلى غرضه ،وبعد الكتابة يقرأ ما كتب مراراً وينقحه في كل مرة وبهذه القراءة يتحرى بها جودة الإلقاء وحسن النطق ، حتى يحفظ كثيراً من ألفاظها وعباراتها ، وهذه الطريقة يتبعها كثير من المحامين في القضايا ذات الشأن والتي تحتاج إلى تحضير كبير ، وجمع كبير للنصوص القانونية .

٥- ومن الخطباء من يكتب الخطبة ثم يلقيها كما كتبها .. ويحسن لمن يسلك ذلك المسلك سواء أكان خطيباً أم محاضراً أن يقرأ ما كتب قراءة جيدة قبل إلقائه ، وعند الإلقاء يجتهد في أن يلقي بعض المحاضرة أو الخطبة من غير المكتوب ، ليكون في ذلك تجديد في الإلقاء ، وأن يكون في قراءته مشرفاً على السامعين بنظره وقتاً بعد آخر لتتصل روحه بأرواحهم . وليعرف أحوالهم .[1]

الطريقة المثلى لطالب الخطابة :

الطريقة المثلى لطالب الخطابة هي أن يحدد موضوع خطبته قبل إلقائها بوقت كاف ، ثم يقضي وقته وهو يفكر في موضوعه ، ويثير

(١) انظر الخطابة ص ١١٣ – ١١٤ بتصرف

حوله المناقشات مع أصدقائه وأهله بحيث يقلب جميع جوانب الموضوع ، فلو كان الموضوع عن الزكاة مثلاً فهو مطالب بدراسة أهمية الزكاة في إعادة توزيع المال في المجتمع ، ودراسة عناصر الاقتصاد ، ودراسة مصارف الزكاة ، ودراسة المشاكل التي يجب أن تحل من خلال الزكاة ، ودراسة الجوانب النفسية الإيجابية للمعطي والآخذ على السواء ، ثم أثر ذلك على حياة الأسرة المسلمة ، والبلد المسلم ، والأمة الإسلامية .

ثم يقوم بجمع الأدلة النقلية والعقلية ، ويحفظها حفظاً جيداً ، وعلى الخطيب أن يتشبع بموضوعه فيعايشه معايشة كاملة حتى يخيل إليه أنه يحلم به في نومه ، ويظهر أمامه في يقظته ، فإن لم يصل الخطيب إلى هذه الحالة فإنه سيحتاج إلى جهود متضاعفة لتثبيت أقدامه على خشبة المنبر ومنصة الحديث وتبقى زاوية لها أهميتها الخاصة لنجاح الخطبة ، وهي الاهتمام بالجانب الخيالي ، فعلى الخطيب أن يتخيل أنه يقف أمام المخاطبين أو يجلس بين الجماهير ، ويجمع منهم أسئلتهم الخاصة بهذا الموضوع وبأهميته ، وبمعنى آخر ، يجب على الخطيب أن يجمع بداخله كل الأسئلة المتعلقة بالموضوع الذي حدده .

ثم يقوم الخطيب بتنسيق المعلومات التي جمعها ، لأنه إذا لم ينسق هذه المعلومات بحيث يعرف ما هي المعلومة التي ستأتي في أول الكلام ، وفي وسطه ، وعند نهايته فمثله كمثل رجل أعد مائدة

فاخرة من الطعام ولكنه أفسدها بعدم تنسيقه في تقديمه بحيث يكون المستمع له قد شرب القهوة قبل الحساء ، وتناول العيش بعد اللحوم ، وقدم الأرز بعد الفاكهة ، فهذه المائدة لا قيمة لها ، وتدل على سوء التقديم وجهالته .

هذا هو حال الخطيب الذي لم ينسق المعلومات التي جمعها ، بل إنه سيصاب بالارتباك والعصبية أمام المستمعين له ، ويسبب لهم شعوراً بالامتعاض والاستياء من خطبته .

ومن الأمور المهمة أيضاً لنجاح الخطيب الانتباه إلى طبع وتثبيت المعلومات في الذاكرة ، وعملية تثبيت المعلومات في الذاكرة تحتاج إلى فهم كيفية إدخال المعلومة على الذاكرة فإن الإنسان قد يعيش في مدينة ما لفترة طويلة ، ويسير في شارع من شوارعها كثيراً ، ومع ذلك لا يعي شيئاً عن الأشياء التي يمر بها ، ومثل هذا يحدث في المراجعة السطحية للمعلومات ، فلو تكررت هذه المراجعة عشرات المرات مع عدم الانتباه فإنها لا تفيد شيئاً ، ولهذا فالعلماء يؤكدون على بداية إدخال المعلومة إلى الذهن ، فكلما كان الذهن في حالة من اليقظة والاستعداد كلما كانت المعلومة أثبتت في الذهن .

وقد لجأ بعض الخطباء إلى فكرة مهمة لتثبيت الفكرة في الذاكرة ، فقد أعد خطاباً يتحدث فيه عن واجب الحكومة في تنمية الإنتاج الزراعي ، وواجب الفلاحين حيال ذلك وعن المساحة التي يجب أن تستصلح من الأرض البور وعن إمكانيات الإنتاج من ألبان

ودواجن ومحاصيل ، وبعد أن أعد خطابه وهو في مرحلة التدريب عليه ، نسى بعض النقاط فأدرك أنه لن يلقيه كاملاً في الحفل فلجأ إلى طريقة الصور فأمسك ورقة وقلماً ، ورسم على الورقة صورة شرطي (يمثل الحكومة) وصورة فلاح يحمل الفأس (يمثل الفلاحين في الخطبة) وثور وبقرة(يمثلا الإنتاج الزراعي في الأرض الجديدة) وصورة مربع فارغ (يمثل الأرض التي ستزرع في هذا المشروع) وبهذه الصور الأربع استطاع أن يؤدي خطابه بيسر وسهولة ، وبغير أن ينسي منه فقرة واحدة ، ذلك أن الصور تثبت في ذاكرة الإنسان أكثر من المعاني المجردة . (1)

ولهذا فلابد من الإعداد والتحضير وتثبيت الأفكار ومن ثم تظهر مزايا الإعداد والتحضير .

مزايا الإعداد والتحضير

للإعداد مزايا كثيرة منها :

١- أن الأساليب المرتجلة أقل بهاءً ورونقاً من المعدة .

٢- أن الأفكار المرتجلة فجة مبتسرة إذا قيست بالأفكار المدروسة الناضجة المختمرة .

٣- أن الخطيب المجازف الذي لا يعد كلامه يعلى من شأن نفسه ويستهين بالحاضرين .

٤- أن الارتجال لا يكون إلا لعالم متمرن . وهؤلاء قلة بين الخطباء

(1) الحاجز النفسي دراسة في الخطابة . الدكتور/ محمد أبو زيد ص٩٣ –١٠٣ بتصرف.

فالارتجال ألزم الصفات للخطيب ، بل لا يعد الخطيب في صف الخطباء الممتازين إلا إذا كان من الذين لا يفرق الإنسان بين أسلوبهم المرتجل والمحضر .

٥- أن الإعداد يجنب الخطيب اللحن في مفرداته وعباراته وفي مضمون أسلوبه وموضوعه : ولا يتوهمن متوهم أن في تحضير الخطبة ما يعيب مقدرته ، فإن العيب أن يقول كلاما مبتذلا لا قيمة له ، ومعناه تافه صغير ، ولتكن له أسوة حسنة في كثير من كبار الخطباء الأقدمين والمحدثين ، فإن كثيرين منهم مع قدرتهم التامة على الارتجال كانوا يأخذون للموقف الأهبة ، ويعدون له العدة ، عالمين بأن الخطيب كالمجاهد ، لا يخوض غمار الحرب من غير أن يدرع بدرعها ، ويلبس لامتها ، وليس ذلك في الخطيب إلا بالتحضير والتهيئة والاستعداد للموقف من كل نواحيه .

مراحل بناء الخطبة

يقصد ببناء الخطبة تنظيم الأقيسة والأدلة ، والتوحد بينها بسببية وإحكام ، حتى تأتي الفكرة الثانية وليدة الفكرة الأولى ، كما تأتي النتيجة وليدة السبب ، وهذا البناء ما هو إلا تنظيم لأجزاء الخطبة ، وإحكام تركيبها ، وربط بعضها ببعض ، ووضع أدلتها في شكل متماسك ، فالتنسيق هو في الحقيقة بناء الخطبة ، ونظام عقدها .

والعلماء يعتبرون أن أرسطو أول من عرض لتقسيم مراحل بناء الخطبة ، مميزاً المقدمة . عن العرض عن التدليل عن النتيجة وإن كنت من وجهة النظر الخاصة أعتبر أن تقسيم مراحل بناء الخطبة جاء عن طريق الأنبياء والرسل عليهم السلام – والتقسيم المعاصر لمراحل بناء الخطبة يتكون من المقدمة ، والعرض ، والخاتمة ، وهذا ما سوف نتعرض له بالدراسة كما يلي :

١ـ أولاً المقدمة :

قبل أن يبدأ الخطيب في تحضير مقدمته ، والتخطيط لخطبته يجب عليه أن يفرغ باله من كل ما يشغله ، فصفاء الذهن له أثره في إحكام الرأي ، وإجادة اللفظ ، وتجاهل هذه الحقيقة يوقع الخطيب في الحرج البين .

ثم بعد ذلك يبدأ في إعداد المقدمة التي ليست سوى مدخل للخطبة ، يتوسل بها الخطيب ليمهد لأفكاره ،وليثير انتباه السامعين ومن ثم فهي ضرورية لتنزع بالسامع من حالة اللامبالاة إلى جو

يصبح فيه أكثر تقبلاً للأفكار التي سيتولى الخطيب عرضها والتأثير بها وذلك لأن " المقدمة أول ما يطرق الأسماع من الخطبة ، فإن كانت جيدة أصغى السامعون لها ،وتأهبوا لما بعدها وتفتحت نفوسهم للخطيب . وإلا إذا كانت نذيراً بفشله وتفاهة أثره " [1] .

وكثيراً ما تتخذ المقدمة وسيلة لأن يسود الصمت بعد هرج حدث إثر خطبة سابقة ، أو من جراء مناقشة في موضوع الخطبة قبل سماع الرأي فيها أو اضطراب لسبب من الأسباب فتكون المقدمة هكذا : " ... إنني أعلم أن هذا الأمر ليس مقبولاً لديكم ولكن ما الذي ينفعُ أن تسمعوا وجهة نظر خصومكم على الأقل لتضحدوها أو لتعرفوا ما سيقال لغيركم فتفندوه ، إني أقبل بكل ارتياح معارضتكم ، ولكن لا أرضى لكم أن تقوموا بمعارضة عمياء جامحة لا تدرون لماذا عارضتم بها . أكره أن تكونوا مقلدين تندفعون في أمر بدون أن تفحصوه وتعرفوا كل جزيئاته .. أؤكد لكم أنني على أتم استعداد لأن أتخلى عن هذا الموضوع إذا لم تكن أدلتي مقبولة أو كان لديكم ما يسندها ، إننا لا نريد إلا أن نصل إلى الحق والصواب وأنا أو إياكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين فلتستمعوا قليلاً إلى وجهة النظر التي لدى ، فإن كان بها شئ من الخطأ فإن أول من سيتخلى عنها ويحاربها لأنني لا أريد إلا الوصول إلى الحق وأن أكون على خير ما يجب أن نكون عليه .

---

(١) راجع د/ أحمد الحوفي : فنّ الخطابة ص ١١٧

ثم يبدأ بالتسلسل في موضوعه تدريجياً ." [1]

وهذا الأسلوب يحتاج إليه الخطيب في أحيان كثيرة ، خاصة خطباء الأحزاب السياسية ، كما يتعرض له خطيب المسجد في المعارك التى تقوم بين أسرة وأخرى ، كما يحدث كثيراً في الصعيد ، وفي الخلافات التي تنشب بين جمعية وأخرى ، وفي عرض اقتراحات ليست مقبولة كثيراً لدى السامعين .

ضرورتها

قد تكون المقدمة ضرورية لا يستغنى عنها الخطيب ، كأن يكون الخطيب مجهولا لا صلة للسامعين به ، فيعتمد على المقدمة لعقد هذه الصلة ، أو يكون الموضوع الذي يخطب فيه مجهولاً للسامعين ، أو لا يثير اهتمامهم ، فيعتمد على المقدمة لتوضيح أهمية الموضوع وبيان قيمته ... أو يكون الخطيب مبغضاً إلىٰ السامعين لأنه كان قد حكم فظلم فيلجأ إلى المقدمة ليخفف من هذه الكراهية ولو مؤقتاً ، أو تكون الفكرة التي يدعوه إليها الخطيب بغيضة إليهم ، كان يدعو إلى تقييد التعليم في جمع من المتعلمين [2] .

كما هي واجبة في كل أنواع الخطب الدينية تأسيساً برسول الله (ﷺ)

شروط جودتها :

١- أن تكون المقدمة متصلة بالموضوع نفسه ، لتخدمه وتمهد له .

---

(١) انظر د/ عبد الجليل شلبي : الخطابة وإعداد الخطيب ص٥٩.

(٢) راجع : فن الخطابة . د/ أحمد الحوفي . ص ١١٨ .

ومثال ذلك خطبة أبي بكر يوم السقيفة ، فقد قدم للموضوع وهو أن المهاجرين أولى بالخلافة من الأنصار فقال في مقدمة خطبته بعد الحمد والثناء " إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله ويوحدوه ، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ، ويزعمون أنها لهم عندهم شافعة ، ولهم نافعة ، وإنما هي من حجر منحوت .

وخشب منجور " ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " فعظم على العرب أن يتركوا دين آباءهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه " (1) .

فهذا الافتتاح يشير إلى فضل المهاجرين على الأنصار وهو لب ما أراده الصديق رضي الله عنه ، ومن الافتتاحات التي تشير إلى موضوع الخطبة افتتاح الإمام علي رضي الله عنه في خطبته بعد اختلاف الحكمين وإستنصار معاوية فقد قال كرم الله وجهه :" الحمد لله ، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجليل ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره ، وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله .

أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب ، تورث الحيرة ، وتعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمرى ،

(1) راجع جمهرة خطب العرب جـ1 ص ١٧٤

ونخلت لكم مخزون رأيي ، لو كان يطاع لقصير أمر ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة ، حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضن الزند بقدحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن .

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى

فلو تستبينوا النصح إلا ضحى الغد (١)

٢- أن تكون المقدمة واضحة مناسبة لعقول السامعين ، موزونة المعاني ، دقيقة التعبير ، لأن السامعين في أول الخطبة أبصر بالنقد ، وأقرب إلى العناء ، حتى إذا بهرهم الخطيب أسلموا له القياد .

٣- أن تكون شائقة تجذب السامعين إلى الموضوع ، جديدة غير مبتذلة أو مشاعة صالحة لكل خطبة ، ولهذا قال ابن المقنع في بلاغة الخطيب " وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره ، عرفت قافيته ، فهناك فرق بين صدر خطبه النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح وخطبة المواهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه ، فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه ، وإلى العمود الذي إليه قصدت ، والغرض الذي إليه نزعت "(٢) .

٤- أن تناسب الموضوع طولاً وقصراً لأنها مقدمة لا خطبة ، وتمهيد لا موضوع ، ولأنها إن طالت استنفدت جهد الخطيب وانتباه

---

(١) راجع جمهرة خطب العرب . جـ١ . ص ٣٩٢ .
(٢) انظر البيان والتبيين جـ١ . ص ١١٦.

السامعين ، وهذا كله يؤثر على الموضوع نفسه .

أنواعها : إذا أراد الخطيب أن يجعل لخطبته افتتاحاً ، وجب أن يعي به تمام العناية ، وأن يجمله بكل وسائل التجميل المناسبة التي تجذب الأفكار والأسماع إليه وتختلف المقدمة باختلاف نوع الموضوع ، والخطيب حر في استلهام مقدمته ، كما شاء ، ومن أنواع الافتتاح ما يلي :-

١- الافتتاح بحمد الله ، والثناء عليه ،والصلاة والسلام على رسوله ، وبعض الآيات القرآنية ، أو الأحاديث النبوية التي تناسب المقام الذي يتكلم فيه الخطيب ، وقد كان هذا عرفًا شائعاً لازماً في العصر الإسلامي والعباسي ، دأب المسلمون عليه حتى صار قاعدة يندر خلافها ، قال الجاحظ :" إن خطباء السلف الطيب ، وأهل البيان من التابعين بإحسان ، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبدأ بالتحميد وتستفتح بالتمجيد بالبتراء ، ويسمون التي لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبيّ : الشوهاء "[1] .

ولم يكن توشيح الخطابة بالقرآن شرطاً في الخطبة الدينية يوم الجمعة أو العيد فحسب ، بل كان – كما قال الجاحظ – مستحسناً في الخطب كلها ، لأنه يورث الكلام بهاء ووقاراً ورقة وسلس موقع . حدث عمران بن حطان الخطيب الخارجي فقال : خطبت عند زياد خطبة ، ظننت أني لم أقصر فيها عن غاية ، ولم أدع لطاعن علة ، ثم

(١) البيان والتبيين جـ١ ،ص ١١٨ .

مررت ببعض المجالس ، فسمعت شيخاً يقول : هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شئ من القرآن [1] .

فهذا يدل على أن أفضل أنواع الافتتاح عند السلف الصالح وأهل البيان ما بدأ بحمد الله والثناء عليه . أما في هذا العصر فإن هذا النوع الحميد من البدء موقوف على الخطب الدينية ويا ليت جميع مقدمات الخطب تعود إلى ما كانت عليه .

٢- الافتتاح بما يكون فيه إثارة للاهتمام ، وتنشيط للإفهام ، ولهذا فبعض الخطباء يبدأ خطبته بمثل : الثناء على السامعين ، أو يبتدئ خطبتهُ بحكمة أو مثل سائر أو ببعض أقوال المتقدمين ، أو آية كريمة ، أو حديث شريف يناسب المقام ، ويكون حجة في الاستدلال ، فحسن الاختيار للمقدمة يجعل النفوس تقبل الخطيب بقبول حسن ، قال ابن الأثير في كتابه المثل السائر :" وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان ذلك الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده ، توافرت الدواعي على استماعه ، ويكفيك من هذا الباب الابتداءات الواردة في القرآن الكريم ، كالتحميدات المفتتح بها أوائل السور ، وكذلك الابتداءات بالنداء ، وكذلك الابتداءات بالحروف المقطعة . وغير ذلك فإن هذا أيضاً مما يبعث على الاستماع إليه لأنه يفرغ السمع بشئ غريب ليس له بمثله عادة ، فيكون ذلك سبباً للتطلع نحوه ، والإصغاء إليه "[2] .

---

(١)انظر البيان والتبيين للجاحظ جـ١ ص١٨ ،أو فن الخطابة للدكتور/أحمد الحوفي ص١٢١
(٢) راجع المثل السائر لابن الأثير ص٢٦٠.

بل إن الناظر في القرآن الكريم يرى العناية الإلهية واضحة في أوائل السور مثيرة في النفس الإجلال والشوق والرغبة في تتبع القراءة فهي حينا ثناء على الله تعالى كسور الحديث والحشر والصف .. وحيناً تعظيم من شأن القرآن الكريم كأوائل سور فصلت والزخرف والدخان .. وحيناً شرط أو استفهام . أو نداء .إن بدء بعض السور ، بالقسم أو الاستفهام أو الشرط أو بالنداء يولد عند المستمع رغبة في المتابعة بياناً للمقسم عليه أو انتظار للجواب أو تفهماً للمنادى ، وهكذا تتضح عناية القرآن الكريم بالافتتاح الحسن [1] .

من هذه الافتتاحات المثيرة خطبة سليمان بن على الذي بدأها بهذا القول :" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ، إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين قضاء مبرم ، وقول فصل وما هو بالهزل .

الحمد لله الذي صدق عبده ، وأنجز وعده ، وبعدا للقوم الظالمين ، الذين اتخذوا الكعبة غرضا ، والفئ إرثاً ، والدين هزوءاً ، وجعل القرآن عضين . لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وكأين من بئر معطلة ، وقصر مشيدة ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وان الله ليس بظلام للعبيد " [2] وكقول أبي العباس السفاح بالشام بعد الاستيلاء على الملك من آل مروان حيث بدأ خطبته هكذا " ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها فبئس القرار ".

---

(١) راجع قواعد الخطابة .للدكتور /أحمد غلوش . ص ٦٠ .
(٢) راجع فن الخطابة : إيليا حاوي .ص ٤٩٣ .

نقص بكم يا أهل الشام ، آل حرب ، وآل مروان ، يتسكعون بكم الظلم ويتهورون بكم مداحض الزلق ، يطئون بكم حرم الله ، وحرم رسوله ، ماذا يقول زعماؤكم غدا . يقولون :" ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفاً من النار " إذ يقول الله عز وجل :" لكل ضعف ولكن لا تعلمون " (1) .

٣ـ ومن الخطباء من يفاجئ السامعين في مفتتح كلامه بما يزعجهم كما كان يفعل الحجاج بن يوسف ، فعندما خرج واليا على العراق بدأ بالمسجد فدخله ، ثم صعد المنبر ، وهو متلثم بعمامة خز حمزاء ، وكان أوحى من معه أن يجمعوا له الناس ، فحسبوه أول الأمر هو وأصحابه خوارج ، فهموا به ، حتى إذا اجتمع الناس في المسجد ، قام فكشف عن وجهه ثم قال :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .. متى أضع العمامة تعرفوني

صليب العود من سلفى نزار .. كنصل السيف وضاع الجبين

أما والله ، فإني لأحمل الشر بحمله ، وأجزيه بمثله ، وإني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وإني لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى " (2) . فهو يقتحم السامعين اقتحاما ، مهولا ، فريداً ، يهددهم ، ويتوعدهم ثم يتمثل نفسه بإنسان أطلعت ثناياه وألحى جلده عن جسده كما تلحى العصا ,

---

(1) راجع فن الخطابة أبو زهرة . ص٨١ .

(2) راجع : فن الخطابة . ايليا حاوي ص ١٠ .

٤- من الخطباء من يفتتح خطبته بما عرف عنه بين الناس ليبني عليه ما يدعوهم إليه كما فعل رسول الله (ﷺ) عندما أنذر عشيرته الأقربين ، إذا سألهم عن صدق حديثه . فقال (ﷺ) :" أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ فقالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذباً " فألقى عليهم بعد هذه المقدمة خطبته (ﷺ) التي أعلن فيها لهم أنه رسول الله .

٥- ومن الخطباء من يبتدئ خطبته بالثناء على السامعين ، ليهيئ نفوسهم لتلقي كلامه بالقبول ، إذ لا شئ يهز أعطاف السامعين كالثناء عليهم [1] . من ذلك خطبة أبي جعفر المنصور بعد هزيمة النفس الزكية حيث بدأها بقوله"يا أهل خراسان ، أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا .. "

وخلاصة القول أن الخطيب الناجح هو الذي يهتم بإعداد مقدمته ويجعلها مثيرة لجمهوره ، موزونة المعاني ، دقيقة التعبير ، ويجعل لكل موضوع ما يناسبه من الافتتاح والتقديم :" فهناك فرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ، وخطبة الصلح ، وخطبة المواهب ، وخطبة التأبين والرثاء ، وفرق بين صدر الخطب السياسية والخطب القضائية ، والخطب العسكرية بل إن كل موضوع يحتاج إلى صدر يناسبه وهكذا .

---

(١) راجع فن الخطابة أبو زهرة . ص ٨٢ .

ثانياً : عرض موضوع الخطبة

إذا كان في إمكان الخطيب أن يستغني أحياناً عن المقدمة ، أو عن الخاتمة فهو لا يستطيع أبداً الاستغناء عن موضوع خطبته أو مقصد خطبته وموضوع الخطبة يحتاج إلى شروط جودة وأدلة منطقية وخطابية والأوضاع التي يسوق الخطيب فيها أدلته . وسوف نوضح هذه الأمور من خلال ما يلي :

أولاً شروط الجودة :

أ- الوحدة : وذلك أن تنبع مسائله كلها من ينبوع واحد حتى لا يشتت المستمع بين موضوعات متعددة لأن ذلك يؤدي إلى تقليل الفائدة المرجوة من الخطبة ، ومن المعلوم أن ضعف الخطابة الدينية يرجع إلى إدخال موضوعات شتى في موضوع واحد .

ب- الترتيب : على الخطيب أن يرتب عناصر خطبته عنصراً بعد الآخر ، حتى لا يكون فيها اضطراب ولا تهويش ولا شرود ، بل يكون موضوعه متسلسلاً ، يسلم كل جزء إلى ما بعده في يسر وسهولة ، وأن تكون العلائق وثيقة بين الأجزاء ، حتى لا تكون الخطبة مقطعة الأوصال ، منفصمة العرا ، غير حسنة الانسجام .

جـ- الوضوح : وهو أساس الخطبة الناجحة

ثانياً : كيفية استخدام الأدلة :

يحتاج الخطيب إلى التدليل على صحة رأيه ، يقول الإمام محمد أبو زهرة عنه " هو موضوع الخطبة وغرضها إذ فيه تأييد

القضية التي يدعو إليها بالدليل ، والدليل عمود الخطبة وقطبها ، وقد كان بعض الأقدمين من الفلاسفة يرى أنه لا يسوغ للخطيب أن يستعمل من وسائل الإقناع سواه ، كما ذكر ابن سينا في الشفاء ، ولكن الحق غير ذلك "[1] لأن الخطبة لا تعتمد على الدليل فقط ، بل تعتمد أيضاً على الاستمالة النفسية والوجدانية ، والخطيب الناجح هو الذي يلون في أساليبه مستخدماً سائر معارفه لإفهام خطبته للمستمع ومن الصور البيانية التي يمكن أن يستخدمها ما يلي :

١ ـ الأسلوب القصصي وأهميته في مجال الخطابة :

وهو الأسلوب الذي يتخير من أخبار السابقين جزءاً ملائماً لحال المستمعين . ويستدل به على ما يريد ، وهذا الأسلوب له أهمية كبرى ، وتأثير أكبر ، وقد اكتشفه الأقدمون ، حيث حدث أن كفار قريش كانوا يعارضون رسول الله (ﷺ) بما يقصونه من حكايات . إذ كان النضر بن الحارث يأتي نيابة عنهم ويقول للناس :" إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود . وأنا أحدثكم بأحاديث رستم .وبهرام .والأكاسرة وملاك الحيرة فيستملحون حديثه ".

إن القصة نوع من الأدب له جمال .وفيه متعة ، تؤثر في نفوس الكبار .كما تؤثر في نفوس الصغار لأنها تجذب العقل ، وتخاطب الوجدان . وقد أدرك العرب قديماً ما للقصة من تأثير فاستفادوا بها .

(١) انظر الخطابة الإمام أبو زهرة . ص ٨٧ .

ولعل أكبر ما يحدثنا عن فائدة القصص في الخطابة ما نراه من أحاديث الرسل لأممهم . إذ تراهم صلوات الله عليهم يقصون أخبار السابقين من أجل الإنذار والتخويف ، يقول هود عليه السلام لقومه ﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلاء اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [1] ويقول شعيب لأهل مدين ﴿ وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴾ [2].

ولأهمية هذا النوع في الاستدلال أصبحت التربية الحديثة تركز في أساليبها على القصة كأسلوب تربوي هام ، ومن خصائص الأسلوب القصصي أنه يجزئ البيان ويراعي حال المدعوين ، ويندرج معهم من الأسهل إلى السهل ، كما أنه يأخذ المستمع إلى حوادثه وقضاياه ، ويدمجه معه في حالة من الانفعال النفسي ، وهذه تهيئة للتوجيه والاستفادة بصورة تلقائية ، وهكذا إن القصة تعد المجال الخصيب للترغيب والترهيب الذي هو فن جميل الأثر في الناس ،لأن الإنسان إذا أستثير شوقه إلى شئ ما زاد اهتمامه به . وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة الفرد عملاً وتحمساً وتعلقاً بما تشوق له ورغبة في الحصول عليه ، وأيضا فإن الخوف من شئ ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه ، ويبتعد عنه حذراً من الوقوع فيه .

---

(١) سورة الأعراف آية رقم : ٦٩
(٢) سورة هود آية رقم : ٨٩

وهذا أمر طبيعي لأن الرغبة هي التي تحسّن الأشيـــاء والرهبـــة التي تصورها سيئة [1].

وقد امتلأ القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة الحقيقة . وجعلها وسيلة قرآنية للدعوة إلى الله ، وذلك لأن قصص القرآن يحتوي من الدروس والعبر ، والحقائق والمبادئ ، والنظرات واللفتات الإيمانية والدعـوية ، والأخلاقـية والتعليمـية ، والسياسـية والاقتصـادية ، والعسكرية والجهادية ، والحضارية والإنسانية الكثير .

كما أنه قصص لا يأتيه الشك والريب لأنه من لدن حكيم حميد ، وهو من أحسن القصص الذي يجب على الدعاة والخطباء أن يبلغوه للناس ، وأنه مظهر من مظاهر رحمة الله بنا ، وفضله علينا من خلال ما قصه علينا من قصص السابقين . وهذه بعض النماذج لهذا القصص الحكيم

قصة أصحاب الجنتين :

قال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا *

---

(١) قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين د/ أحمد غلوش ص٦٧- ٦٨.

لكنا هُو اللهُ رَبِّي ولَا أُشرِكُ بربِّي أحدًا * ولولَا إذْ دخلت جَنَّتَكَ قُلتَ مَا شَاء اللهُ لَا قُوَّةَ إلَّا باللهِ إن تُرَن أنا أقلَّ مِنكَ مَالًا وولَدًا * فعَسَى رَبِّي أن يُؤتِيَن خيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ويُرسِلَ عليْهَا حُسبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فتُصبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أوْ يُصبِحَ مَاؤُهَا غوْرًا فلَن تَستَطِيعَ لهُ طلبًا * وأُحِيطَ بِثمَرِهِ فأصبَحَ يُقلِّبُ كفَّيْهِ علَى مَا أنفقَ فِيهَا وهِيَ خَاوِيَةٌ علَى عُرُوشِهَا ويقُولُ يَا ليْتنِي لمْ أُشرِكْ بربِّي أحدًا * ولمْ تَكُن لهُ فِئةٌ ينصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ ومَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلهِ الحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثوَابًا وخَيْرٌ عُقبًا * واضرِبْ لهُم مَّثلَ الحَيَاةِ الدُّنيَا كمَاءٍ أنزلنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فاختلطَ بِهِ نَبَاتُ الأرضِ فأصبَحَ هَشِيمًا تَذرُوهُ الرِّيَاحُ وكَانَ اللهُ علَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقتَدِرًا * المَالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنيَا والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثوَابًا وخَيْرٌ أمَلًا ﴾ [1] . والمتأمل في هذه الآيات تتضح له هذه الحقائق .

أولاً : إن هذه الآيات تصور قصة رجلين لهم نظرتين مختلفتين للحياة وما فيها . نظرة رجل مؤمن لم يملك من مظاهر الدنيا شيئاً ، ومع ذلك لم يفقد منظاره الإيماني وميزانه الإسلامي ، ولم تخدعه المظاهر التي سيطرت على الكثيرين .

ونظرة رجل كافر منحه الله جنتين جميلتين ، وبستانين واسعين من الأعناب المحاط بأسراب النخل ، والزرع الموجود بين الأشجار ، وقد أنتجتا ما فيهما من ثمار استجابة لأمر الله .

(١) سورة الكهف . آية رقم : ٣٢-٤٦ .

ففتن الرجل الكافر بما يملك من الدنيا ومتاعها وظن أنه تربع على الدنيا ، ونسى الله واليوم الآخر ، واستعلى وتكبر على صاحبه المؤمن ، وقال له وهو يحاوره ويناقشه أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً .. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، مطموس على قلبه لكفره ، فظنها دائمة خالدة ، وأنها هي كل شئ .

وأنه إن عاد إلى الله فإنه سيكون من المكرمين طالما أنه من المكرمين في الدنيا ، فذكره صاحبه المؤمن بربه وقال له وهو يحاوره : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [1] وحذره من عاقبة كفره وبطره وبغيه ، واغتراره بجنتيه وما فيهما ، وأنذره عاقبة بغيه بأن يتوقع صاعقة من الله مدمرة وغيض الماء الذي في النهر إلى باطن الأرض بأمر من الله .

وفعلاً نزل به ما لم يكن في حسبانه ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ [2] .

ثانياً : إن هذه القصة تهدف إلى تصحيح منهج النظر والفكر ، وتصحيح القيم بميزان العقيدة وأن الدنيا دار ابتلاء في العطاء والمنع ، حيث ابتلى الله صاحب الجنتين بالنعم الغامرة فسقط في الامتحان وازداد كفراً .

---

(١) سورة الكهف آية رقم : ٣٧ – ٣٨ .
(٢) سورة الكهف . آية رقم : ٤٢ .

وابتلى الله المؤمن بالمنع فنجح في الامتحان وازداد إيماناً وعلواً ، فالمنع والعطاء ليس مجالاً للتكريم والهوان ، أو المحبة والبغضاء ، بل التكريم هو للتقوى والإيمان كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١) .

ثالثاً : في القصة نظرة فنية زراعية هندسية تنسيقية . نحن في أمس الحاجة إليها للوفرة الإنتاجية ، ولتقليل الإصابات النباتية من خلال صوبات طبيعية حيث تقدم لنا الآيات صورة نموذجية فنية ، في تنسيق الجنة ، وهندسة البستان وغرس الشجار بطريقة ساحرة رائعة . فهما جنتان من أعناب . حفهما الله بنخل . وجعل بينهما زرعاً . وفجر خلالهما نهراً . (٢) .

والذي يمعن النظر في اللفتة الزراعية يصل إلى عدة أمور منها :

١- التذوق الجمالي الفنى لآيات القرآن ، من حيث إشارته إلى هذا البعد الهندسي الزراعي في تنسيق الحدائق والبساتين .

٢- الاقتداء بهذا العرض القرآني ، وتنسيق الحدائق والبساتين على هذا الأساس .

٣- الاستفادة من القرآن في ترتيب الأشياء ترتيباً هندسياً فنياً ،

---

(١) سورة الحجرات . آية رقم : ١٣ .

(٢) مع قصص السابقين في القرآن دروس في الإيمان والدعوة والجهاد .د/صلاح عبد الفتاح الخالدي جـ٢ ص ١٢٧ – ١٣٥ بتصرف . الطبعة الأولى دار القلم .

سواء في عالم الزراعة أو غيرها . فليس المهم هو أداء الشئ والقيام بالعمل فقط ،بل المهم أداء العمل بعين فنية ، وذوق جمالي ، ويد مرتبة منسقة .

أنظر ما اجمل تنسيق وهندسة الجنتين : أشجار الأعناب المعروشة وغير المعروشة . أسراب النخل تحف هذه الأشجار وتحيط بها وكأنها سور لها . الزروع والحبوب التي تنمو بجانب الأعناب . النهر الجاري خلال الجنتين كلتيهما .

٤- أن هذا التنسيق والترتيب الهندسي الجمالي الفني ، ما لم يحقق المتعة الجمالية فقط ، ولكنه حقق نجاحاً زراعياً واقتصادياً . حيث أتت كلتا الجنتين أكلها ، ولم تظلم منه شيئاً .

٥- إن الترتيب والتنسيق يقود إلى تحسين الأداء ، واستغلال طاقة الأرض في العطاء ، والشجر في الإثمار .

٦- إن الأرض لا تعطيك إلا بمقدار ما تعطيها ، والشجرة تحتاج منك إلى عناية ورعاية ، وجهد وتنسيق ، حتى تمنحك ما عندها من ثمر . (١)

قصة موسى مع العبد الصالح :

من قصص القرآن الكريم قصة نبي الله موسى عليه السلام مع الخضر - عليه السلام - قال تعالى :﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا

(١) المصدر السابق ص ١٣٦

حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا * قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا * فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا * وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن

يُبْدِلهُما ربُهما خيْرًا مّنْهُ زكاةً وأقرب رُحمًا* وأمّا الجدارُ فكان لِغُلامَيْنِ يتيمَيْن في المدينةِ وكان تحتَهُ كنزٌ لهُما وكان أبُوهُمَا صالِحًا فأراد ربُّكَ أنْ يبلُغا أشُدّهُما ويَستَخرِجا كنزَهُما رحمةً مّن ربّكَ وما فعلتُهُ عنْ أمْري ذلِكَ تأويلُ ما لمْ تَسْطِع عّليْهِ صبْرًا ﴾ [1] .

الناظر لهذه القصة يجد الكثير من الدلالات الدعوية منها ما يلي :

أولاً : علاقة الرحمة بالعلم :

في قصة موسى –عليه السلام- مع العبد الصالح إشارة قوية إلى علاقة الرحمة بالعلم ، فالعلم الذي ينزع منه الرحمة هو علم مدمر .

ولهذا بينت القصةً ما انعم الله به على العبد الصالح الذي سيتعلم منه موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿ أتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ .

لقد قدم الله الرحمة هنا على العلم لأنها من الإيمان ، ولأنها الأساس الصحيح للعلم ، وهي البينة المناسبة لبركته وخيره ، وهاهي العلوم والمخترعات والاكتشافات الغربية أصبحت وبالاً على أصحابها وعلى الآخرين عندما نزعت منها الرحمة ، واستخدمت في التخريب والتدمير والبغي والفساد والعدوان . وازدادت البشرية بتلك العلوم شقاءً وحسرة ، وعقداً وأمراضاً وخسارة .

ومن كان في شك من هذا فليخبرنا : هل الأسلحة الذرية والنووية والإلكترونية ، لنفع العالم أو لضره ؟ وهل أنقذت القنابل

---

(١) سورة الكهف . أية رقم : ٦٠-٨٢

الذرية مدينتي " هيروشيما " و"نجازاكي" أم دمرتهما ؟ وماذا فعلت الأسلحة المتقدمة الجرثومية في الحرب العالمية ؟ وماذا تفعل قنابل " النابالم " والقنابل " العنقودية " و"الفسفورية " في الضحايا ؟ وماذا تفعل الأسلحة الكيميائية في الحروب ؟ وكم في المخازن السرية عند الدول المجرمة من أسلحة فتاكة تتضمن جراثيم وميكروبات أوبئة فتاكة ، مثل السرطان والكوليرا ، وأخيراً " الإيدز " الذي جهزوه في المعامل لينشروه على الخصوم عندما يحاربونهم !

إن الأسلحة الحديثة الكيميائية والجرثومية ، تمثل أقذر وأخس وأحط ما وصل إليه العلم الإنساني المدمر ، نتيجة لذكائه الشيطاني الأسود الحاقد [1] . وفي ضوء هذا البيان ندرك طرفاً من حكمة تقديم الرحمة على العلم في قوله :﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ [2] وفي ضوء هذا البيان ندرك أهمية مزج العلم بالرحمة ، وإضفاء العنصر الأخلاقي عليه ، ليكون نافعاً مباركاً مرحوماً .

ثانياً : علاقة الأدب بالعلم :

بعد أن قابل موسى الخضر –عليهما السلام – قال له الخضر : إنك على علم من علم الله علمكه الله ، لا أعلمه . وأنا على علم من علم الله ، علمنيه ، لا تعلمه . فقال له موسى :بكل أدب وخشوع هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ؟

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩ .
(٢) سورة الكهف . آية رقم : ٦٥ .

يقول الإمام القرطبي :" هذا سؤال الملاطف والمخاطب المستنزل في حسن الأدب" [1] ونأخذ من كلام الخضر لموسى أنه لا أحد يحيط بالعلم ، ولا يلم به كله ، فها هو موسى النبي الكريم عليه السلام لا يعلم بعض الأمور ، كما أن الخضر عليه السلام – وهو النبي الكريم أيضاً – لا يعلم بعض الأمور ، وكل منهما علمه الله علماً ، لم يعلمه للآخر .

فعندما يطلب العلم مع الأدب يكون خيراً ونافعاً ، وعندما يطلب العلم بدون أدب يكون ضرراً على صاحبه وعلى الآخرين .

بعض طلبة العلم يفقدون أدب الطلب ، فإذا قرأ المرء منهم مسألة أو مسألتين ، وحفظ حديث أو حديثين ، ظن نفسه عالماً مجتهداً ، يجب أن يشار إليه بالبنان . " فيتعالم " على العلماء ، ويظهر على حسابهم ، فيعمل على ذمهم وانتقادهم ومن يحرم أدب الطلب يحرم العلم ، ويحرم الخير كله .

إن موسى – عليه السلام – يكشف بكلمة " رشداً " عن هدفه من طلب العلم ، إنه يريد أن يتعلم الرشد ، يتعلم ليكون راشداً رشيداً ، يتعلم العلم النافع الصحيح الذي يوجد عنده الرشد . ويجعله يتعامل مع الناس برشد ،ويعيش بينهم برشد .

بعض طلبة العلم يجعلون التعلم في حد ذاته غاية وأملاً يريدون أن يتعلموا ليتعلموا،فيرفعوا شعار "التعلم للتعلم والعلم للعلم "

(١) الجامع لأحكام القرآن . المجلد السادس جـ١١ ص ١٧ .

ويعلمهم موسى أن يكون طلب العلم والتعلم وسيلة إلى غاية شريفة ، وهي : الحصول على الرشد وتحقيقه . ثم إننا نرى بعض طلبة العلم يتعلمون العلم الذي يوصل للشر والضرر ، أو يدفع للأخلاق القبيحة والصفات السيئة ، أو يتعلمون العلوم التافهة الهزيلة المرذولة ، ويضيعون فيها الكثير من الأموال والأوقات والمواهب والقدرات والطاقات .

وإلا فقل لي بالله عليك ، أي رشد في تعلم الغناء وفي تعلم الرقص؟ العلم النافع هو الذي يتتبع الرشد ، فيكون شجرة طيبة مباركة ، يثمر الثمار الطيبة النافعة ، ويقود إلى العمل وحسن التصرف [1] .

٢- **الأسلوب المنطقي وأهميته في مجال الخطابة :** وهو الأسلوب الذي يستعمل فيه الأقيسة المنطقية بعد أن يشكلها بالأسلوب الخطابي ، وذلك بأن يطوي بعض المقدمات ، ويضمرها في ثنايا الخطبة . أو يثبت دعواه بإبطال نقيضها . وهو ما يعرف بـ" قياس الخلف "أو يثبت الدعوى بإلحاقها في حكم كلي مقرر عند المستمعين . وهو ما يعرف بـ "التمثيل " .

وعلى الخطيب إذا لجأ للأسلوب المنطقي أن يصبغه باللون الخطابي ، وذلك بأن يجعله متماسكاً آخذاً بعضه بحجز بعض ، ويجرده من شكله المنطقي الجاف حتى لا يبدو قضية رياضية تتجه إلى العقل وحده في

(١) المصدر السابق ص٢١٠ – ٢١٢ بتصرف واختصار .

إيجاز وقصر ، وتركيز ، ولو سلكها الخطيب لاندفع السامع إلى اللامبالاة والإهمال وبخاصة العامة وهم الجمهور العريض في المستمعين .

ثالثاً : الخاتمة

أهميتها : هي آخر ما يلقيه الخطيب من خطبته ، وهي آخر ما يبقى في آذان السامعين وأذهانهم ، وهي أقصر أقسام الخطبة ، وإذا كانت المقدمة تعد السامع للتأثير وتجذبه للانتباه والتركيز ، فإن الخاتمة تودع الموضوع كله بحسنها ورونقها ، ولقد دأب الخطباء أن يجعلوا الخاتمة إيجازاً لما سبق أن خطبوه ، وبعضهم يركزها في فكرة رئيسية .

وللخطيب أن يلخص في خاتمته الأفكار والعناصر البارزة من خطبته وله أن يستثير السامعين ويلهب مشاعرهم،وقد يجمع بين الطريقتين .

شروط جودتها :

١- أن تكون قوية العبارة لتهز المشاعر وتحرك العواطف .

٢- أن تكون مغايرة في أساليبها لموضوع الخطبة .

٣- أن تكون قصيرة العبارة لأن ذلك يكسبها الروعة والجمال.

الفصل السابع

أنواع الخطابة

أول من قسم الخطابة إلى أنواع كما يقول ابن رشد هو الفيلسوف أرسطو ، وقد نظر فى تقسيمه للخطابة إلى الزمن ، وقد قسمها إلى ثلاثة أنواع وهى الخطبة المشورية ، والخطبة التشاجرية ، والخطبة التثبيتية .

ولكن العلماء فى هذا العصرلهم تقسيم آخر للخطابة باعتبار موضوعاتها العامة . وهذه الأقسام هى : الخطبة السياسية ، والخطبة القضائية ، والخطبة الاجتماعية والخطبة العسكرية والخطب الحفلية : وهى خطب التابين ومحافل الفرح والتهانى . والخطبة الدينية أو الوعظية .

وهذا التقسيم ليس دقيقا كل الدقة بل يتداخل بعض أقسامه فى بعض، فالخطبة الإجتماعية تشمل السياسية والقانونية ، والخطبة الدينية تشمل كل تلك الأنواع بما فيها الخطبة القضائية لأن الدين الإسلامى خاصة يشمل كل مجالات الحياة ووضع فى تشريعه كل ما يحتاج إليه الإنسان .

ولكن مع كل هذا فالتقسيم الحديث للخطابة لانستطيع تجاهله أو إنكاره لأنه يستند إلى نوع موضوع الخطبة وطرائف كل نوع وما يتميز به من خصائص وأساليب .

المبحث الأول : الخطابة السياسية

الخطابة السياسية :

تعريفها: يعنى بالخطبة السياسية الخطبة التى توجه من حكومة الدولة إلى وجهة معينة سواء فى علاقاتها الخارجية أو أعمالها الداخليه، وقد كان هذا هو موضوع الخطبة عند اليونان فقد كانوا يعرضون فى خطبهم أحوال الدولة وما يجب أن تعمله للنهوض بأبنائها ورفاهيتهم .

وفى هذا العصر أصبحت الخطبة السياسية هى التى تدور حول الشؤن العامة للدولة ، فتشمل الخطب التي تلقى فى البرلمان ، وفى المجتمعات الانتخابية ، والأندية الحزبية ، والمؤتمرات الدولية السياسية ، سواء تعلقت بأمور خارجيه كالمعاهدات والحرب والسلام ، أو بأمور داخلية كالتعليم والاقتصاد والزراعة والتشريع ونظام الحكم (١) .

أنواعها :

١ ـ الخطب البرلمانية : من أهم الخطب السياسية لأن الخطيب البرلمانى من حقه بل ومن وظيفته أن يقترح على حكومته أن يشرح لها وأن ينتقدها فيما تخطئ فيه ، وهو لهذا يتمتع بحصانة برلمانية تتيح له الحرية الكافية فى أن يقول ما يشاء .

٢ ـ خطب الدعايات الانتخابية : إذ فيها يوضح العضو المرشح جوانب السياسة التى يريد أن ينهجها ويبين عيوب السياسة التى يعارضها .

٣ ـ خطب المؤتمرات السياسية :فهى بطبيعة الحال خطب رسمية خاصة

---

(١) انظر : الدكتور : احمد الحوفى : فن الخطابة صـ ٦٤ .

بسياسة الدولة وهذا النوع من الخطب نال نشاطا وازدهاراً فى عهد الأحزاب السياسية فى مصر .

نشأتها : إذا رجعنا إلى نشأة هذا النوع من الخطابة نجد بدايته عند اليونان فى القرن الخامس قبل الميلاد ... ثم استنامت الخطابة فى العصر الوسيط فى البلاد الأوربية ، بينما كانت ناهضة وقوية جداً فى الأمة الإسلامية ... وفى العصر الحديث قويت فى الدول العربية خاصة بعد الاستعمار وظهور الحركات الوطنية .

كما عظم شأن الخطابة فى الحكومات الديمقراطية النيابية كانجلترا وفرنسا ومصر .

قواعد الخطبة السياسية :

١ - على الخطيب أن يدرس الموضوع الذى يريد أن يتخذه موضوع خطابته . ويتعمق معانيه ، ليقدم لمستمعيه شيئاً مقنعاً كما أن دراسته للموضوع تمكنه من قوة الرد على معارضيه ويفاجئهم بمبادئ ومعانى لم تخطر ببالهم فلا يجدون قدرة على ردها والإعتراض عليها ، كما يجب على الخطيب بجانب هذه الدراسة أن يعد عبارات خطبته التى يوضح بها الأفكار التى درسها .

٢ - يجب أن يكون الخطيب السياسى مقتنعاً بالمبدأ الذى يدعو إليه، فهذا الإقتناع يمنحه حرارة وقوة فى خطابه ويمده أيضاً بمعان جديدة ، ثم عليه أن يقدم للناس نفس الأسباب التى اقتنع هو بها، وأن يجمع فى خطابه شأن عامة بين الأسباب المقنعة والأخرى المثيرة للعاطفة لأنه بها يستحيل مشاعرهم، وفى الوقت نفسه لايستغنى عن المنطق الذى تعتمد عليه الخطابة.

٣ - على الخطيب السياسى أيضاً أن يدرس آراء معارضيه ليفتدها ويضعف تأثيرها . وهو فى هذا العمل يقوم بالموازنة بين مذهبه ومذهب الآخرين المعارضين وبين مالمذهبه من مزايا ومنافع عامة للناس وما للمذهب الآخر من أضرار وقلة وجدوى .

ويغتفر للخطيب السياسى فى هذا المقام أن يرسل طرفه عابرة للنيل من خصومه لأن هذا يوهم الناس أن المذهب المعارض مفروغ من دحضه وقلة نفعه ، ولكن لايحوز له أبداً أن يتناول خصومه من الجوانب الشخصية أو أن يبحث عن معافر فى سلوكهم .

٤ - الخطيب السياسى فى أغلب مواقفه كالمناظر قلما يسلم من معارضيه وقد يفجأ بمن يقاطعه فى حديثه أو يبدى عليه إعتراضاً ، ولهذا يجب أن يكون رابط الجأش ثابت القلب حاضر الذهن فلا يتزعزع لهذه المقاطعة بل يجب أن يرد بإجابة حاضرة (١) .

---

(١) إنظر الخطابة وإعداد الخطيب للدكتور عبد الجليل شلبى صـ ١٠٧ - ١٠٨ .

عوامل ازدهار الخطابة السياسية :-

١ - الحرية الفكرية : تزدهر الخطابة السياسية فى ظل الانظمة التى تسمح بحرية إبداء الرأي والتفكير ، لأن هذه الحرية تمكن الخطباء من الإنطلاق فى التفكير ، والتعبير عن كل ما يؤمنون به ويفكرون فيه .

٢ - تعدد الاتجاهات السياسية : إذا تعددت الاتجاهات السياسية فى مجتمع ما فإن ذلك يؤدى إلى ازدهار الخطابة السياسية .. الخطيب السياسى لاينجح إلا إذا جمع من حوله جمهوراً معيناً يجمعه شعور واحد وعلماء النفس يسمون هذا الجمهور بالجماعة النفسية .

٣- الإهتمام بالتعبير : الصور الجمالية مثيرة جداً فى سائر الخطب ، ولعلها فى الخطبة السياسية أكثر إثارة لأن غالب هذا النوع يتجه إلى العامة من الجمهور وهم الفئة التى يثيرها الجمال فى الإسلوب والحسن فى البيان (١) .

خصائصها : تتميز الخطابة السياسية بمجموعة من المزايا تتنوع تبعاً لنوع الخطبة السياسية لانها أنواع ثلاثة كما سبق فالخطابة الجماهيرية التى يلقيها مسئول كبير أو مرشح فى انتخابات نيابية فإنها ، تتميز بالخصائص التالية : -

أ - مناسبتها للجماعة المخاطبة . ولذلك نجدها تأتى معبرة عن الآمال والرغبات الجماهيرية. متفقة مع معتقداتهم وعاداتهم . متلائمة مع مستواهم العقلى والثقافى، مراعية المناسبات التى يعيشونها ،لأن الخطابة الجماهيرية تحتاج إلى المستمعين أكثر من إحتياج المستمعين إليها .

---

(١) قواعد خطبة الجمعة والعيدين صـ ١٢٣ للدكتور أحمد غلوش .

ب ـ بساطة الأسلوب وسهولته لأن الجمهور دائماً من العامة ولو لم تراع الخطبة هذه البساطة لصنعت حاجزاً يفصل المستمعين عنه .

جـ ـ وضوح الروح الشورية : ذلك أن الإتجاه إلى الجمهور يقتضى دائماً جذبه . وفى السياسة لايمكن استمالته إلا بإبداء رأيه ، وإظهار أهمية مشاركته فى الحياة العامة .

والنظام الإجتماعى كله . بل إن المرشح عليه أن يبين بوضوح حاجته إلى سائر الجماهير لأنه بهم يكون . وبأصواتهم يصل إلى مبتغاه .

د ـ بروز وعود خاصة للمخاطبين لأن القادة والمرشحين لايخطبون الجماهير إلافى أحداث معينة من أجل وضع تنظيم جديداً ، أو تأدية إنتخابات جديدة وفى هذه الحالات لابد من تقديم صورة موجزة عن المستقبل المرتجى وفيها دائماً وعود للأفراد والجماعة .

ويجب على المرشح أن لا ينسى وعوده لمن رشحوه وأن يعمل جهده بعد نجاحه إلى تحقيق أمالهم وطموحاتهم وأن لا يفرق بين بعيدهم وقريبهم وبين من انتخبوة ومن عارضوه حتى يكون محل ثقتهم إذا إحتاج إليهم .

خصائص الخطابة النيابية : وهى التى يلقيها مسئول داخل المجلس النيابى ـ أى مجلس الشعب ـ سواء كان ـ هذا المسئول رئيس الدولة أو رئيس الوزراء أو وزيراً أو نائباً وهؤلاء جميعاً من الخاصة شأن المجلس كله على اعتبار أن الشعب لايختار لتمثيله ولا يزكى لقيادته إلا شخصاً امتاز بالعقل والإدراك، ومن ثم فهذه الخطابة يجب أن تتميز بالخصائص التالية :ـ

أ ـ الدقة التامة :ـ لابد أن تكون هذه الخطبة دقيقة اللفظ والمبنى دالة على هدفها بوضوح . حتى لا تقابل بمعارضات المستمعين الذين يتابعون بوعى

ويرقبون بإدراك . إن المسئول حينما يوجه خطاب الإفتتاح إلى مجلس نيابى يتحتم عليه أن يضع خطابه فى شكل نظريات مختصرة دالة على المقصود فى دقة متناهية ،

كما أن النائب الذى يخطب فى موضوع مطالباً فيه بالإصلاح عليه هو الآخر أن يكون دقيقاً حتى يصل إلى مراده من أقرب طريق .

ب - مراعاتها للنظم السياسية : يجب أن تراعى الخطبة السياسية النظام السياسى للدولة : يجب أن تراعى الخطبة السياسية النظام السياسى للدولة ذلك أن النظم الملكية تغاير النظم الجمهورية . والنظم الرأسمالية تغاير النظم الشيوعية .

جـ - اشتمالها على دراسة واسعة : تتضمن الخطبة السياسية النيابية على دراسات واسعة حول موضوعها .

وذلك شرط لازم لدقتها والتزامها بالنظام الموضوع .

د - ميلها إلى العقل أكثر من العاطفة : وذلك لأن المستمعين جميعاً من الطائفة التى يهمها المعنى المحورى أكثر من الاثارة اللفظية ، ولكن يجب أن يكون الأسلوب بعيداً عن الجدل السفسطائى والاطناب الخطابى (١) .

---

(١) راجع قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين للدكتور احمد غلوش صـ ١٢٣ : ١٢٧

نماذج من الخطب السياسية :

منها خطب الخلفاء حين توليتهم ، والولاة والعمال حينما يعهد إليهم بالولاية، وللزعماء السياسين خطب سياسية تدور على حرص السياسى على مصالح بلاده ويعرض فيها منهجه الذى سيسير عليه وطريقة حكمه والأخطار العالمية والحوادث الدولية وأثر ذلك على بلاده كما ينبه إلى خطر الإشاعات الباطلة ، وإلى خطر الحروب وغير ذلك من أمور تتعلق بالداخل والخارج وهذه بعض النماذج :

١ - أول خطبة من هذا النوع هي خطبة أبى بكر بعد بيعته التى قال فيها : « أيها الناس إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لى عليكم . ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

٢ - خطبة لمصطفى كامل سنة ١٨٩٧م قال فيها :

من المستحيل أن يرى العاقل النار فى داره والداء فى شخص أمه ويهمل النار ويهمل الداء ومن المستحيل أن يكون الوطن فى خطر ونحن نيام وأن يعمل الأجنبى لامتلاك بلادنا وسلب حياتنا بل لاستعبادنا واستراقنا ونحن جامدون لا عمل لنا ولا حراك ..

القوا، أيها السادة ، بأنظاركم قليلاً إلى الأمم الحرة تجدوا كل فرد فيها يدافع عن وطنه ، ويذود عن حوض بلاده أكثر من دفاعه عن أبيه وأمه ، بل هو يرضاهما صحبة للوطن ، ويرضى نفسه قبلهما قرباناً يقدمها لإعلاء

شأن بلاده ويعد الموت من أجل الوطن الحياة دونها حياة البشرية ، ووجوداً دونه كل وجود ، فلم لا يكون المصرى على هذا الطراز ووطنه أجمل الأوطان وأحقها بمثل هذه المحبة الشريفة الطاهرة .

أسألوا التاريخ أيها السادة ما واجب أمة دخل الإنجليز ديارها خدعة ، وعملوا لامتلاكها وسلبها كل سلطة وكل قوة ؟ يجبكم التاريخ أن واجب أمة هذا شأنها أن تعمل بكل مافى استطاعتها ضد مغتصبيها ، وأن تبذل فى سبيل خلاص وطنها كل ماتملك من مال ورجال » (١) .

٣ - خطبة لجمال عبد الناصر سنه ١٩٦٥م قال فيها : —

أيها الأخوة : أسمح لنفسى هنا أن أستعرض علاقاتنا تحديداً ببعض الدول تخصيصاً .. مع الولايات المتحدة الأمريكية لقد كنا دائماً نقدر تقديراً عاليا مزايا الشعب الأمريكى وتقدمه الباهر .. ولقد كان ولا يزال مبعث الخلاف الحقيقى بيننا وبين الولايات المتحدة الأمريكية هو الموقف الأمريكى تجاه إسرائيل ... وذلك الموقف يخلق دائماً مضاعفات تتجدد وتتفجر .. فى بداية هذا العام ... فلقد كانت الأزمة بيننا وبين الولايات المتحدة على أشدها ... على أنه ينبغى لى أن أشير إلى أن كثيراً من التحسن قد طرأ فى الفترة الأخيرة على علاقتنا .

ومن الحق أن أذكر أن الطرفين بذلا جهوداً هامة لوقف التدهور وتخفيف حدة التوتر فى العلاقات بينهما ..على أننى أعود وأكرر مرة أخرى أن مايعنينا .. هو وجود أساس من التفاهم المشترك والتقدير المتبادل ....

---

(١) راجع الخطابة واعداد الخطيب صـ ١١١ . وفن الخطابه للدكتور الحوفى صـ ٧٠١

مع بريطانيا . لعلني لا أستطيع أن أدعى أمام هذا المجلس الموقر أن أى تحسن قد طرأ على العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وبريطانيا . بل ربما كان عكس ذلك هو ما حدث .. ولقد كنا نأمل بعد نتائج الإنتخاب فى العام الماضى .. أن الحكومة الجديدة سوف تتخذ إزاء العالم العربى موقفاً أكثر إستجابة للواقع .. ولن اتحدث عن العدل أو الحق .. فنحن ندرك أن هناك مصالح بريطانية ثابتة لاتتغير إلا بمقدار ما يفرض عليها التغيير فرضاً .. ولكننا كنا نتصور إن كان القيام بعملية ملاءمة فى الأساليب .. لكن الحكومة البريطانية شاءت فى نفس يوم وصول مبعوثها إلى القاهرة أن تقوم بمناورة عنف .. ليس لها مايبررها .. ضد وزارة عدن وضد شعبها .. ومع أن موقفنا فى مواجهة المناورات معروف .. خصوصاً ما اتسم منها بمظاهرات العنف وإدعاءات القوة .. فإن الحكومة البريطانية نسيت كل تجاربها الماضية معنا وتصرفت بطريقة نرفض قبولها جملة وتفصيلاً .. أيها الإخوة نشكر لكم حسن إستماعكم ويبارك الله كل جهد يخدم شعبنا العظيم (١) .

جـ - خطبة للرئيس محمد أنور السادات :

فى ١٣ / ١٢ / ١٩٧٥م فى الإحتفال بعيد النصر قال فيها : « لقد كانت وقفتكم الشجاعة أيها الإخوة هى نقطة مفترق الطريق بين عالم وأخر . يختلف تمام الإختلاف لقد سقط الشهداء على هذه الأرض الطيبة ، وهدمت البيوت ولكن ذلك كان بداية عصر جديد ، عصر قيام حركات التحرير

الوطنية ، عصر إنتصار إرادة الشعوب المتطلعة للإستقلال عصر الإلتحام بين الثورة السياسية والثورة الاجتماعية .

لقد أضفتم بوقفتكم الرائعة ، وبما حققت من نتائج ، سطوراً جديدة ومضيئة، إلى سجل ملاحم الحق والحرية والكرامة والإستقلال على مر تاريخ وطننا ، وتاريخ أمتنا العربية، بل وتاريخ العالم كله .

ولكن طريق الإستقلال ، وطريق الإرادة الوطنية الحرة ، ليس مفروشاً بالورود بل هو طريق تتعد من فوقه المعارك وتتواصل على أرضه التضحيات، وهكذا قدر لشعب مصر الصامد ، أن يظل فى الطليعة من نضال أمته العربية ، بل على صعيد العالم الثالث كله، يواجه صنوف الأزمات والمعارك ، السياسية والعسكرية والضغوط الإقتصادية حتى تعرض لعدوان يونيو ١٩٦٧م .

ولم يستسلم شعبنا ولم تنهزم إرادته لقد مضى هذا الشعب المؤمن العظيم يطهر صفوفه، ويثبت قواعد الحرية والديمقراطية فوق ترابه الوطنى، ويحشد كل ما وسعه من إمكانيات، حتى كان يوم النصر العظيم يوم العاشر من رمضان اكتوبر ١٩٧٣م ... لم يكن السادس من اكتوبر مجرد إنتصار سلاح على سلاح ولم يكن مجرد تفوق جيش على جيش ، لقد كان نصر أكتوبر وسيبقى رمزاً لما هو أعمق من ذلك بكثير وأبعد تأثيراً على مسار التاريخ المعاصر .

كان كسراً لغرور القوة وكان إسقاطاً لأسطورة تفوق الإنسان على الإنسان وكان تأكيداً لما يمكن أن تصنعه إرادة الكرامة والعدل، وترسيخاً لقيمة ممارسة الحق والديمقراطية وتجسيداً لما يمكن أن تؤدى إليه الوحده الوطنية ، والإلتفاف الجماهيرى حول الأهداف القوية .

وكان نصر اكتوبر أيضاً وسيظل درساً أدرك منه العالم أن السلاح بالإنسان وليس الإنسان بالسلاح (١) .

هكذا تتضح لنا أهمية الخطابة فى كل مجالات الحياة : لأن الخطيب دائما يقف من الجمهور موقف القائد أو الرائد ، يهدى إلى الحق ، ويبصَّر بالخير، ويحذر من هلكة أو غفلة . ويشجع على قتال أو استبسال، أو يدعو إلى هدوء وطاعة .

لأن الخطيب البصير يثير بخطبته العاطفة والشعور ويسيطر على جمهوره بالمحاجة والإقناع لينقل أحاسيسه ومشاعره إلى المخاطبين .

---

(١) انظر : مجلة منبر الاسلام سنه ١٩٧٦ العدد رقم .

المبحث الثاني

ـ الخطابة القضائية :ـ

من مقتضيات الاجتماع البشري وجود منازعات ومشاحنات ، وهذه المنازعات تحتاج دائماً إلى الفصل فيها، ليستقر الحق ويزهق الباطل ، ومن ثم وجد القضاء . وعرف الناس التقاضي وإستلزم ذلك ظهور الخطابة القضائية .

تعريفها: الخطبة القضائية هي التي تلقى في ساحة المحاكم أمام القضاء طلباً للحكم في أمر من الأمور . سواء كان الملقى ممثل النيابه أم المحامي عن المتهم .

وهي تختلف بإختلاف المحاكم التي تلقى بها ، فقد تكون في أمور جنائية أو أمور مدنية أو حالة من الأحوال الشخصية .

وموقف الخطيب سواء أكان المحامي أو وكيل النيابة يختلف بإختلاف القضية التي يتكلم فيها من حيث نوعها وأهميتها والأحداث التي بنيت عليها .

قدمها: الخطابة القضائية قديمة وُجدت مع وجود الحضارات البشرية القديمة في مصر وبابل وفارس وأشوز واليونان والرومان ، وكانت موجودة عند العرب قبل الإسلام وكانت في مجتمعاتهم التي يقررون فيها شئون الديات والقصاص والمغارم وقد بين رسول الله ـ ﷺ ـ .

أهمية هذا النوع في قوله لنفر من الأنصار اختصموا إليه : « إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون لدى وقد يكون بعضكم ألحن بحجته من الآخر فأحكم له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فإنما أقتطع له قطعة من النار » (١) .

---

(١) رواة الإمام البخاري وفتح المبدى جـ صـ ٢٣٨ .

فبين هذا الحديث الشريف أن المحامى يستطيع أن يخدع القاضى وأن يلبس الباطل ثوب الحق ، فالحديث يوقظ الضمائر، ويحذر الذين يتعاملون فى أمور القضاء من هذا المسلك المشين، ويحثهم على التمسك بالحق .

كما بين هذا الحديث مايجب على القضاة قبل النطق بالحكم بأن لا ينخدعوا ببلاغة الخطيب وأن يبحثوا القضايا التى أمامهم من الوجهة القانونية البحتة .

« وفى العصر الحديث يبذل القضاة جهداً مضنياً من أجل الوصول إلى العدل فنجدهم يؤجلون الحكم أكثر من مرة ويطلبون المستندات من الخصوم ويسمعون الشهود ويطلبون الاطناب فى المرافعة؛ عساهم يتمكنوا بهذا من الحق الذى هو بغيتهم وأملهم » (١) .

هدفها: هدف الخطابة القضائية الوصول إلى الحق ، والفصل فى المنازعات ومساعدة العدالة فى القصاص من الجانى ، وتبرئة المتهم البرئ وحماية المجتمع من الجريمة ولذلك يجب أن يتعاون القاضى ، والنائب ، والمحامى على إحقاق الحق ، ونصرة المظلوم ومحاربة الجرائم (٢)، وذلك لأمن الأفراد والجماعات والمجتمع كله .

وسائل نجاح الخطيب القضائى :

لكى ينجح الخطيب القضائى فلابد له من عدة أمور. أن يثير عواطف القضاة باختياره لألفاظه وعباراته، ثم البحث القانونى وتطبيق قضيته على مواد القانون ، وتحديد أماكن المواد التى يستشهد بها وأن ينبه القضاة إلى المرونة القانونية لأن القانون ذو مرونة ومرونته متروكة للقضاة فإذا كان

---

(١) راجع قواعد الخطابة صـ ١٣٠ .

(٢) راجع : فن الخطابه صـ ٧٣ .

للجريمة أكثر من عقوبة فللقاضى أن يكتفى بعقوبة واحدة، كما أن من مهمة الخطيب القضائى أن يكون دقيقاً فى تصويره للجريمة التى ينظر فيها القضاء فكلما كان دقيقاً فى الفاظه كانت الصورة أقرب وأصدق للقاضى من الالفاظ التى تنطوى على تعميمات أو احتمالات متعددة ، وهذا الأمر لايتأتى إلا للخطيب المتمرس لفن القضاء .

خصائصها : تتميز الخطابة القضائية على غيرها بعدة أمور : -

١ - درس القضية درساً عميقاً شاملاً لايغيب عن الخطيب أدنى جزئية منها . بحيث يجمع عناصر القضية ويرتبها ترتيبا متسلسلا ، ويكفيها التكييف القانونى الذى يراه ، وعليه أن يتمثل حجج خصمه وردوده حتى يستعد لدحضها ، وأن يبدأ بأقوى الأدلة ليستميل القاضى ويقنعه بعدالة مطلبه .

٢ - وضعها فى الصورة القانونية الملائمة بحيث ينجح طلبه بأقصى مايستطيع ويعمل على إقناع القاضى من خلال الاعتماد على القانون لا على الإثارة والتهويل .

٣ - أن تصاغ الخطبة القضائية بصورة منطقية متسلسلة تسلم كل نقطة إلى تاليتها بدون أن يشعر السامع بفجوة أو إنقطاع .

٤ - جودة الأسلوب وقوة التعبير فلها أثر كبير فى إنجاح الخطبة القضائية ، وكبار المحامين يطبعون خطبهم ليقرأها من لم يشهد إلقاءها ويستفيد منها المحامون الجدد .

٥ - لا تحتاج الخطابة القضائية إلى الإطناب والتطويل نظراً لكثرة القضايا بالنسبة للزمن ، ولأن المستمعين من الخاصة الذين يفهمون باللمحة .

٦ - الثبات والتزام الحق لأن التزام الحق من أسطع البراهين القانونية

والعقلية . تكتفى بهذه الخصائص لأنه لايعنينا أن تقف طويلاً لدى الخطابة القضائية فلها مدارسها ورجالها وليست مما يمس أعمال الدعاة إلى درجة كبيرة وأهميتها أنها خطبة مستحدثة تمثل روح العصر .

٧ - أن يلبس نفسية المتهم ويتقمص روحه، فيبين ظروف الاتهام أو ظروف الجريمة كأنه هو المتهم ، لتكون لغته حارة .

٨ - أن يمزج فى مرافعته الاستمالة بالإقناع ، وقد يتساءل البعض لماذا يحتاج المحامى إلى استمالة وإقناع ؟ أليس الحق هدفه وقصده ؟ وهل يخفى الحق حتى يفتقر إلى إظهار ؟ الواقع أن الحق فى كثير من الأحيان لايتبلج وحده أولا يظهر وحده ،

كما يتبادر إلى الأذهان ، لأن الباطل يخفيه بألاعيبه ، أو لأن العهد قدُمَ به فصار كالمعدن الكريم المستقر فى الأعماق ، ومن ثم يصبح الاعتماد على قوته الذاتية مضيعة له وخطأ من طلابه ، فلابد من لسان فصيح بليغ يكشف الحجب عن الحق المستور (١) .

---

(١) فن الخطابه صـ ٧٩ .

نماذج من الخطب القضائية :

١ ـ من الخطب البليغة فى الأدب العربى هذه الخطبة التى كانت بين أبو الأسود الدؤلى ، وزوجته أمام زياد ابن أبيه فى ابن كان لهم وأراد أبوالأسود أن يضمه إليه فقالت الزوجة أصلح الله الأمير هذا ابنى كان بطنى وعاءه ، وحجرى فناءه وثدى سقاءه ، ألكؤه إذا نام وأحفظه إذا قام فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله، وكملت خصاله واستوعكت أوصاله ـ أى اشتدت وصلبت ـ وأملت نفعه ورجوت دفعه ، أراد أن يأخذه كرها فقونى أيها الأمير ، فقد رام قهرى وأراد قسرى .

فقال أبو الأسود : أصلحك الله .. هذا ابنى حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه ، وأن أقوم عليه فى أدبه وأنظر فى أوده ـ أى اعوجاجه ـ وأمنحه وألهمه حلمى حتى يكمل عقله ويستحكم فتله . فقالت الزوجة : صدق ـ أصلحك الله ـ حمله خفاً وحملته ثقلاً ، ووضعه شهوة ووضعته كرهاً .

فقال له زياد أردد على المرأة ولدها فهى أحق به منك ودعنى من سجعك (١) .

٢ ـ ومن الخطب القضائية أيضا ما جاء فى ختام مرافعة الأستاذ أحمد لطفى عن الورد انى قاتل رئيس الوزراء بطرس غالى : « أما أنت أيها المتهم فقد همت بحب بلادك حتى أنساك ذاك الهيام كل شئ حولك . أنساك واجبا مقدسا هو الرأفة بأختك الصغيرة وأمك الحزينة ، فتركتهما تبكيان هذا الشباب الغض ، تركتهما متقلبان على حجر الغضا، تركتهما تغلبان الطرف

---

(١) الخطابة وإعداد الخطيب صـ ١١٥ ـ ١١٦ .

حولها فلا تجدان غير منزل مقفر غاب عنه عائله، تركتها على ألا تعود إليها، وأنت تعلم أنهما لاتطيقان صبرا على فراقك لحظة واحدة، فأنت أملهما ورجاؤهما . دفعك حب بلادك إلى نسيان هذا الواجب ، وحجب عنك كل شئ غير وطنك .... فاقدمت على ما أقدمت عليه راضيا بالموت، لامكرها ولا صافى الظهور .. ففى سبيل أمتك بعت حريتك بثمن غال .

فأعلم إذاً أيها الشاب أنه إذا اشتد معك قضاتك - ولا أخالهم إلا راحميك - فذلك لأنهم خدمة القانون .

خطب الصلح

من الخطب التى تهم الدعاة فهم دائماً يعيشون بين الناس لحل مشاكلهم خطب الصلح ، وإن كان فى تقسيمها العلمى تتصل بالخطب القضائية .

الغرض منها : والغرض الأساسى من خطب الصلح هو إصلاح ذات البين مع المتخاصمين ، أو إزالة ما بينهم من إحن وضغائن ، وهى من الخطب القضائية لأن مجلس المصالحة أو الوسيط بين الخصوم قد يحكم على أحد الطرفين بدفع غرامة مالية أو عقوبة أدبية .

وخطب الصلح ليست أمراً مستحدثاً ولكنها معروفة منذ العصر الجاهلى، ففى أعقاب الحروب يتوسط بعض الكبراء أو الوجهاء يتحملون ديات القتلى ، كما فعل - هرم بن سنان - والحارث بن عوف - فى حرب داحس ، والغبراء التى كادت تذهب بالحيين فقد أرسل الحارث ابن عوف إلى بنى عبس بمائة من الإبل معها إبنه وقال لهم أيما أحب إليكم فافعلوا، الإبل أم قتل ابنى مكان قتيلكم فأخذوا الإبل (١) .

وإستمرت هذه الخطب فى العصر الإسلامى والأموى، لأن الإسلام يؤثر الصلح على القضاء لما فيه من إزالة الشحناء، وكان رسول الله - ﷺ - متفائلاً مبتهجاً بالحسن ابن على ويقول : « إن الله سيصلح به بين فئتين من المسلمين » . ومع هذا كله ليس لدينا مأثورات واسعة من خطب الصلح .

طريقتها: الاتجاه العام فى خطبة الصلح أنها تدعو إلى التسامح والعفو وترغب فى الصفح وعدم الإنتقام كما تنفر من المعارك ومن إراقة

---

(١) انظر الأغانى جـ ١٠ صـ ٢٨٨ ، صـ ٢٨٩ .

(٢) راجع قواعد الخطابة صـ ١٣٠ .

الدماء ، وقد يذكر الواعظ فى هذا المقام عفو رسول الله ﷺ - عمن أساءوا إليه من قومه والذين حاربوه ، وآذوه ، وهموا مراراً بقتله

وقد يذكرهم بأن الشخص حين ينتقم من خصمة يشعر بغيظة وقتيه ثم يؤنبه ضميره ويلومه على مافعل كما يذكر أن توريث المحبة والوئام بين الناشئين والذرية البريئة خير من توريث الشحناء والمطالبة بالثارات . وحياة الأمن والدعة خير من حياة الحروب، ثم يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة . وهى كثيرة جداً فى هذا المقام -

نماذج من خُطب الصلح :

خطب الأحنف بن قيس بعد فتنة نشبت بين قبائل العرب فى البصرة واشتركت فيها تميم ضد الأسد ، والأحنف تميمى فقال : « يا معشر الأسد وربيعة أنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر واشقاؤنا فى النسب وجيراننا فى الديار ، والله لأسد البصرة أحب إلينا من - تميم الكوفة، ولأسد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام ، فإن إستشرى شنآنكم وأبى حسك صدوركم - أى حقد - ففى أموالنا وأحلامنا سعة لكم (١) .

والناظر لهذه الخطبة يجد أنها تضمنت كل ما تحتاج إليه من الإقناع العقلى والاستمالة الوجدانية ، وهى فى نفس الوقت كافية فى جلب الصفاء وتحقيق المودة .

---

(١) إنظر الخطابة وإعداد الخطيب صـ ١١٨ .

المبحث الثالث : الخطبة الاجتماعية

الخطب الإجتماعية : هى الخطب التى تلقى فى موضوع يهم المجتمع ويعود عليه ببعض الفوائد كالدعوة لإنشاء مسجد أو مدرسة أو ناد أو تعبيد طريق أو تكوين شركة لإعانة المحتاجين وتوظيف العاطلين ، أو لزراعة وغرس بعض الأشجار وغير ذلك مما يحتاجه المجتمع .

أسس نجاح الخطبة الإجتماعية :-

لكى ينجح الخطيب فى دعوته الاجتماعية فعليه إتباع الخطوات التالية : -

١ -يقدم لمشروعه بمقدمة مناسبة تتفتح لها القلوب وتنشرح لها الصدور.

٢ - يعرض مزايا مشروعه وفوائده ، وعليه أن يتوسع فى هذا الجانب ويستقصيه ليرى أن نفعه يعُم الفقراء والأغنياء جميعاً، ويرفع مستوى مجتمعه ويسد نقصاً فيه فهذا هو موضوع الخطبة الذى هو أهم أجزائها .

٣ - عليه أن يذكر أمثله لهذا الموضوع ونظائر له من مشروعات أخرى كانت رغم ما كلفت من مشقة وجهد ذات نفع عظيم تنسى ثمرته كل مابذل من مشقات .

٤ -إعداد العبارات وتنسيق الأسلوب والأستشهاد بالأحداث والأحاديث وأيات القرآن وأبيات الشعر مما يثير عواطف السامعين ويهيئهم للإقبال على ما يدعو له الخطيب ولكن فى جانب الاستشهاد بالشعر لايجوز الإسراف والإكثار عكس الآيات القرآنية والأحاديث لأن إدخال الموضوع الإجتماعى فى الدين تجعل المشارك فيه متطوعاً إلى مثوبة الله ورحمته .

إن موضوع الخطبة الاجتماعية لصيق بالخطبة الوعظية وهو فى جملته موضوع إنشائى يحتاج إلى البحث عن عناصر جيدة وترتيبها ترتيباً مناسباً يفضى إلى نتائجها المطلوبة (١) .

---

(١) إنظر : المصدر السابق صـ ١٢١

أمثلة للخطبة الاجتماعية :

١ ـ من أمثلة الخطبة الاجتماعية الخطبة التى خطبها الزعيم مصطفى كامل فى حفل افتتاح مدرسة الشوربجى بكوم حمادة سنة ١٩٠١م تحدث فيها عن أثر العلم والتعليم فى انهاض الأمم فقال : " ليس فى تشييد المدارس وإقامة المستشفيات والتنافس فى الخيرات النافعة شئ يسر الوطن ويشرح صدره مثل نفى تهمة الموت الأدبى عن المصريين . قال القائلون وردد المرددون إن المصريين اتفقوا على ألا يتفقوا ، وسرت هذه الكلمة فى الأمة ، وتناقلها الصغير عن الكبير ، وشرحها فلاسفة السوء ، واعتقد الكثيرون صحتها ، حتى أخذ القوم يتساءلون عن مبلغ هذه الأمة من القوة والحياة ، يتساءلون هل هى إلى المجد والإرتقاء سائرة ، أو إلى الموت والفناء هاوية ؟ فأجيبهم يامن رفعه العلم والوطن منارا عاليا ، أجيبهم بأن المصريين اتفقوا على أن يتفقوا، وأن جمعية العروة الوثقى فى الاسكندرية ، وجمعية المساعى المشكورة فى المنوفية ، والجمعية الخيرية الإسلامية فى أنحاء القطر، تنادى بأن فى الأمة رجالاً أحياء نوى همم عالية وعزائم صادقه . أجيبهم بأن هذه المدارس الأهلية التى أنشئت فى الديار بهمم الأفراد هى الحجج الدافعة على حياة الأمة ، ووجود من يهتم بأمر تقدمها ونهضتها » (١) .

الناظر لهذه الخطبة يجد أن الزعيم مصطفى كامل اتبع فيها المنهاج العلمى : حيث استمال المخاطبين لحديثه وسيطر على مشاعرهم بأن تشييد المدارس وإقامة المستشفيات ينفى عنهم تهمة الموت الأدبى ، وأن هذه

(١) انظر : فن الخطابة للدكتور الحوفى صـ ٩٧ .

الأعمال تعيد لهم القوة والحياة ، وأن الأمة إلى المجد والارتقاء سائرة ، وبهذا الأسلوب الطيب استطاع أن يستنهض همة المحسنين وأرباب الخير فى رفعة شأن الوطن الذى يتصدع بترك هذه الاعمال، ويقوى الوطن بالإكثار من تشييد المدارس .

٢ ـ ومن الخطب الاجتماعية الخطبة التى قالها الاستاذ : محمد توفيق دياب فى سنه ١٩٣٤ وكان موضوعها [الشباب المصرى خيوط الحاضر ونسيج المستقبل] . فقال : « لابد من أن يؤمنوا ، أنه لارجاء فى أمة إلا أن يكون لها إيمان ، ولا فى شباب أمة إلا أن يكونوا مؤمنين . أما الإيمان فى الإنسان فليس طبيعة ولا غريزة ، ولكنه كسب عن تقليد ، أو كسب عن تفكير، فإذا رسخ نتجت عنه البواعث المهمة .

وليس المهم كيف تؤمن ، وإنما المهم أن تؤمن . نعم ولكن تؤمن بماذا ؟ تؤمن بشئ أنت دونه وتريد أن تسموا إليه ، تؤمن بقوة تستعين بها على ضعفك اتؤمن بباعث عظيم من بواعث الأمل وبواعث العمل ، تؤمن بمثل من الأمثلة العليا تريد لنفسك فردا ولأمتك جماعة ، تؤمن بمثل عال من الشجاعة يصونك عن التذلل والخور ، تؤمن بمثل عال من الكرامة يصونك عن كل مهين وخسيس .

أما أنا فواحد من الذين يؤمنون بالقوة العظمى التى تجمع الصفات الحسنى فى اسم الله ، وإيمانى به إيمان الضعيف بالقوى ، ولكن حين أستمد منه القوة أحس كأننى ارتفعت فوق المناعم والمتاعب ، وفوق الفقر والغنى ، وفوق الإخفاق والنجاح ، بل فوق الموت والحياة ، لأنى ركنت إلى العَمَد الباقى .

ولقد أكون فى المأزق الضنك ، أو فى الليلة الشادهة فألقى بضعفى بين أحضان تلك القوة، فإذا بى قد أوتيت همة جديدة ، وقدرة جديدة على المجالدة والثبات ... أجابنى هاتف من قرارة روحى : لابد لمصر من مؤمنين بالله وبالوطن ، قل لهم إن ربكم عن إيمانكم به جدٌ غنى ، أما مصر فإلى إيمانكم بها جدُ فقيرة . قل لهم إن قلوبكم إذا خلت من ذكر الله فإن ذاكريه فى الأرض والسماء ليس يحصيهم العدد ولو طال ، فأما مصر فلو خلت قلوب المصريين من ذكرها فمن ذا يذكرها سوى المصريين .

قل لهم : ليس مؤمنا بالله من لايؤمن بالوطن ، أليست مصر كبرى أنعمه عليكم ؟ أجرى فيها كوثره ، وأسبغ عليها رزقه ، وكساها من جماله ، وجعل لها أية السبق فى الأولين ليلحق بها المتخلفون ، وامتحنها فى الحاضرين بمنحة التخلف لتنهض فتلحق السابقين ... » (١) .

---

(١) انظر جريدة الجهاد ١٠ نوفمبر سنه ١٩٣٤ وفن الخطابة للدكتور الحوفى صـ ٩٧، ٩٨

المبحث الرابع : الخطابة الحفلية

تعريفها : هى الخطب التى تلقى فى حفلات التكريم ، أو التأبين أو فى تهنئة بترقية خاصة ، أو فى علاج مشكلة إجتماعية ، أو عند استقبال بعض الوفود ، وغير ذلك من مناسبات .

وهذا النوع يكاد يكون موقوفاً على الخاصة ، ولهذا رأى العلماء أنه أصعب أنواع الخطابة ، لأن السامعين من الطبقة الممتازة ، فلا يستطيع الخطيب أن يلقى الكلام بغير تروية فيه وتجويد .

نشأتها : هذا النوع من الخطابة قديم فقد عرفت خطب المحافل فى العصر الجاهلى ، وكانت الخطب والقصائد الشعرية تلقى بكثرة للوفود وعند حالات الوفاه ، ولما جاء الاسلام زادت المناسبات الداعية إليها ، وكان لرسول الله ﷺ خطباء وشعراء يخطبون فى الوفود .

وما زالت هذه الخطب باقية إلى اليوم بكل مكوناتها وخصائصها .

خصائصها :

١ ـ يحسن أن تكون واضحة الأفكار ، سهلة التعبير ، طلية ، رقيقة ، معتمده على الوسائل الخطابية ، وبعض المنطق ، تعتمد على فن الأدب والفكاهة الحلوه والأسلوب الرشيق .

٢ ـ على الخطيب أن يصدق فى قوله ولاينسب للمكرم أو المؤبن محامد ليست من حلاه ، وأن يقتصد فى ثنائه ، فلا يكيل المدح جزافاً ، وأن يتخذ خطبته وسيلة لتوجيه السامعين إلى التحلى بصفات النبل التى من أجلها يكرم المحتفل به ، أو يؤبن المتوفى .

٣ ـ أمام الخطباء ثلاثة طرق فى منهج التكريم والتأبين : ـ

أن يذكروا تاريخ المحتفل به ، ومامر به من أحداث منذ صغره وينتقى

الخطيب عمل خاص للمحتفى به يجعله محوراً لخطبته فيبين أثر هذا العمل ، ويدعوا الناس إلى محاكاته ، أو إكماله ، أو ابتداع شئ مثله ، فهو بهذا يكرم مبدأ ، أو يكرم عملاً .

وإذا كان للشخص المكرم عدد من الأعمال الجليلة مر بها الخطيب سريعاً أو سردها بإجمال ، ثم وقف لدى عمل واحد أو اثنين لتحليلهما وبيان آثارهما ،

أو أن يدرسوا قيمة المحتفل به وأثره فى أمته ومميزاته، ومكانته فى التاريخ بين أمثاله ، والدروس التى تستفيدها الأمة من عظمته (١) .

٤ - ليس من المستحب أن يتعرض الخطيب لشئ آخر غير الفضائل كثراء المكرم أو مآثر آبائه ، إلا تبعاً لميزاته الخلقية والنفسية ، كأن يثبت عراقة نسبه ليؤكد أن عظمته تتمشى فى أصوله ، وأنه نبت فى تربة مخصبة ، أو عاش فى جو ينمى العظمة ويغذيها ، ثم يعرض لصفاته المكتسبة .

٥ - قد يتعرض الخطيب للبيئة التى ولد فيها المكرم فيعرج على الحالة السياسية والدينية والاجتماعية والفكرية التى عاصرت مولده ونشأته . وعلى الخطيب أن يحذر من المبالغة المقيتة فهذا يسقط الخطيب ، ويسئم الناس مما يقول (٢) .

---

(١) أنظر : الخطابة وأعداد الخطيب للدكتور عبد الجليل شهبى ١٢٢ ، ١٢٣ ، فن الخطابة للدكتور أحمد الحوفى ص ٨٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص ١٢٨ .

ـ أنواع الخطب الحفلية

تنقسم الخطب الحفلية إلى عدة أنواع منها ما يلى :

أولاً : ـ خطب التكريم والمديح (١) : وهى الخطب التى تقال ثناءاً على عظيم أو ذى فضل . ومهمة الخطيب أن يبين سمات عظمة المكرم وفضله ـ والفضائل أنواع شتى ، منها العدالة ، والشجاعة ، والمروءة ، والعفة ، والسخاء، والعظمة ، والتسامح، وصدق الحس ، والحكمة وهذه الخطب أرقى أنواع الخطب الاجتماعية ، لأن الخطيب يبذل فيها جهداً كبيراً من أجل بيان كبريات الفضائل التى لها أثر واضح للناس ، لأن الفضيلة هى القوة التى تستطيع أن تمدنا بخيرات كثيرة ، ولذلك تعلو العدالة والشجاعة سائر الفضائل ، لأن العدالة تؤثر تأثيراً كبيراً فى وقت الحرب والسلم ، ويأتى بعد هاتين الفضيلتين ، الكرم لأن الكرماء يعطون بلا حساب ولا يفكرون فى موارد الثروة ولايجادلون فيها غيرهم ، بينما يريد غيرهم المزيد منها .

خصائصها : تتميز خطب التكريم بعدة خصائص : ـ

١ ـ مناسبة المقام طولاً وقصراً : من خصائص خطب التكريم أن تناسب الوقت المخصص فى الطول والقصر ، حيث أن المكرم ليس واحداً فى جميع الأوقات ، وإنما لكل مكرم ظروفه التى تناسبه .

٢ ـ التركيز على صفات المكرم : حيث أنها تتضمن بالتفصيل الصفات الحقيقة للشخص المكرم ليقتدى به السامع ، كما يجب أن يكون واضحاً أن تعداد الصفات هام جداً لأن ذلك يحقق السعادة والسرور للشخص المكرم لأن هذا يعد من الأغراض الأساسية للتكريم .

---

(١) فن الخطابة للدكتور أحمد الحوفى صـ ٨٥ .

٣ ـ المبالغة فى الوصف :لايقف علماء الفن ضد المبالغة فى خطب التكريم بشرط أن يكون لها ارتباطا بالواقع ، وبأفعال المكرم ، وأن تكون منتجة للخير والفضيلة ، لأن اطلاق المبالغة يفتح باب الكذب والنفاق .

٤ ـ الإطناب :خطب التكريم تحتاج إلى إطناب وتفصيل، كأن يذكر الخطيب أن الممدوح أول من قام بهذا العمل الجليل، أو فكر فى هذا الصنيع، أو أنه الوحيد الذى قام به، أو أن قليلاً من الناس عملوا مثلما عمل ، أو أنه تفوق على من أشبهوه فى عمله ، وقد وضح ذلك بن رشد بقوله : « ينبغى أن يستعمل فى المدح الأشياء التى يكون بها تعظيم الشئ وتنميته.

وهو أن يتخيل فى الشئ أنه بالقوة أشياء كثيرة . كأن يقال أنه أول من فعل هذا أو أنه وحده فعل هذا . أو أنه فُعل فى زمان يسير ما شأنه أن يفعل فى زمان كثير. أو أنه فعل فعلاً كثيراً. فإن هذه كلها مما يفيد عظيم الفعل » (١) .

٥ ـ قوة التأثير فى المستمعين :على الخطيب أن يهتم بالتأثير المعنوى فى المستمعين فيتجه إليهم ببعض قوله فيذكر موطن المكرم بالخير ، ويبين فضل أهله وأقاربه فى تنشئته وتكوينه ، ومن الأمور المؤثرة أيضاً فى المستمعين ، الاستدلال ببعض آى القرآن والأحاديث النبوية التى تتفق معها صفات المكرم .

نماذج لها : ـ من هذا النوع من خطب التكريم والمدح مايطلق عليه خطب المفاخرة أو المنافرة ، حيث وفد بنو تميم على النبى ﷺ لينافروه ،

---

(١) راجع : تلخيص الخطابة : ابن رشد ، ص ٨٠ ، وانظر : قواعد الخطابة للدكتور أحمد غلوش ص ١٣٦ : ١٣٧ .

فقالوا : جئنا لنفاخرك ، ثم قام خطيبهم فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكاً، ووهب لنا أموالاً عظاماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق ، وأكثره عدداً ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس؟ فمن يفاخرنا فليعدَّد مثلما عَدَدنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنّا نستحيى من الإكثار فيما أعطانا ، وإنّا نعرف بذلك .

أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا .

فأمر النبى ﷺ ثابت بن قيس بأن يرد عليه فقال : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يك شئ قط إلا من فضله .

ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسبا ، وأصدقهم حديثاً، وأفضلهم حياً ، فأنزل عليه كتابه ، وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين .

ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه ، وذوى رحمه ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالاً ، ثم كان أول الخلق استجابة لله نحن ، فنحن أنصار الله وزراءه ، ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، من آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتاله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات » (١) .

* ومن أمثلة خطب التكريم أيضاً هذا الأنموذج ، حيث وقف خطيب يكرم

---

(١) انظر فن الخطابة للدكتور الحوفى ص ٨٨ .

مدرساً منقولاً فقال : ان من الأعمال الهينة مالا يلتفت إليه الناس ويغيب عن خاطرهم وهو إذا التفتوا إليه ذو قدر كبير .... لقد عاش ... بيننا ماعاش فى حياة سليمة رفيقة ، لم ينشب بينه وبين أى أحد مشادةً أو خلاف ، ومرد ذلك أنه يعطى أكثر مما يأخذ ، ويتنازل عن كثير من حقوقه ، ولكنه لايهمل ماعليه من واجبات . وهذا هو خلق المعلم الذى يرشد إلى الأخلاق الكريمة ، والذى يفيد بعمله كما يفيد بلسانه، ويجعل من سلوكه قدوة حسنة للآخرين . كثيراً ماخرجت من درس وأنا مرهق كليل أتهالك على مقعدى ملتمساً شيئاً من الراحة ، ثم أنظر إليه بجانبى منهمكاً فى تحضير درسه، أو تصحيح كراسات أمامه فيبعث فى نفسى نشاطاً على العمل ، وربما تراخيت عند بدء الدرس لكننى أجده حريصاً على أن يدخل فصله فى الوقت المعين فاستحى أن أكون دونه .... » (١) .

ثانياً : خطبة التأبين :

هى الخطبة التى تلقى على قبر المتوفى أو قبيل الصلاة عليه أو فى حفل تأبينه ، وخطب التأبين تختلف عن خطب التعزية ، وذلك أن خطب التأبين يتجه فيها الخطيب إلى الميت . يعدد مناقبه وسجاياه التى طواها القبر ، ويصور ماخلّفته الفاجعة من الحسرة والأسى فى القلوب. ثم يطلب للفقيد المغفرة ، والثواب من الله، وفى خطب التعزية يتجه الخطيب إلى ذوى الفقيد فيعزيهم عن فقده، ويدعوهم إلى التدرع بالصبر، والتجلد أمام هذا الخطب ثم يتجه إلى الخطيب يعدد مناقبه ويبين اللوعة التى تركها فى أهله ومحبيه

---

(١) انظر : الخطابة وإعداد الخطيب ، للدكتور عبد الجليل شلبى ص ١٢٤ .

بعد فقده ، وتتميز خطب التأبين بصدق المشاعر. وملازمة الحقيقة خاصة إذا كان الخطيب أحد أقرباء الفقيد، فإنك تلمح فى كلامه صدق العاطفة وحرارة التعبير .

كما تتميز بالأسلوب المؤثر لأنها تشتمل تلقائياً على الصور المتعددة من علوم البلاغة . لدرجة أن الخطيب يضمن قوله كثيراً من الشعر المحفوظ أو المرتجل إذا كان من أهل صناعته .

أقسامها : خطب التأبين قسمان :

١ ـ قسم تحليلى تدرس فيه نفس الرجل ، وأخلاقه وأعماله وآثاره العقلية والعلمية . وهذا من قبيل المحاضرات العلمية فلها خواصها ومظاهرها .

٢ ـ والقسم الثانى : لمجرد الثناء والمدح ، وذكر المناقب ، ولواعج الألم ، والفراق .

ألفاظها : ألفاظ الخطابة التأبينية . كما يقول الإمام أبو زهرة : « من الألفاظ السهلة لا الألفاظ الفخمة، والأساليب العذبة من غير لين ولاضعف هى أحسن الأساليب لخطب التأبين ،لأن الرثاء حديث النفس بالألم والحزن . ويجب أن يكون فى نبرات الصوت ونغماته مايشعر بالحزن العميق وينبئ عن الألم الدفين .

المنهاج العلمى لها :

(١) يبدأ الخطيب خطبته بما يناسبها من آية كريمة ، أو حديث نبوى شريف أو بيت شعر أو حكمة بليغة تشير إلى زوال هذه الدنيا وأن مافيها إلى فناء لا إلى دوام وقرار . مثل : ماذا يحدث لو أن الناس لايموتون ؟ ترى هل تتسع الأرض لكل هذه الأجيال من عهد آدم إلى اليوم ؟ إن الموتى يفسحون لمن يأتى بعدهم من الأجيال الوافدة التى لاينقطع سيلها ....

ولكن أين قبور آبائنا من آدم إلي اليوم ؟ إنه ليخيل إلى أنه لاتوجد ذرة من تراب الأرض إلا وهي من رفات أجدادنا وآبائنا السابقين .

(٢) مدح الفقيد بذكر مآثره ، وذكر حاله عند الموت ، ثم يبين ألم الفقد الذى نال الناس بموت ذلك العظيم والرزية التى عمت ولم تخص . والكارثه التى شملت الجميع لفقده .

(٣) تسلية أهله ونوية ببيان أن الكل يشاركونهم فى الحزن ويشاطرونهم الأسى وأنهم ليسوا هم المصابين فيه وحدهم وليس الألم قاصرا عليهم ، بل لهم فيه شركاء ، ويهون عليهم شدة الفاجعه بما أبقى من ذكره الخالد فى النفوس وفضائله الراسخه فى الأعقاب ؛ وأنه وإن ارتحل من هذه الدار وهى دار شقاء وعناء فقد حل فى الدار الأخرى وهى دار سعادة وهناء

(٤) ثم يرغب السامعين فى الاقتداء به والسير على نهجه ويسلم على الفقيد ويدعو له وبذلك تتم الخطبه

نماذج لها :

١ - من أجود ماجاء فى التعزية ماروى أنه ﷺ كتب إلي معاذ بن جبل يعزيه فى ولد له مات : « من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل سلام عليك فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو « أما بعد » .

فعظم الله لك الأجر ، وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر ، ثم إن أنفسنا وأهلينا وموالينا من مواهب الله السنية . وعواريه المستودعة نمتع بها إلى أجل معدود ، وتقبض لوقت معلوم ، ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى ، والصبر إذا ابتلى ، وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة متعك به فى غبطه وسرور، وقبضه منك بأجر كثير. والصلاة والرحمة والهدى

إن صبرت واحتسبت فاصبر ولايحيط جزعك أجرك فتندم . واعلم أن الجزع لايرد ميتا ، ولايدفع حزنا ، فأحسن الجزاء وتنجز الموعود ، ولايحيط جزعك أجرك فتندم .

٢ ـ وقف محمد على قبر أبيه الحسن بن على بن أبى طالب رضي الله عنهم وقد اغرو رقت عيناه بالدمع وقال : « رحمك الله ياأبا محمد فلئن عزت حياتك ، فلقد هددت وفاتك ، ولنعم الروح روح تضمنه بذلك ، ولنعم الجسد جسد تضمنه كفنك ، ولنعم الكفن كفن تضمنه لحدك وكيف لاتكون كذلك . وأنت سليل الهدى ، وخامس أصحاب الحق وخلف أهل التقى . غذتك أكف الحق وربيت فى حجر الإسلام ، ورضعت ثدى الايمان ، فطبت حيا وميتا . فلئن كانت الأنفس غير طيبة لوفاتك إنها غير شاكة أنه قد خير لك ، وأنك وأخاك لسيدا شباب أهل الجنة ، فعليك منا ياأبا محمد السلام » (١) .

٣ ـ خطب الحجاج بن يوسف الثقفى لما مات عبد الملك بن مروان فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى فعى نبيكم ﷺ إلى نفسه فقال : « إنك ميت وانهم ميتون » وقال : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » فمات رسول الله ﷺ ، ومات الخلفاء الراشدين المهتدون المهديون ، منهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان الشهيد المظلوم ثم تبعهم معاويه ثم وليكم البازل الأكبر ، الذى جربته الأمور وأحكمته التجارب ، مع الفقه وقراءة القرآن ، والمروءة الظاهرة ، واللين لأهل الحق، والوطئ لأهل الزيغ فكان رابعاً للولاة المهديين

---

(١) راجع فن الخطابة واعداد الخطيب الشيخ على محفوظ صـ ٧٥ .

الراشدين ، فاختار الله له ماعنده، وألحقه بهم وعهد إلى شبهه فى العقل والمروءة والحزم والجَلَد والقيام بأمر الله وخلافته، فاسمعوا له وأطيعوا » (١).

٤ - ومن نماذج التأبين أيضاً ، ماقاله مكرم عبيد فى خطبة تأبينيه لسعد زغلول ، وهذه فقرة حلل فيها شخصية سعد فقال : « وأعجب مافى عظمة سعد أن عظمة شخصه امتزجت بعظمة المجموع، إلى حد أصبح من المتعذر معه على بعض الناس أن يدركوا أهو يعطى أم يأخذ ، يوحى أم يوحى إليه ، غير أن الواقع الذى لامرية فيه ، والذى يتمشى مع طبيعة الأشياء أنه كان يتبادل العظمة مع أمته ، فكانت تعطيه ويعطيها ، وتنميه فينميها ...» (٢) .

٥ - ومن خطب التأبين أيضاً ماقالته السيدة عائشة بين النساء فى تأبين والدها : « ..... نضر الله ياأبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها، ولإن كان أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ رزؤك، وأكبر الأحداث بعده فقدك، إن كتاب الله ليعدنا بحسن الصبر عنك حسن العوض منك ، وأنا متنجزة من الله وعده فيك بالصبر عنك، ومستعينة كثرة الاستغفار بك ، فسلام الله عليك ، توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على قضاء الله فيك » .

٦ - ووقف على بن أبى طالب ببابه يوم وفاته فقال : «رحمك الله أبا بكر.. كنت والله أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول الله ﷺ ، وأحدبهم على الإسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله ﷺ . خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً .

---

(١) راجع : فن الخطابة : إيليا حاوى ص : ٤٨٤ .
(٢) انظر : فن الخطابة د / الحوفى صـ : ٩١ .

فجزاك الله عن الإسلام ، وعن رسول الله وعن المسلمين خيراً . صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسّماك الله فى كتابه صديقاً ، فقال : « والذى جاء بالصدق وصدق به » كنت والله للإسلام حصناً ، وللكافرين ناكباً ، لم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ...

كنت كما قال رسول الله ﷺ ، ضعيفاً فى بدنك قوياً فى دينك ، متواضعاً فى نفسك ، عظيماً عند الله جليلاً فى الأرض ، كبيراً عند المؤمنين .. لم يكن لأحد فيك مغمز ، ولا لأحد مطمع ، ولا لمخلوق عندك هوادة ، الضعيف الذليل ، عندك قوى عزيز ، حتى تأخذ له بحقه ، والقوى العزيز عندهضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق ، القريب والبعيد عندك سواء أقرب الناس إليك أطوعهم لله ، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم ، وأمرك حزم ، ورأيك علم وعزم ..اعتدل بك الدين وقوى الإيمان وظهر أمر الله ولو كره الكافرون ، وأتعبت من بعدك إتعابا شديدا ، وفزت فوزا مبينا ، فجللت عن البكاء ، وعظمت رزيتك ، وهدت مصيبتك الأنام ، فإن لله وإنا إليه راجعون ، رضينا عن الله قضاءه ، وسلمنا له أمره ، فو الله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً » (١) .

وهكذا نجد الألفاظ فى الخطب التأبينية جزلة قوية مثيرة ، والأساليب عذبة فيها بيان بمآثر الميت ، ، والثناء عليه بذكر فضائله وأعماله الصالحه ، وحث للسامعين على الاقتداء به فى خلقه وحلمه وقوته وعزيمته وعلو همته .

---

(١) انظر : الخطابة واعداد الخطيب د / عبد الجليل شلبى ص ١٣٨ والخطابة للامام محمد أبو زهرة صـ ٧١ .

الفصل السابع : الخطابة الوعظية ومقوماتها

تعريف الخطابة الوعظية : الخطابة الوعظية هى التى تعتمد على تعاليم الإسلام أو تلقى لغرض من أغراضه يقول الدكتور أحمد غلوش عنها: « يدور موضوع هذا النوع حول تكاليف الدين أمراً أو نهياً . إذ من المعروف البديهى أن الاديان لاتنتشر ولا تزدهر إلا بالدعوة اليها ، ومن هنا كان لكل دين أنصار وأتباع يقولون الدعوة إليه مع رسولهم أو بعده ، وقد رأينا بنى إسرائيل وهم يواصلون دعوة موسى عليه السلام، وحوارى عيسى يناصرونه بالتأييد والدعوة إلى دينه، وعلماء المسلمين بعدهم قد كلفوا بالدعوة إلى دينهم ما دام على الأرض إنسان (١) .

ويقول الدكتور عبد الجليل شلبى مجال الخطبة الإسلامية أوسع من مجال الخطبة فى الأديان الأخرى ، لأن الإسلام دين شامل لكل جوانب الحياة ، وكل عمل صالح أياً كان نوعه مما يدعو له الإسلام ويحث عليه . وكل عمل ضار ينهى عنه الإسلام ويحذر من الوقوع فيه، وهذا مما وسع من موضوعات الخطبة الإسلامية (٢) .

ولكن أهم أنواع الخطبة فى الإسلام هى خطبة الجمعة لأنها فرض لاتصح الصلاة إلا بها ، حيث يجتمع المسلمون إلى خطبتى الجمعة والصلاة بشعور واحد فى زمن واحد فى مكان واحد ومن ثم ارتبطت خطبة الجمعة بالدعوة الإسلامية إرتباطاً وثيقاً وأصبحت جزءاً من كيان هذه الدعوة وسلاحاً من أسلحتها «لهذا أبرز الإسلام هذه الخطبة وبوأها مكانة سامية

---

(١) أنظر . قواعد الخطابة صـ ٧٨

(٢) الخطابة واعداد الخطيب صـ ١٤٠

واعتمد عليها فى دعوته واستثمرها الرسول - ﷺ - والخلفاء ومن تبعهم بإحسان ، فحققوا بها انجازات كبيرة وكثيرة على صعيد الدعوة الإسلامية.

لأن خطبة الجمعة أقدر وسائل الاتصال لتنمية المجتمع فى المجالات الإقتصادية والاجتماعية والأخذ بيده من مجتمع راقى إلى مجتمع متحرك .

كما أن خطبة الجمعة هى أفضل وسائل الإتصال التى إنفردت بها الدعوة الإسلامية ، والتى تعمل على تشكيل فكر المسلمين وتكوين آرائهم واتجاهاتهم نحو مختلف القضايا التى تكتف حياة المجتمع المسلم .

وستظل خطبة الجمعة بإذن الله شعيرة خالدة ومشعل هداية وفى مقدمة وسائل الدعوة الفعالة إذا أحسن إعدادها والقائها (١) .

مشقتها : الخطبة الدينية أشق أنواع الخطب جميعاً فإذا إستهان بها الخطيب وجعلها أمراً تقليدياً سقطت وأصبحت عديمة الفائدة نهائياً ولهذا فهى تحتاج إلى إعداد جيد سواء بالنسبة للخطيب أو الخطبة وهذا ما سوف نبينه فيما يأتى إن شاء الله .

نبالة مقصدها: الخطبة الدينية فى الإسلام دائماً ذات مغزىً شريف وأغراض سامية نبيلة ، لأنها دائماً تلفت الذهن إلى الجزاء الأخروى وتحذر من الحساب على أعمال الإنسان ، وتذكر بالوقوف أمام الله تعالى ، فهى بهذا ترفع الإنسان عن الأغراض المادية وتتسامى به إلى المعنويات بعكس الخطبة السياسية التى تدور حول أعمال مادية بحته من إنشاء مشروعات مثمرة أو تنمية للزراعة ، وتنشيط التجارة وما إلى ذلك ، والخطبة القضائية

---

(١) إنظر محمد عبد اللطيف الرفاعى : خطبة الجمعة أهميتها وتأثيرها صـ ١٤١

تدور حول تبرئة شخص أو عقوبته ، وقل مثل ذلك فى الخطب الأخرى فهى جميعاً تدور حول أمور دنيوية ، أما الخطبة الدينية فتمثل ذلك كله ولكنها تربطه بجزاء أخروى من الله تعالى (١) .

---

(١) إنظر المصدر السابق صـ ١٣٦ .

مقومات الخطابة الوعظية

المقوم الأول : أن يكون مستمداً من القرآن الكريم

الخطاب الدينى تكون له مقوماته السامية وآثاره العميقة فى النفوس ومكانته الراسخة فى القلوب ومنزلته التى تهز المشاعر، وتحرك العواطف إلى الخير، متى كان مستمداً من القرآن الكريم، ومستشهداً بهداياته وبتشريعاته وبأحكامه وبآدابه .

وذلك لأن القرآن الكريم هو الكتاب الذى أنزله الله على رسوله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور كما قال سبحانه :﴿ كتابٌ أنزلناهُ إليكَ لتُخرجَ النّاسَ من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذنِ ربِّهِمْ إلى صراطِ العزيزِ الحميدِ ﴾ (١) وهو الكتاب الذى حدد للناس مايجب عليهم نحو خالقهم ، وما يجب عليهم نحو أنفسهم ، ومايجب عليهم نحو غيرهم ، ونظم علاقات الأفراد والجماعات والأمم تنظيماً حكيماً ، وبين للجميع ماهو حلال وماهو حرام ، وما هو خير وما هو شر ، وما هو حق ، وماهو باطل .

ومن روائع ما قاله الإمام إبن القيم عن الخطاب القرآنى فى « كتابه « التبيان فى أقسام القرآن » : « تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله أزمة الأمور كلها بيده ، ومصدرها منه ، وموردها إليه ، مستويا على العرش لاتخفى عليه خافية .... ينصح عباده ويدلهم على مافيه سعادتهم وفلاحهم ، ويرغبهم فيه ، ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف إليهم بأسمائه وصفاته ويتحبب إليهم بنعمة وآلائه، يذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعد لهم من

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ١

الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه ، ويخبرهم بما صنعه فى أوليائه وأعدائه ، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ... يضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب على شُبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدِّق الصادق ، ويكذب الكاذب ، ويقول الحق ويهدى السبيل ، ويدعو إلى دار السلام ... » (١) .

ومن ثمَّ كانت مقاصده التى دعا إليها ، والتى لاتصلح الإنسانية بغيرها والتى تعد من ركائز الخطاب الدينى ، والتى منها ما يلى : ـ

١ ـ تصحيح العقائد والتصورات للألوهية والرسالة والجزاء .

٢ ـ تقرير كرامة الإنسان وحقوقه ، وخُصوصاً الضعفاء من الناس .

٣ ـ توجيه البشر إلى حسن عبادة الله تعالى وتقواه

٤ ـ الدعوة إلى تزكية النفس البشرية .

٥ ـ تكوين الأسرة الصالحة وإنصاف المرأة .

٦ ـ بناء الأمة الشهيدة على البشرية .

٧ ـ الدعوة إلى عالم إنسانى متعاون .

المقصد الأول يتجلى فى هذه العناصر :

أ ـ إرساء دعائم التوحيد .

ب ـ تصحيح العقيدة فى النبوة والرسالة .

جـ ـ تثبت عقيدة الإيمان بالآخرة والجزاء .

---

(١) إنظر : الدكتور يوسف القرضاوى كيف يتعامل مع القرآن الكريم صـ ٥١ .

أما المقصد الثانى الذى يتعلق بتقرير كرامة الإنسان فيتجلى فيما يلى:

أ ـ تقرير كرامة الانسان . بحيث لايرفعه إلى مقام الألوهية ، ولا يهبط به إلى درك الحيوانية ، فالإنسان فى نظر الإسلام مخلوق متميز مكرم ، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه .

ب ـ تقرير حقوق الإنسان مثل حق الحياة وحق النظر والتفكير وحرية الإعتقاد وحقه فى المساواة بغيره من الأجناس والأنساب والألوان وحقه فى الإستمتاع بالطيبات من الرزق وحقه فى الزواج وتكوين الأسرة ، وحقه بعد الزواج فى الإنجاب ، وحقه فى الحياة مالم يرتكب جرماً يبيح دمه شرعاً ، وحقه فى العمل والمشى فى مناكب الأرض سعيا لكسب رزقه ، وحقه فى أن يتمتع بثمرة ما كسب من حلال عن طريق التملك ، رجلاً كان أو إمرأة وحقه فى احترام مسكنه الخاص وعدم دخوله إلا بإذنه ، وحقه فى صيانة دمه وماله وحماية ملكه الحلال وحقه فى صيانة عرضه وكرامته والدفاع عن نفسه ، وحقه فى العدل والانصاف ولو كان كافراً أو عدواً، وحقه فى مناقشة أولى الأمر حتى تستبين له الحقائق، أو الإحتكام إلى الله ورسوله، وحقه فى إنكار المنكر ورفض الفساد .

جـ ـ تأكيد حقوق الضعفاء من الناس : فأمر بالمحافظة على مال اليتيم وحسن إستغلاله وتنميته، وجعل للفقراء حقاً فى أموال أقاربهم وسائر الأمة.

أما المقصد الذى يتعلق بعبادة الله وتقواه :ـ

فيتجلى فى الخوف من الله وزيادة الإيمان عند سماعه لآيات الله والتوكل على الله وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والإعراض عن اللغو ، وطلب العفة ، ومراعاة الأمانة والعهد ، وثبات العقيدة

وعدم الإرتياب فيها ، والمسالمة البناءة وعدم الإعتداء والشكر لله والإعتراف بالجميل وقوة الإرادة وضبط النفس (١) .

٤ ـ اما المقصد الذى يتعلق بتزكية النفس البشرية فيتجلى فى :

تطهير النفس الإنسانية من الفجور الذى يدنسها ويدسيها ، وتطهير العقول من خرافات الشرك وأباطيله ، وتطهير القلوب من قسوة الجاهلية وغلظتها ، وتطهير الإرادات من الشهوات البهيمية ، وتطهير السلوك من الرعونة وزذائل الجاهلية .

٥ ـ أما المقصد الذى يتعلق بالدعوة إلى عالم إنسانى متعاون فيتجلى فى :

أ ـ تحرير الإنسان من العبودية للإنسان فلا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله . فالكل سواء فى نظر الإسلام ، والكون كله مسخر لخدمته ومنفعته بسمائه وأرضه وشمسه وقمره ونجومه .

ب ـ أن الله وحده الذى يملك حق التشريع المطلق للبشر بحكم خلقه إيهاهم وإمداده بالنعم التى لاتحصى فهوى الذى يملك أن يحرم عليهم أو يحل لهم (٢) .

جـ ـ الأخوة والمساواة الإنسانية ، وأن الأخوة الدينية القائمة على الإيمان أخص أنواع الأخوة وأعمقها ، ولكنها لا تنافي وجود الأنواع الأخرى من الأخوة مثل الأخوة الوطنية والقومية ، مثل قوله تعالى : ﴿ وإلىٰ عاد أخاهم هُوداً ﴾ (٣) : ﴿ وإلىٰ ثمود أخاهم صالحاً ﴾ (٤) .

---

(١) إنظر الدكتور أحمد ابراهيم فهى مقومات الانسانية فى القرآن الكريم صـ ١١ ـ ٢٦ .
(٢) انظر : الدكتور يوسف القرضاوى كيف نتعامل مع القرآن العظيم صـ ١٠٥ .
(٣) سورة هود آية ٥٠ .
(٤) سورة هود آية ٦١ .

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً ﴾ (١) فأثبت القرآن بهذه النصوص هذه الأخوة بين هؤلاء الرسل ، وأقوامهم وهم مكذبون لهم متمردون على رسالتهم لأنهم منهم، وليسوا غرباء عنهم وهى أخوة قومية .

٣ - العدل لجميع الناس :فليس فى الإسلام عدلاً للعرب وحدهم ولا للمؤمنين وحدهم وإنما هو عدل للناس جميعاً لخير الإنسانية. عدل مطلق لايفرق بين إنسان وآخر .

٤ - السلام العالمى :مما دعا إليه الإسلام كذلك ، السلام بين البشر، فالسلام هو الأصل والجهاد أو الحرب فرض للدفاع عن الدعوة إذا اعتدى عليها أو فتن أهلوها ، والقتال لمن يقاتل المسلمين لإنقاذ المستضعفين فى الأرض وتأديب الناكثين للعهود المتعدين للحدود .

ولم يشرع الجهاد للعدوان على مسالم برئ لم يؤذى المسلمين .

٥ - دعا الإسلام إلى التسامح مع غير المسلمين والتعامل معهم بروح إنسانية عالية لاتتعصب ولا تحقد مع من خالفها، وهذا مع كل من خالف الإسلام من غير المسلمين، ولكن لأهل الكتاب من اليهود والنصارى معاملة خاصة،لاعتبارهم أهل دين سماوى فى الأصل (٢)

أن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان لامن أى حيثية أخرى ، الإنسان من أى سلالة كان ومن أى لون كان ، من غير تفرقه بين قوم وقوم، وبين لون ولون وبين دين ودين ، فإن اختلاف الأديان لايسقط عن المخالفين إنسانيتهم ، ولايخلعهم منها . حتى أن النبى (ﷺ) قام لجنازة ، فقيل له : إنها جنازة يهودى فقال :أليست نفسا » فلا مكان فى الإسلام لجنس متفوق

---

(١) سورة هود أيه رقم : ٨٤ .

(٢) المصدر السابق ص ١١١ .

المقوم الثاني : أن يكون مستمداً من السنة النبوية :-

من المقومات الأساسية للخطاب الديني الحكيم إشتمالة على الأحاديث النبوية الشريفة لأن فيها من التوجيهات القويمة، والأحكام الجليلة ومن الآداب الرفيعة والفضائل العظيمة ما يؤدى إلى السعادة فى الدنيا وفى الآخرة ! وذلك لأن السنة النبوية المطهرة هى المصدر الثانى بعد القرآن الكريم للشريعة الإسلامية ، ودليل من أدلة الأحكام الشرعية والتى تثبت بها الأحكام العملية ، والأدلة على حجيتها كثيرة ، ليس هذا مكان سردها فآيات القرآن الكريم تارة تأمر بطاعته - ﷺ - وآيات أخرى تأمر باتباع أوامره، وثالثة تأمر بالإذعان لحكمه ، ورابعة تحذر من مخالفة أمره .

ومن المعلوم عند أولى العلم أن السنة المطهرة هى كل ماصدر عن الرسول - ﷺ - من قول أو فعل أو تقرير، وأن السنة أيضاً وحى من وحى الله تعالى كالقرآن، إلا أن القرآن وحى من الله تعالى بألفاظه ومعانيه، أما السنة النبوية فهى وحى من الله بمعناها، أما ألفاظها فبإلهام من الله تعالى لرسوله - ﷺ - ... كما أن الأحكام الواردة عن طريق السنة، تكون مع الأحكام الواردة فى القرآن الكريم ، واجبة الإتباع بالنسبة لكل مسلم أو مسلمة ولا يخالف فى ذلك مكلف عاقل (١) قال تعالى :﴿ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا ﴾ (٢) وقال - ﷺ - كما جاء فى صحيح البخارى عن أبى هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « كل أمتى يدخل الجنة إلا من أبى . قيل : يارسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعنى

---

(١) إنظر الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى . الخطاب الدينى وكيف يكون صـ ٦١ ـ ٧١ .
(٢) سورة الحشر آية ٧ .

دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » (١) وللسنة النبوية المطهرة بالنسبة للقرآن الكريم وظائف متعددة من أهمها : -

١ - تكون مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم من أمر أو نهى أو غيرهما . ومن أمثلة ذلك أن القرآن أمر بالتحلي بفضيلة الصدق والنهى عن رذيلة الكذب قال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّه وكُونُوا مع الصَّادقين ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ إنَّما يفْتري الْكذب الَّذين لا يُؤْمنُون بآيات اللَّه وأُولْئك هم الْكاذبُون ﴾ (٣) .

فجاءت الأحاديث النبوية المطهرة فأكدت ذلك وقررته ومنها ماجاء في الصحيحين عن عبد الله ابن مسعود - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر وأن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » (٤) .

وبناءً على ذلك يكون للحكم الشرعي دليلان : أحدهما من القرآن الكريم . والثاني من السنة النبوية ، والأحكام الشرعية التي يتوفر فيها ذلك كثيرة كالأمر بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان، وحج البيت، والتحلي بمكارم الأخلاق ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

٢ - وتارة تكون السنة النبوية المطهرة منشئة لحكم شرعي جديد سكت عنه القرآن الكريم دون أن يعارضه ، فيكون هذا الحكم واجب الإتباع لأن

---

(١) رواه البخاري .
(٢) سورة التوبة ١١٩
(٣) سورة النحل ١٠٥
(٤) رواه البخاري ومسلم .

الرســول - ﷺ - نطق بـه ، كتحريم الجمع فى الزواج بـين المـرأة وعمتـها أو خالتها، وبيان أنه يَحْرم من الرضاع مايَحْرم من النسب وغير ذلك من الأحكام الشرعية .

٣ - وتارة تأتى السنة النبوية المطهرة مفصلة ومفسرة لما جاء مجملاً فى القرآن الكريم من أحكام ، فالقرآن حدثنا عن الصلاة ، وعن الزكاة ، وعن الصيام وعن الحج إلا أنه لم يبين بالنسبة للصلاة عدد ركعاتها ، أو كيفيتها أو أركانها ، وبالنسبة للزكاة لم يبين القرآن الكريم مقاديرها .

وبالنسبة للصيام لم يفصل لنا القرآن الكريم جميع أحكامه ، وبالنسبة للحج لم يبين لنا القرآن الكريم جميع مناسكه فجاءت السنة النبوية ففصلت كل أحكام هذه العبادات تفصيلاً تاماً حكيماً .

٤ - وقد تأتى السنة النبوية مقيدة لما جاء مطلقاً فى القرآن الكريم . فمثلاً القرآن الكريم يقول : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (١) .

فأمر بالطواف مطلقاً . فجاءت السنة النبوية فقيدت ذلك بوجوب أن يكون ذلك الطواف على طهارة .

٥ - وقد تأتى السنة النبوية مخصصة لماجاء عاماً فى القرآن الكريم فمثلاً يقول الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (٢) .

أى أن الأولاد يرثون الآباء بهذه الطريقة التى بينها الله سبحانه وتعالى بهذا الحكم العام ، فجاءت السنة النبوية فخصصت هذا الحكم العام بأن قصرت الميراث على الشخص الذى لم يعتد على مورثه بالقتل وبينت أنه

---

(١) سورة الحج آية رقم ٢٩ .
(٢) سورة النساء آية رقم ١١ .

« لا ميراث للقاتل » وهكذا نرى أن السنة النبوية من المقومات الأساسية للخطابة الدينية ومن الركائز الأساسية للخطيب الداعية حتي يستطيع أن يرد على من ينادون بعدم الأخذ بالسنة أو الذين يقولون لسنا بحاجة إليها فى هذا العصر ، لأن من يقول بهذا هو إنسان جاهل لايلتفت إلى سفاهاته أو جهالاته .

والخلاصة أن الخطاب الدينى كلما كان زاخرا بالأحاديث النبوية الشريفة، إزداد قبولاً عند الناس وازداد اقناعاً للعقول وإرضاء للمشاعر، وشرحاً للصدور ، لإنها أحاديث من لاينطق عن الهوى وأحاديث من أعطاه الله تعالى جوامع الكلم .

المقوم الثالث : للخطاب الديني : أن يكون مواكبا للأحداث

من المقومات الأساسية والأركان التى لاغنى عنها بالنسبة للخطاب الدينى أن يكون مواكباً للأحداث ومتأثراً بها ومعلقا عليها ، ومؤيداً لما هو حق منها.

نقصد بالأحداث تلك الأقوال والأفعال والقضايا والصراعات والمسرات والأحزان التى تتعاقب على الناس بتعاقب الليل والنهار .

لأن الخطاب الدينى الحكيم الذى يكون له أثره الطيب والنافع للناس هو الذى يراعى فيه المتكلم أحوال الناس من واقعهم هم فإن كانوا فى حالة سرور ونعمة ساق لهم من الآيات القرآنية، ومن الأحاديث النبوية ومن توجيهات الإسلام ما يجعلهم يحافظون على هذه النعم ، ويشكرون خالقهم عليها ، لكى يزيدهم منها . كما قال تعالى : « ولئن شكرتم لأزيدنكم » .

وإن نزلت بهم بعض المصائب والأحزان والمتاعب الإجتماعية أو الإقتصادية أو غيرها، ركز حديثه على ألوان العلاج الناجح والدواء السليم ، الذى من شأنه أن يعمل على تخفيف تلك المصائب أو إزالتها ، فما من داء إلا وله دواء[1]، ومامن عسر إلا ويعقبه يسر مضاعف .

كما قال سبحانه : ﴿ فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسرا ﴾ .

ففى هاتين الآيتين ما فيهما من التسلية لكل ذى عقل سليم ، ولكل ذى قلب منيب، فقد وعد سبحانه المؤمنين الصادقين ووعده لا يتخلف، بأنه مامن شدة إلا ويعقبها الفرح، وما من هم أو غم وإلا وينكشف وتحل محلة المسرة، وما من عسر إلا ويأتى بعده يسر، متى توكل الإنسان على خالقه وأدى ما أمره به وابتعد عما نهى عنه، وصبر الصبر الجميل ، وتسلح بالإيمان العميق بقضاء الله وقدره ، وسلك المسالك التى تؤدى إلى النجاح .

(١) انظر الخطاب الدينى وكيف يكون ص ٣٨

وقد أكد سبحانه هاتين الآيتين بأداة التأكيد وهى حرف « إنّ » لأن هذه القضية قد تكون موضع شك ، خصوصاً بالنسبة لمن تكاثرت عليهم الهموم وألوان المتاعب فأراد سبحانه أن يؤكد للناس فى كل زمان ومكان أن اليسر يعقب العسر لا محالة . والفرج يأتى بعد الضيق لاشك فى ذلك .

وقد ساق الإمام إبن كثير - رحمه الله - عند تفسيره لهاتين الآيتين بعض الآثار منها : ماجاء عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : «كان النبى - ﷺ - جالساً وأمامه حفرة فقال : لو جاء العسر فدخل هذه الحفرة لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » (١) .

وعن الحسن البصرى قال : كانوا يقولون : « لايغلب عسرٌ واحد يسرين اثنين » (٢) .

ومعنى هذا أن العسر معرف فى الحالين ، فهو مفرد ، وأن اليسر منكر فمتعدد ، والذى يتدبر آيات القرآن الكريم يرى أن مئات الآيات قد نزلت فى أعقاب أحداث معينه لتبين حكم الله فيها، ولتحق منها ماهو حق، ولتبطل منها ماهو باطل، ولتثبت المؤمنين، ولتدفع الشبهات والتهم الكاذبة التى ألصقها الجاحدين بالنبى (ﷺ) وبأتباعه ، ولترشد المؤمنين إلى أخطائهم حتى لايعودوا إليها ، ولتحكم فى قضايا معينة التبس فيها الحق الباطل ، ولكى تساير الحوادث والطوارئ فى تجددها وفى تفرقها .. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى ومن الأمثلة على ذلك ما يلي : -

١ - أن المشركين وصفوا النبى (ﷺ) بالجنون فنزل القرآن الكريم

---

(١) انظر : ابن كثير جـ ٨ ص ٤٥٢ .

ليدحض هذه التهم ، ويصف الرسول (ﷺ) بأسمى السمات وأفضلها ، فقال تعالى : ﴿ نٓ والقلم وما يسطرون ① ما أنت بنعمة ربك بمجنون ② وإن لك لأجرا غير ممنون ③ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) .

٢ ـ عندما جاء أحد زعماء المشركين وهو أبى بن خلف إلى النبى ﷺ وفى يده عظام قد رمت وبليت وأخذ يفتتها ويذروها فى الهواء ويقول يامحمد أتزعم أننى إذا صرت مثل هذه العظام سيبعثنى ربك؟ فرد عليه (ﷺ) بقوله : «نعم يميتك الله، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار» . فنزل القرآن الكريم ليؤكد أن البعث حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق قال تعالى : ﴿ أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ⑦⑦ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ⑦⑧ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ⑦⑨ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون ﴾ (٢) .

٣ ـ وعندما جاء بعض المشركين وقالوا للنبى (ﷺ):يا محمد، أرنا من يشهد أنك رسول الله، فإنا لانرى أحداً نصدقه، ولقد سألنا عنك أهل الكتاب فقالوا إنه ليس لك عندهم شئ من كتبهم فأنزل الله تعالى فى الرد عليهم قول : ﴿ قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون ﴾ (٣) .

---

(١) سورة القلم آية ١ : ٤ .
(٢) سورة يس آية رقم ٧٧ : ٨٠ .
(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٩ .

٤ ـ عندما اندس بين المسلمين من قبيلتي الأوس والخزرج يهودى حاقد، وأخذ يذكرهم بالحروب التى كانت بينهم فى الجاهلية، وأنشدهم بعض ما كانوا يقولوه من أشعار خلال حروبهم ، وكاد بعضهم أن يعلن القتال على غيره وبلغه (ﷺ) أمْرَهم فخرج مسرعاً ومعه بعض الصحابة وقال لهم : « يامعشر المسلمين، الله ، الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر ، وألف به بينكم ترجعون إلى ماكنتم عليه فى الجاهلية » (١) .

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من أعدائهم اليهود، وألقوا السلاح من أيديهم ، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ونزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الَّذين آمنوا إن تُطيعُوا فريقًا مِن الَّذين أُوتُوا الْكتاب يرُدُّوكُم بعْد إيمانكُمْ كافرين (١٠٠) وكَيْفَ تكْفُرُونَ وأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آياتُ اللَّه وفيكُمْ رسُولُهُ ومن يعْتصم باللَّه فقدْ هُدي إلَىٰ صراط مُّسْتقيم (١٠١) يا أيُّها الَّذين آمنُوا اتَّقُوا اللَّه حقَّ تُقاته ولا تمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلمُونَ (١٠٢) واعْتصمُوا بحبْل اللَّه جميعًا ولا تفرَّقُوا واذْكُرُوا نعْمت اللَّه عليْكُمْ إذْ كُنتُمْ أعْداءً فألَّف بيْن قُلُوبكُمْ فأصْبحْتُم بنعْمته إخْوانًا وكُنتُمْ علىٰ شفا حُفْرةٍ مِّن النَّار فأنقذكُم مِّنْها كذٰلك يُبيِّنُ اللَّهُ لكُمْ آياته لعلَّكُمْ تهْتدُون ﴾ (٢) .

٥ ـ وعندما زعم اليهود أن الجنة لن يدخلها إلا من كان على ملتهم ، أنزل الله على نبيه (ﷺ) الجواب الذى يخرس به ألسنتهم ، وأمره أن يتحداهم بأن ينطقوا أمامه بأنهم يمتنون الموت إن كانوا صادقين فى دعواهم فقال

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام .

(٢) سورة آل عمران آية رقم : ١٠٠ : ١٠٣ .

تعـالى: ﴿ قُلْ إن كانتْ لكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عند اللَّه خالصة مِن دون النَّاس فتمنوا الْمـوْتَ إن كُنتُمْ صـادقين (٩٤) ولَن يتـمَنَّوْهُ أبدا بـمـا قـدمتْ أَيْديهِمْ واللَّهُ عليمٌ بالظَّالمين (٩٥) ولتـجـدنَّهُمْ أَحْرَص النَّاس علىٰ حيـاة ومن الَّذين أشْركـوا يود أَحَدُهُمْ لوْ يُعَمَّرُ ألف سنة وما هُو بمُزحْزحه من الْعذاب أن يُعمَّر واللَّهُ بصيـرٌ بما يعْملُونَ ﴾ (١) .

إن هذه الأحداث تُعلم الخطيب أنه كلما كانت الخطبة مواكبة للأحداث، وعندما يكون الخطاب الدينى متأثراً بالقضايا والمشكلات والأحوال والهموم التى لاتخلوا منها أمة. فيعلق عليها بالأسلوب الحكيم ويعالجها بالمنطق القويم، ويأتى بالأدلة المتنوعة من شريعة الإسـلام التى تهدى الأمة إلى ماينشر فيها الأمن والرخاء، والتعاون على البر والتقوى لاعلى الإثم والعدوان . عندما يكون الأمر هكذا يكون للخطاب الدينى أثره العظيم فى الإصلاح وفى رقى الأمة وسعادتها.

خاصة وأن الإسـلام لاينفصل عن واقع الحياة ، ولا تنفصل الحياة عن الإسلام فى أى منحى من مناحيها .

فالرسالة الإسلامية موجهة للإنسان كله من حيث هو إنسان متكامل لروحه وعقله ، وجسمه ، وضميره ، وإرادته ووجدانه ..

كما أن الإسلام لم يشطر الانسان شطرين، كما فعلت أديان آخر : شطر روحى يوجهه الدين، ويتجه به للمعبد. وهذا الشطر أوالنصف من اختصاص رجال الدين . ليتحكم فيه الكاهن ويقود الانسان من خلاله. وشطر آخر

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٩٤ ٩٦ .

مـادى لاسلطان للدين ولا لرجـالة عليـه، ولا مكان لله فـيـه، فـالإنسـان فى الإسلام ـ كما خلقه الله ـ لس مجزء أو لامشطورا ، إنه كيان واحد لاتنفصل فيه روحه عن جسمه .

لهذا فالخطاب الدينى يجب أن يعايش الانسان فى كل أحواله ويصحب الإنسان أنى اتجه ، وأنى سار فى أطوار حياته كلها .

الذي يتدبر القرآن الكريم يراه قد سما بمنزلة الصدق سمواً عظيماً، حيث جعله من صفات الله تعالى في مواطن متعددة منها قوله سبحانه ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٢)

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴾ (٣) .

وجعله صفة من صفات الرسول (ﷺ) فقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (٤) .

وجعله صفة من صفات جميع الرسل ، فقال عز وجل : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (٥) .

ولقد كان النبي (ﷺ) هو التطبيق العملي لفضيلة الصدق في أقواله ، وفي أفعاله ، وفي سلوكه ، وفي كل أحواله ، قبل الرسالة وبعد الرسالة وكان (ﷺ) ينفر من الكذب فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : « ما كان من خلق أبغض إلى رسول الله (ﷺ) من الكذب » .

لقد بنى المجتمع الإسلامي من أول يوم على صدق الحديث ، وتحرى الحق ، ودقة الأداء، وضبط الكلام، ونبذ الظنون والإشاعات الكاذبة، لأن الحقائق الثابتة هي التي يجب أن تسود العلاقات بين الناس ، وهي التي

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٩٥ .
(٢) سورة النساء آية رقم ٨٧ .
(٣) سورة النساء آية رقم ١٢٢ .
(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٢٢ .
(٥) سورة يس آية رقم ٥١ ، ٥٢

يجب أن يقوم عليها كل خطاب، فضلاً عن الخطاب الدينى الذى يلزمه أن يكون الصدق لحمته وسداه (١)

ان الخطاب الدينى إذا خالطه الكذب فى ألفاظه، أو فى فتواه ، أو فى تفسيره للنصوص الشرعية، أو غيرها كانت مصائبه كبيرة وفتنته أليمة ، لأنه يؤدى إلى إضطراب الأمور وإلى وضعها فى غير مواضعها السليمة ، وإلى تحويل الحق إلى باطل ، والخير إلى شر ، والعدل إلى ظلم .

أما إذا قام الخطاب الدينى على الصدق فى ألفاظة ، وفى مقاصده ، وفى تفسيره للأمور ، وفى إخلاص من ينطق به ، وفى شجاعته فى أدائه بالحكمة والموعظة الحسنة ، إذا كان كذلك كان الخطاب الدينى له بركته العظيمة وله آثاره الجليلة فى النفوس وله منافعه فى قلوب الأفراد والجماعات .

إن من أوجب الواجبات بالنسبة للخطاب الدينى أن يكون مبنياً على الحقائق وحدها ، وعلى الأدلة الناصعة ، وعلى الحجج التى تخرس ألسنة كل مارق عن الحق، ونتلمس ذلك فيما يلى : -

١ - عندما حاور القرآن الكريم المشركين الذين أنكروا وحدانية الله تعالى، أو الشاكين فيها، فلم يأت لهؤلاء المشركين على أن المستحق للعبادة هو الله، ولم يكتف بأسلوب واحد لتاكيد وتقرير هذه الحقيقة ، وإنما ساق حشوداً من الأدلة والبراهين، وألواناً من الأساليب الحكيمة التى تقنع العقول وتجعل كل ذى قلب سليم يهتف من أعماق نفسه إنما الله إله واحد، قال تعالى :﴿ وإذا جاءك الَّذين يؤْمنون بآياتنا فقُلْ سلامٌ عليْكُمْ كتب ربُّكُمْ على نفْسه الرَّحْمة أنَّه منْ عمل منكم سوءًا بجهالة ثُمَّ تاب منْ بعْده وأصْلح فأنَّهُ غفُورٌ رَّحيمٌ ﴾ (٢).

---

(١) انظر الامام الأكبر د / محمد سيد طنطاوى : الخطاب الدينى وكيف يكون ص ٣٨ ، ٣٩.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٥٤

فالأصل الذى تقرره هاتان الآيتان كما يقول الامام الطبرى « ان الرحمة من شئون الربوبية الواجبة لها لاعليها ، وأن صلة الله بعبادة قائمة على الرحمة التى تتدارك الخلق جميعاً وتفتح لهم منافذ الخلاص، ليرجعوا عن شركهم ويتوبوا عن معاصيهم ، هذه الرحمة الإلهية التى تنادى الكافرين والمشركين وتفسح لهم المهلة على هذه الأرض وتدعوهم ليتوبوا من شركهم وينقذوا أنفسهم من الهلاك فى الدنيا والآخرة، وتهتف بالعاصين من المؤمنين وتناديهم من معاصيهم قبل أن يفاجئهم الموت .

إن الله فى العقيدة الإسلامية رحيم بعباده ، يفرح بتوبتهم ويعطيهم المهلة الواسعة ، ويبعث رسله لهدايتهم وإنقاذهم من أسباب الشقاء والهلاك مما يجعل كل من عرف هذا « قال انما الله اله واحد وانما أنا برئ من المشركين » (١) ومثل قوله تعالى:﴿ قُلْ أرأيْتم إن أخذ اللهُ سمعَكُم وأبصاركم وختم علىٰ قُلُوبكم مَنْ إلهٌ غيرُ اللهِ يأتيكُم به انظر كيف نُصرِّفُ الآيات ثم هم يصْدِفُون ﴾ (٢) .

إن هذه الآية تثبت بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة إلى افتقار الإنسان إلى ربه بحفظ سمعه وبصره وقلبه ، ، وتبين له أن الله الذى وهبه هذه النعم قادر على سلبها وإعادتها ، كما فى التنبيه إلى نعم السمع والبصر والفؤاد لفت للعقول لتتدبر افتقار الإنسان إلى ربه وحاجته لهذه الأعضاء فلو زالت لاختلت حياته، وفسدت مصالحه. وأن الله وحده هو الذى خلقها ومتعه بها فهو وحده الذى يستحق أن يعبد ، لا هذه الأصنام - أو الأشياء التى لاتخلف شيئا ولا تملك شيئا ولا تضر ولا تنفع (٣)

---

(١) انظر تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام - د إبراهيم الكيلانى صـ ٥٤
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٤٦ .
(٣) انظر المصدر السابق ص ٥٦

ومثل قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٤٠) بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ (١) .

والمعنى أن الله تعالى يقول لهؤلاء المشركين :إن نزل بكم عذاب الله الذى نزل بالأمم السابقة أو جاءتكم الساعة التى تبعثون فيها من قبوركم ففى هذه الحال لاتدعون إلا الله ولا تستجيرون بغيره، بل تدعون ربكم الذى خلقكم وإليه تفزعون دون كل شئ غيره ، لأنه القادر على كل شئ ومالك كل شئ ، فلاصنم ولا وثن تنادونه أو تسألونه ، فكيف تسودنها بالله ، وتجعلونها نداً له فى العبادة (٢) . وتارة نجد القرآن الكريم يبين شمول علم الله تعالى بكل الكائنات معتمداً على الحقائق الثابتة كما قال تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٣) .

فهذه الآية الكريمة تبين شمول علمه لجميع الكائنات ، ما غاب عنا وما ظهر، وما دق واستتر ، كبيرها وصغيرها. الله يعلمه وهو وحده العليم بشئون خلقه ، لاتغيب عنه غائبة فى الأرض ولا فى السماء مهما كان أمرها ضئيلاً فى عيون الناس كورقة شجرة من أشجار الأرض وغاباتها ، أو حبة غابت فى بطون الأرض فهو عليم بها ، .

إن الخطاب الدينى إذا ما كان صادقاً فى ألفاظه ، وفى مقاصده وكان مدعماً بالأدلة العقلية والنقلية التى تقنع العقول ، وترضى العواطف ، كان خطاباً قوياً نافعاً للأفراد، ونافعاً للجماعات، ونافعاً للأمة، ورافعاً لها من كبوتها وعثرتها إذا كبت أو عثرت .

---

(١) سورة الأنعام آية ٤٠ ، ٤١

(٢) انظر . تفسير الطبرى جـ ٧ صـ ١٩٠ ، ١٩١ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥٨

المقوم الخامس للخطاب الديني: أن يكون قائماً على الإعتدال والتوسط :-

ويقصد بالاعتدال والتوسط أن المتحدث بالخطاب الدينى عليه أن يتجنب الإسراف فى فتح باب الآمال فى النجاح وفى النصر ولو بدون عمل ، كما عليه أن يتجنب فتح باب اليأس والقنوط حتى مع العمل، وإنما المتحدث بالخطاب الدينى عليه أن يكون ملتزماً بالاعتدال والتوسط فى خطابه لأن شريعة الاسلام تقوم على هذا التوسط والإعتدال فى كل أحكامها وآدابها وتشريعاتها ومعاملاتها (١) . ان الاعتدال والتوسط هو الذى يليق برسالة عامة خالدة جاءت لتسع أقطار الأرض ، وأطوار الزمان ، وتشرع لشتى الأجناس والطبقات والأفراد فى مختلف شئون الحياة ، الاعتدال بين أشواق الروح وحقوق الجسد ، بين بواعث الدين ، ومطالب الدنيا ، الاعتدال بين العمل لهذه الحياة والعمل لما بعد الحياة .

ونرى هذا الإعتدال والتوسط فى الشريعة الاسلامية بالنسبة للعبادات فى كثير من النصوص ومنها ما يلى :-

- وقعت بعض المواقف من بعض الصحابة تشير إلى التشدد فى الدين للإزدياد من الخير، ولكن الرسول (ﷺ) ردهم عن هذا السبيل ، وقوم هذا العوج ، وصحح نظرتهم ، فعن أنس رضي الله عنه قال : « جاء ثلاثه رهط إلى بيوت أزواج النبى (ﷺ) يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا وأين نحن من النبى وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم : أما أنا فسأقوم الليل أبداً ، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال : أنتم الذين

(١) د / محمد سيد طنطاوى : الخطاب الدينى وكيف يكون ص ٤٨ .

قلتم كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء وهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى » (١) وعندما عُلم بما كان يفعله عبد الله بن عمرو بن العاص فأرسل إليه وقال له : « أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار ؟ قلت إنى أفعل ذلك قال : فإنك إن فعلت ذلك هجمت عينك ، ونفهت نفسك ، وإن لنفسك حقاً ولأهلك حقاً فصم وأفطر وقم ونم » (٢) .

وبينما هو ﷺ يخطب إذا برجل قائم فسأل عنه فقالوا :إنه أبو اسرائيل نذر أن يقوم ولايقعد ولايستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال النبى (ﷺ) : « مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه » .

هكذا كان اهتمام النبى(ﷺ) بأصحابه فلم يقرهم على مسالكهم . بل هذب هذه النزعة وردهم . إلى التوسط والاعتدال الذى يعد من أبرز خصائص الاسلام ، لأن الوسطية تعنى استقامة المنهج والبعد عن الميل والإنحراف ، فالمنهج المستقيم كما قال أبو السعود فى تفسيره « هو الطريق السوى الواقع وسط الطرق الجائرة .. فإذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين . فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية، ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة أن تكون الأمة الهدية إليه وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائفة » (٣) .

لقد فهم هؤلاء الصحابه أن الأخذ بالأشد هو الأتقى والأنقى وهو الأقرب إلى الله سبحانه ، لكن الرسول (ﷺ) أوضح لهم أن الطريق الصحيح هو فى الاتباع والاقتداء، وأن أتباع اليسر والسهولة والأخذ برخص الله هو منهج رسول الله ﷺ .

(١) صحيح البخارى كتاب النكاح باب الترغيب فى النكاح حديث رقم ٥٠٦٣
(٢) صحيح البخارى كتاب النكاح حديث رقم ١١٥٣
(٣) تفسير ابى السعود جـ صـ ١٢٣

ومن هنا يجب على الخطيب أن يخاطب الناس من منطلق الترغيب ولهذا أمر الله عباده أن يدفعوا بالتى هى أحسن فقال سبحانه :« ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » يقول صاحب الظلال فى تفسيره : « تصدق هذه القاعدة فى الغالبية الغالبة من الحالات ، وينقلب الحياج إلى وداعة ، والغضب إلى سكينة ، والتبجح إلى حياء بسبب كلمه طيبة ، ونبرة هادئة ، وبسمة حانية فى وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام ، ولو قوبل بمثل فعله ازداد هياجا وغضبا وتبجحا ومرودا . وخلع حياءه نهائيا، وأفلت زمامه ، وأخذته العزة بالإثم » (١). كما أمرنا القرآن الكريم بترك أساليب الاستفزاز واستخدام الحجه فقال سبحانه :﴿ ولا تسبُّوا الَّذين يدْعُون من دُون اللَّه فيسُبُّوا اللَّه عدْوًا بغيْر علْمٍ كذلك زيَّنَّا لكُلِّ أُمَّةٍ عملهُم ثُمَّ إلىٰ ربِّهم مَّرْجعُهُمْ فيُنبِّئُهُم بما كَانُوا يعْمَلُون ﴾ (٢) . يقول صاحب الظلال : «ان الطبيعة التى خلق الله الناس بها: أن كل من عمل عملا، فإنه يستحسنه ويدافع عنه ، فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها . وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها . وإن كان على الهدى رآه حسنا ، وإن كان علىٰ الضلال رآه حسنا كذلك فهذه طبيعه فى الانسان وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق .. ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم اندفعوا وعدوا عما يعتقدونه من ألوهيه الله ، دفاعا عما زين لهم من عبادتهم وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم فليدعهم المؤمنون لما هم فيه » ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » وهو أدب يليق بالمؤمن المطمئن لدينه ، الواثق من الحق الذى الذى

(١) فى ظلال القرآن جـ ٥ صـ ٢١ ، ٣١
(٢) سورة الأنعام اية رقم ١٠٨

هو عليه فعلى الخطباء البعد عن سب رموز الضلال (١) .خاصة أن كتاب الله تبارك وتعالى ملئ بأساليب الترغيب من ذلك ما يلى : ـ

١ ـ الترغيب فى جنس الطاعات ، قال تعالى :﴿ وعد اللَّهُ الَّذين آمنُوا منكم وعملُوا الصَّالحات ليستخلفنَّهُمْ في الأَرْض كما استخلف الَّذين من قبلهم وليُمكننَّ لهُمْ دينهُمُ الَّذي ارْتضىٰ لهُمْ وليُبدلنَّهُم مّن بعْد خوْفهمْ أمْنًا ﴾ (٢) فإنه تعالى وعد الذين جمعوا بين الإيمان وصالح العمل ، أن يجعلهم خلفاء فى الأرض متصرفين فيها تصرف الملوك فى ممالكهم ، وأن يجعل دينهم ثابتاً مقرراً بحيث يستمرون على العمل به ويرجعون إليه فى كل ما يأتون ، وما يذرون، وأن يبدلهم بعد الخوف من الأعداء أمناً بتأييدهم بالنصرة والإعزاز .

بمثل هذا الأسلوب الحكيم يستطيع الخطيب أن يفتح قلوب الناس لدعوته، ويدفعهم إلى العمل الطيب المقبول .

ومن أساليب الترغيب التى جاءت فى القرآن الكريم والتى تحصن على تقوى الله ، قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٣) .

والترغيب فى التمسك بالدين فى مثل قوله :﴿ وأن لَّو استقامُوا على الطَّريقة لأسقيْناهُم مَّاء غدقًا ﴾ (٤)، والترغيب فى الإيمان والإستقامة بمثل قوله : ﴿ ومن أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف

---

(١) فى ظلال القرآن جـ ٢ صـ ١١٦٩ .
(٢) سورة النور آية ٥٥ .
(٣) سورة الطلاق
(٤) سورة الجن آية ٢٦ .
(٥) سورة البقرة .

عليهم ولاهم يحزنون﴾ (١) وقوله سبحانه ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ (٢)

فهذه الآيات وغيرها كثير توضح للخطيب أهمية أسلوب الترغيب فى الخطابة والدعوة إلى الله .

وإذا كان القرآن الكريم مشتملاً على فيض قرآنى زاخر فى أساليب الترغيب فإن سنه النبى (ﷺ) فيها هى الأخرى الكثير من مثل قوله (ﷺ) « إذا أحب الله عبداً يقول لجبريل عليه السلام : إنى أحب فلان فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الأرض » (٣) .

ويمثل حديث بن عباس رضى الله عنهما حيث قال : « كنت خلف رسول الله (ﷺ) يوماً فقال : « ياغلام إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله ، يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » (٤) .

٢ ـ **الترغيب فى أنواع الطاعات :**

رغب القرآن الكريم والسنة النبوية فى الطاعات التى كلف بها المسلم ، وبينت النصوص فضل هذه الطاعات والآثار الإيجابية التى تعود على المسلم

---

(١) سورة فصلت

(٢) سورة مريم آية ٩٦ .

(٣) رواه البخارى

(٤) رواه البخارى ومسلم .

من فعلها واقامتها، من ذلك الترغيب فى الصلاة والصدقة والصوم والحج والجهاد واعلاء كلمة الله ، وبر الوالدين ، وإصلاح ذات البين ، وأيضا ترغيب الناس فى أنواع الفضائل النفسية، كالشجاعة، والعفة، والصدق ، والوفاء ، والأمانة ، والإخلاص ، والحلم ، والتواضع، والكرم ، والسخاء، والصبر لدى الشدائد ، وطهارة الضمير ، وحب الخير للناس ، كذلك رغبهم فى إتقان العمل والصنائع الوطنية والحث على ترويجها بالإقبال عليها ، لما فى ذلك من تشجيع الحركة الإقتصادية التى تعز بها الأمم والشعوب .

ومن أساليب الترغيب المهمة تذكير القوم بماهم عليه من نعيم ، وأن من شأن ذلك يدعوهم إلى طاعة الله الذى أنعم عليهم بهذه النعم ، والتحذير من فقدهم لها إذا امتنعوا من الاستجابة وكفروا بالله ، ومع زوال النعم نزول العذاب . ومن الآيات الكريمة المبينه لهذا النوع من الأسلوب قوله تعالى عن هود عليه السلام : ﴿ واذْكُرُوا إذْ جعلَكُمْ خُلَفَاءَ منْ بعْد قَوْم نُوحٍ وزادكُمْ في الْخلْق بصْطة فاذْكُرُوا آلاءَ اللَّه لعلَّكُمْ تُفْلحُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى عن هود أيضا ﴿ واتَّقُوا الَّذي أمدَّكُم بما تعلمُون (١٣٢) أمدَّكُم بأنْعام وبنين (١٣٣) وجنَّات وعُيُون (١٣٤) إنِّي أخافُ عليْكُمْ عذاب يوْم عظيم ﴾ (٢) .

وقال سبحانه عن صالح عليه السلام ﴿ واذْكُرُوا إذْ جعلَكُمْ خُلفاء من بعْد عاد وبوَّأكُمْ في الأَرْضِ تتَّخذُونَ من سُهُولها قُصُورًا وتنْحتُون الْجبال بيُوتًا فاذْكُرُوا آلاء اللَّه ولا تعْثَوْا في الأَرْض مُفْسدين ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الاعراف آية رقم : ٦٩ .
(٢) سورة الشعراء آية رقم : ١٣١ : ١٣٥
(٣) سورة الأعراف آية رقم : ٧٣ .

ثانيا : أسلوب الترهيب :

فكما أن الخطيب لايستغنى عن أسلوب الترغيب فإنه أيضا لايستغنى أبداً عن أسلوب الترهيب ، فكتاب الله تعالى يقوم على الترغيب والترهيب ، وأيضا سنة النبى (ﷺ) وذلك لحمل الناس على ترك الذنوب والمعاصى صغيرها وكبيرها ، وبيان آثارها المدمرة فى الدنيا والآخرة ، ويتضح ذلك من خلال ما يأتى : ـ

١ ـ التحذير من معصية الله :لقد حذر الله عباده من معصيته بما أعلمهم به من نواميس ربوبيته وأقامه من سطوات مهرة وجبروته ووحدانيته. حيث جعل النفوس المدنسة بالعقائد الفاسدة والأخلاق المزمومة محل سخطه وموضع انتقامه، كما جعل الأجساد القذرة عرضة للأمراض القاتلة، والله سبحانه لايظلم عباده قال تعالى : ﴿إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ (١) .

إن النفس الإنسانية كما تقاد عن طريق الرغبة ، تقاد عن طريق الرهبة أيضا ، فتكف عن الرذيلة خوفاً مما يعقرها من منغصات « فالذى يستهين بالحقوق ويغتر بقوته .. تخوفه بصاحب الجبروت الذى إذا سخط عليه خسف به . والله سبحانه وتعالى قوى متين وعزيز ذو انتقام ، وديان لايموت، والتخويف به حق ، وأثر الخوف على الإنسان بعيد المدى . فالطالب الذى يخشى السقوط يحصل علومه والتاجر الذى يخاف الإفلاس يضاعف نشاطه .

---

(١) سورة النساء

ولذلك قال يحيى بن معاذ : مسكين بن آدم لو خاف النار ، كما يخاف الفقر لدخل الجنة . وترك المعاصي تهيباً لله واتقاء سخطه » (١) .

إن الترهيب من الآثام يدفع الإنسان العاقل إلى استجلاب رضا الله، واستجلاب رحمته، لأن الإنسان لايقوى على غضب الله ونقمته ، قال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين .فجعلناهم سلفاً وموعظة للمتقين ﴾ (٢) وقال سبحانه عن بني اسرائيل: ﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ (٣) .

وأساليب الترهيب في القرآن الكريم كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ ولو يُؤاخذُ اللّهُ النّاسَ بظُلْمهم مّا تَركَ عَليْها من دابَّة ﴾ (٤). وقوله تعالى : ﴿ ومن يُشاقق الرّسُول من بعْد ما تبيّن لهُ الْهُدىٰ ويتّبعْ غيْر سبيل الْمُؤْمنين نُوله ما تولّىٰ ونُصْله جهنّم وساءتْ مصيراً ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ (٦) .

وفي آيات القرآن الكريم أيضاً بيان لعقوبات نزلت بأمم تمردت على الله ، وحادت عن الطريق، فسلبت منها النعمة التي طالما مرحت فيها، وحل بها مالم تكن تتوقع ،

قال تعالى : ﴿ لقدْ كان لسبأٍ في مسْكنهمْ آيةٌ جنّتان عن يمينٍ وشمال كلُوا من

---

(١) انظر : فضيلة الشيخ محمد الغزالي : مع الله ص ٣٠١ .
(٢) سورة الزخرف آية رقم ٥٥ ، ٥٦ .
(٣) سورة البقرة
(٤) سورة النحل آية رقم ٦١
(٥) سورة النساء آية رقم ١١٥ .
(٦) سورة النساء

رِزْقِ رِبِكُمْ واشْكُرُوا لَهُ بلدةٌ طَيِّبةٌ وربٌّ غفورٌ (١٥) فأعْرِضُوا فأرْسلْنا عليْهم سيْل الْعرِم وبدَّلْناهُم بجنَّتيْهِم جنَّتيْنِ ذواتيْ أُكُلٍ خمْطٍ وأثْلٍ وشيْءٍ مِّن سِدْرٍ قليلٍ (١٦) ذلك جزيْناهُم بما كفرُوا وهلْ نُجازِي إلاَّ الْكفُور ﴾ (١) .

ومثل قوله تعالى :﴿ وضرب اللَّهُ مثلاً قرْيةً كانتْ آمنةً مُّطْمئنَّةً يأتيها رزْقُها رغداً مِّن كُلِّ مكانٍ فكفرتْ بأنْعُمِ اللَّهِ فأذاقها اللَّهُ لباس الْجُوعِ والخوف بما كانُوا يصْنعُون ﴾ (٢)

ومثل قوله تعالى :﴿ كذَّبتْ عادٌ فكيْف كان عذابي ونُذُرِ (١٨) إنَّا أرسلْنا عليْهِمْ ريحًا صرصرًا في يومِ نحْسٍ مُّسْتمِرٍّ (١٩) تنزِعُ النَّاس كأنَّهُمْ أعْجازُ نخْلٍ مُّنقعِرٍ (٢٠) فكيْف كان عذابي ونُذُرِ ﴾ (٣) .

ومثل قوله تعالى :﴿ كذَّبتْ قوْمُ لُوطٍ بالنُّذُرِ (٣٣) إنَّا أرْسلْنا عليْهِمْ حاصبًا إلاَّ آل لُوطٍ نَّجَّيْناهُم بسحرٍ (٣٤) نِّعْمةً مِّنْ عندنا كذلك نجْزِي من شكر (٣٥) ولقدْ أنذرهُم بطْشتنا فتماروْا بالنُّذُرِ (٣٦) ولقدْ راودُوهُ عن ضيْفِهِ فطمسْنا أعْيُنهُمْ فذُوقُوا عذابي ونُذُرِ (٣٧) ولقدْ صبَّحهُم بُكْرةً عذابٌ مُّسْتقِرٌّ ﴾ (٤) .

ومن أساليب الترهيب التى جاءت فى السنة النبوية والتى تنذر بعقوبات عاجلة مارواه البيهقى عن بن عمر رضى الله عنها أن رسول الله (ﷺ) قال: « يامعشر المهاجرين، خصال خمس إن أبتليتم بهن ونزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن .لم تظهر الفاحشة فى قوم قسط حتى يعلفوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا

---

(١) سورة سبأ آية رقم ١٥ ١٧
(٢) سورة النحل آية رقم ١١٢
(٣) سورة القمر آية رقم ١٨ ٢١ .
(٤) سورة القمر الآية رقم ٣٣ - ٣٨ .

بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان. ولم يمنعوا زكات أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولنقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض مافى أيديهم . ومالم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم » (١) .

ومن أساليب الترهيب أيضاً ماجاء فى الصحيحين أنه (ﷺ) قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : « اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » (٢) .

وأيضاً مارواه البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع . فقال ان المفلس من أمتى من يأت يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأت وقد شتم هذا . وقذف هذا .

وأكل مال هذا . وسفك دم هذا. وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار » (٣) .

وهكذا ينبغى أن تكون الموعظة مبنية على الترغيب والترهيب .

ثالثا : ضوابط الترغيب والترهيب .

للترغيب والترهيب ضوابط بها يتحقق المطلوب، يقول الدكتور حسين خطاب عن هذه الضوابط : « من أبرزها :

أ - ألا نعظ مرغبين أو مرهبين إلا بما ثبت عن رسول الله (ﷺ)، وذلك

---

(١) رواه البيهقى والمنذرى فى الترغيب والترهيب جـ ٣ .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه مسلم .

حتى لايتحول العمل الدعوى فى هذا الميدان الى مسألة تلاعب ... فإذا تأثر المدعو من ترغيب أو ترهيب وثبت له بعد ذلك عدم صحة ماسمعه، فسوف يفقد الثقة فى كل الدعاة ، ظناً منه أنهم يثيرون العواطف بلا سند» (١) .

ولهذا يجب على الخطيب أن يبتعد فى ترغيبه أو ترهيبه عن الخرافات والترهات والاسرائيليات التى تمتلئ بها الروايات غير الثابتة عن رسول الله (ﷺ) وفيها اتهام صريح للأنبياء المعصومين ، والملائكة المقربين .

ب ـ فى حالات خاصة يجب على الخطيب أن يعظ مرغباً فى الرجاء فقط، ولا يلجأ إلى الترهيب، فحين يجد مدعواً قد تمكن اليأس منه بسبب اسرافه على نفسه فى المعاصى فعلى الخطيب الداعية أن يفتح له باب الرجاء .

ولا يستحسن فى هذه الحالة أن نستعمل معه أسلوب الترهيب ودليل ذلك ما جاء فى الصحيحين عن الرجل الذى قتل تسعاً وتسعين نفساً، ثم هم بالعودة إلى الله تعالى، فلما خوفه الراهب، ولم يفتح له باب الرجاء قتله وأصبح عدد قتلاه مئة، ومع إصرار الرجل على العودة إلى الله أخذ يسأل مرة ثانية ثم أرشد إلى عالم يفتح له باب الرجاء ، فأصبح على يديه من الناجين ومن أهل الجنة .

وأيضاً من الأحوال التى يعظ فيها الخطيب الداعية مرغباً فى الرجاء فقط إذا وجد مدعواً قد غلب عليه الخوف فأسرف فى المواظبة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله والدليل على ذلك ما جاء فى حديث الرهط الذين سألوا عن عبادة رسول الله (ﷺ) (٢) .

---

(١) راجع ضوابط العمل الدعوى فى مجال الموعظه . د / حسين مجدى خطاب ـ ص ١٦ ـ ٢ بتصرف .

(٢) رواه البخارى

وفى الجانب الآخر هناك حالات يجب على الخطيب أن يرهب فيها فقط ، مثال ذلك :عندما يجد مسرفاً مستهتراً ومسوفاً، يقول : غداً سأتوب، أو لابد أن يغفر الله لنا، وإلا فلن يدخل أحد الجنة .. ومن هذا النوع مسوفين ومستهترين فهؤلاء يجب على الخطيب أن يرهبهم فقط . ويبين لهم أن الذنوب بريد الكفر، وأن الأجال إنما ذكرت لنستعد للتوبة والعمل الصالح للقاء الله .

وأيضاعندما يجد الخطيب طائعاً مغروراً بطاعته، وأنه فقد ذل العبودية، وظن أنه يعمل الصالحات سيضمن الجنة، وأخذ يمقت ويسخر من الصالحين . فمثل هذا يحتاج إلى جرعات متتابعة من الترهيب حتى يضيق ويعود إلى مقام العبودية .

بمثل هذه الضوابط ينجح الخطيب فى دعوته للناس ، وتنجح الخطابة فى دفع الناس إلى العمل الصالح .

الفصل الثامن
الخطيب بين الأصالة والمعاصرة

الفصل الثاني :

الخطيب بين الأصالة والمعاصرة

علم الخطابة يعتمد على ثلاثة أركان وهذه الأركان لابد من معرفتها ودراستها لمن يريد أن يتعلم هذا العلم أو يتعرف عليه وهى الخطيب والخطبة والمستمع

الخطيب :-

الخطيب هو الركن الأهم فى علم الخطابة ، فالخطابة تبدأ أولاً بالخطيب والخطيب يحتاج إلى إعداد طويل وإذا كان الله سبحانه وتعالى يختار رسله للدعوة ويعدهم لحمل رسالته ويوحى إليهم بالرسالة ، لينذروا الناس ويبشروهم، كما قال تعالى :﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (١) .

فإن خلفاء الرسل وأتباعهم يحتاجون إلى عدة فى قيامهم بمهمة الدعوة إلى الله تعالى ، والخطيب داعٍ إلى الله عز وجل يقوم بمهمة هى من الدين فريضة ، وإذا كان ذلك كذلك فلابد أن يقدم العلم على العمل ، حتى تكون دعوته إلى الله على بصيرة ، ويكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر منبعثاً من معرفة الدليل الشرعي من كتاب الله سنة رسوله - ﷺ -

إعداد الخطيب :

يشتمل إعداد الخطيب لكى يستطيع أن يقوم بمهمته على الوجه الأكمل إلى عناصر متعددة منها :

الإعداد العلمى، والثقافى، والفنى، والنفسى، والإجتماعى والخلقى،

---

(١) سورة النحل آية رقم ٢ .

الخطيب مطالب فى كل الأحوال أن يكون موسوعة علمية، قادراً على قراءة كل ما يتصل بدعوته ومجتمعه ومهمته من علوم وأفكار .

أولاً : الإعداد العلمي :-

الإعداد العلمي للخطيب هو أهم العناصر التى يتوقف عليها نجاح الرسالة التى تحملها الخطبة، ولهذا يجب فى إعداد الخطيب أن يبدأ بحسن الاختيار وضمن مواصفات معينة لمن سيكون خطيب المستقبل وأول هذه المواصفات :الفطرة السليمة والسلوك النموذجي والإستقامة، ورجاحة العقل، والجرأة فى الحق ، واللسان المبين والرغبة الصادقة فى الدعوة إلى الله .

لأن من لم تتحقق فيه هذه الصفات فهو لايستطيع أن يقود نفسهفما بالنا بغيره قال الإمام الجيلانى لجاهل يريد أن يقود غيره :« أنت أعمى كيف تقود غيرك إنما يقود الناس البصير، إنه يخلصهم من البحر السامح المحمود، إنما يرد الناس إلى الله عز وجل من عرفه أما من جهله فكيف يدل عليه ؟ » (١) .

وبعد هذه العوامل الرئيسية لاختيار خطباء المساجد فإنه لابد من وضع المناهج الدراسية ، وإعداد خطط للتدريب تمكنهم من ممارسة نشاطهم على الوجه الأكمل .

وإلى جانب ذلك فلابد من الفهم الكامل للعلوم الإسلامية والحفظ الصحيح للقرآن الكريم والفهم العميق لسيرة الرسول الله - ﷺ - والإدراك الواعي لأصول الفقه والعقيدة، والمعرفة الدقيقة للتاريخ الإسلامى والتاريخ المعاصر ، والمذاهب السياسة، والنظريات الفكريه وأحوال العالم الإسلامى ومشكلاته

---

(١) انظر الفتح الربانى للامام الجيلانى صـ ١١ .

وقضايا الأقليات، وإلى جانب هذه المعارف فلابد من وضع مناهج تطبيقيه فى علم الخطابة وأصول الدعوة ، وفنون الإلقاء، ومهارات الأتصال وكذلك متابعة الاستكشافات الحديثة فى علوم الفضاء والطب والإحصاء، وعلم النفس والعلوم الكونية والمخترعات التى اقتحمت بيوت الناس، لأن جهل الخطيب بهذه المعطيات العصرية تجعله يعيش بمعزل عما يدور بالعالم من أحداث ولا تمكنه من تناول الأمور من المنظور الإسلامى الصحيح (١) .

ورب قائل يقول : لَمْ تعد هناك إمكانية فى أن يكون عالم الدين - كما فى العهود السابقة - موسوعياً يفهم فى الإقتصاد والفلك والحشرات. وأمور الدنيا والدين فقد تفتت العلم فأصبح لكل جزء منه متخصصون ولابد لكل واحد من هؤلاء المتخصصين أن يدلى بدلوه فى مجال تخصصه .

وليترك بعد ذلك لعلماء الدين أن يقولوا هنا خطوط حمراء فلا تتعددها وما وراء ذلك فافعلوا ما شئتم (٢) .

مع أن هذا القول له وجاهته ، ولكن ليس للخطابة موضوع خاص تبحث عنه بمعزل عن غيره ، فإنها لاتحجم عن النظر فى كل علم وفن بل ترتبط بكل شأن مِنْ شئون الناس . ومن ثم وجب أن يكون الخطيب ملماً بقسط وافر من المعلومات وبكل ماله صلة بالجماعة التى يخاطبها ليعرف نواحى التأثير والمواطن التى يطرق حس الجماعة من ناحيتها ، ويبتعد عما ينفرها حتى لايجعل قلوبها متجافية عنه . فالخطيب له الصدارة ، والفتوى عليه .

والمناصحة والإرشاد مهمته. والقدرة على ذلك أمر صعب لايتأتى لصاحبه إلابعد جهود شديدة، وبذل متواصل فى التحصيل العلمى والبحث الموضوعى

---

(١) إنظر محى الدين عبد الحليم خطبة الجمعة والاتصال بالجماهير صـ ٦٥ ، ٦٨ والأستاذ محمد الغزالى مع الله صـ ٨٠ .

(٢) الأستاذ عمر عبيد حسن . فقه الدعوة صـ ١٧ .



أهم ما يتسلح به الخطيب الداعية :-

من الإعداد العلمي للخطيب أن يتسلح بعدة أمور تعتبر الدعائم الأساسية للخطيب وهي : -

أ - أن يجيد تلاوة القرآن الكريم . ويحفظه كله أو معظمه ويتدبر بعض آياته ، ويفقه بعض أحكامه ، ويحافظ على تلاوته . فإن ملازمة كتاب الله تغني حامله بلاغة وبياناً وتمده بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج الفاصلة وتزكيه وتسعفه في مخاطبة العقول والقلوب .

وفي إثارة العواطف والفكر والإنتباه، وفي ارشاد الناس إلى الخير والهدى، فيصل إلى مراده من أقصر طريق وأقوم سبيل فلا يضل ولا يشقى وفي القرآن الكريم العقيدة الخالصة . والشريعة الغراء ، والأخلاق الكريمة والمسائل الفضلى التي يخاطب الناس بها، ومن القرآن الكريم يعرف دوره ومصيره ، ويتلمس النور والشفاء .

ولهذا كان النبي - ﷺ - يختبر الدعاة في تمسكهم والتزامهم وتفقههم وإحاطتهم بالكتاب الكريم .

فلما بعث - ﷺ - إلى اليمن قال : كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بكتاب الله قال فإن لم يكن في كتاب الله ؟ قال :فبسنة رسول الله - ﷺ - . قال فإن لم يكن في سنة رسول الله - ﷺ؟ قال :أجتهد رأي ولا آلو. قال فضرب رسول الله - ﷺ - صدري ثم قال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله رسوله ﷺ » (١) إن إجابة معاذ - رضي الله عنه - تشير إلى شمول معرفته بالقرآن لأنه يبحث فيه كله عند القضاء فإن لم يجد ينتقل إلى السنة. وكذلك فإن المعرفة الشاملة للقرآن تمكن الخطيب الداعية من هداية الناس والأخذ بأيديهم حين الإختلاف .

---

(١) رواه البخاري .

ب - أن يتعمق الخطيب الداعية فى علوم القرآن وفى السنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين ، ومذهب السلف الصالح وعلوم الشريعة، والسيرة النبوية والعبادات والمعاملات والأخلاق وعّبرها من فروع الثقافة الإسلامية .

إن تمكن الخطيب من هذه العلوم تجعله بصير بدعوته فلا يقدم غير المهم على المهم ، ولا المهم على الأهم ، ولا المرجوح على الراجح ولا المفضول على الأفضل بل يقدم ماحقه التقديم ويؤخر ، ما حقة التأخير، ولا يكبر الصغير ، ولا يهون الخطير ، بل يضع كل شئ فى موضعه بالقسطاس المستقيم بلا طغيان ولا إحسان(١) .

إن العلم بالقرآن الكريم والسنة النبوية يبينان راجح الأعمال من مرجوحها وفاضلها من فضولها كما يبنيان صحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها . وهذا لايتأتى للخطيب إلا بفهمه لفقه الأوليات .

أهمية فقه الأولويات للخطيب :-

١- أولوية تقديم الأهم على المهم :

١ - من ينظر إلى حياتنا فى جوانبها المختلفة - مادية كانت أو معنوية، فكرية أو إجتماعية أو إقتصادية أو غيرها - يجد الإختلال الواضح فى كل أقطارنا العربية والإسلامية ، بل ويجد مفارقات عجيبة - فيجد مايتعلق بالفن والترفيه مقدم على ما يتعلق بالعلم والتعليم . وفى الأنشطة الشبابية : يجد الاهتمام برياضة الأبدان مقدماً على الإهتمام برياضة العقول، وكأن رعاية الجانب الجسمانى هى كل شئ ، فهل الإنسان بجسمه أو بعقله ونفسه ؟

---

(١) إنظر الدكتور يوسف القرضاوى فى فقه الأولويات صـ ٩ .

يقول فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى :

« كنا نحفظ قديما عن قصيدة أبى الفتح الشهيرة

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على النفس وإستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لابالجسم إنسان

ولكننا نرى اليوم أن الإنسان بجسمه وعضلاته قبل كل شئ وفى صيف ١٩٩٣م لم يكن لمصر كلها حديث إلا عن اللاعب الذى « عرض » للبيع، وارتفع سعره فى سوق المساومة بين الأندية حتى بلغ نحو ثلاث أرباع المليوم من الجنيهات .

وليتهم إهتموا بكل أنواع الرياضة وخصوصاً التى ينتفع بها جماهير الناس فى حياتهم اليوميه وانما اهتموا برياضة المنافسات وبخاصة كرة القدم ، التى يلعب فيها عدة أفراد وسائر الناس متفرجون ! !

وأصبحنا فى منتهى الجد فى اللعب ووضعوا فى ضوابط اللعب مايسمى بالوقت الضائع ، ولم نسمع بمثل هذا المصطلح فى بقية أعمالنا وأضحى الأمر ، كما يقول فضيلة الشيخ محمد الشعراوى - عليه رحمه الله : « منتهى الجد فى اللعب ، ومنتهى اللعب فى الجد »

فأين دور الخطيب الفقيه ليرد الناس إلى رشدهم بعد هذا الجموح الهائل الذى جعل نجوم المجتمع وألمع الأسماء فيه ليسوا هم العلماء ، ولا الأدباء ولا أهل الفكر، أو الدعوة بل هم الفنانين والفنانات، ولاعبى الكرة وأمثالهم. إن أجهزة الإعلام فى الوطن العربى أصيبت بنكسة فكرية وعقلية، فالصحف والمجلات والتلفيزيونات والإذاعات لاحديث لها إلا عن هؤلاء ومغامراتهم

وأخبارهم مهما تكن تافهة، إذا ولد للفنان طفل أو تزوج بامرأة ارتجت الأرض فرحاً وسروراً، وإذا مات فترتج الأرض أيضاً لموته وتمتلئ الفضائيات وأنهار الصحف بالحديث عنه وبيانه، وبخطواته، وبلفتاته، وحركاته وضحكاته .

إما إذا مات العالم أو الأديب فلا يكاد يحس به أحد ! .

وفى الجانب المالى : ترصد المبالغ الهائلة ، والأموال الطائلة للرياضة والفن ، ورعاية الإعلام ، في حين تشكو الجوانب التعليمية والصحية والدينية والخدمات الأساسية التقتير عليها وادعاء العجز والدعوة إلى التقشف وغير ذلك .

إن الخطيب هو وحده القادر على تغيير هذا الخلل والمسار المعكوس .

٢ - أولوية التخفيف على التعسير : الخطيب الداعية مطالب مى حطبه أن يقدم التخفيف والتيسير على التشديد والتعسير ولا يتأتى له ذلك إلا إذا كان محيطاً بالكتاب والسنة حيث دلت نصوصهما على أن التيسير والتخفيف أحب إلى الله وإلى رسوله - ﷺ قال تعالى : ﴿ يُريدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُريد بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ يُريدُ اللَّهُ أن يُخفِّفَ عَنكُمْ وخُلق الإنسانُ ضعيفًا ﴾ (٢) وقال عز وجل : ﴿ ما يُريدُ اللَّهُ ليجْعل عَلَيْكُم مِّنْ حرجٍ ﴾ (٣) . وقال - ﷺ - « خير دينكم أيسره » (٤) . وتقول عائشة : « ما خير رسول الله - ﷺ

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٥ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٢٨ .

(٣) سورة المائدة رقم ٦ .

(٤) رواه أحمد والبخارى فى الأدب المفرد إنظر صحيح الجامع الصغير صـ ٣٣١٩ .

بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثماً، فإذا كان إثما كان أبعد الناس عنه » (١) وعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - «قال يسروا ولاتعسروا، وبشروا ولا تنفروا (٢) .

وكان رسول الله - ﷺ - يحب التيسير فى تعليمه الإسلام لمن يدخل فيه ولا يكثِّر عليه الواجبات يثقله بكثرة الأوامر والنواهى وإذا سأله عما يطلبه الإسلام منه اكتفى بتعريفه بالفرائض الأساسية ولم يعرفه بالنوافل ، فإذا قال له الرجل : لا أزيد على ذلك ولا أنقص منه قال : أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق بل رأيناه يشدد النكير على من يشدد على الناس ولا يراعى ظروفهم المختلفة كما فعل مع بعض أصحابه الذين كانوا يؤمون الناس ويطيلون فى الصلاة، طولاً إشتكى منه بعض مأموميهم. فقد أنكر على معاذ إبن جبل تطويله وقال له : « أفتان أنت يامعاذ ؟ أفتان أنت يامعاذ ؟ أفتان أنت يامعاذ .

وعن أبى مسعود الأنصارى:أن رجلاً قال : والله يارسول الله، إنى لاتأخر عن صلاة الغداة - الصبح - من أجل فلان مما يطيل بنا فما رأيت رسول الله - ﷺ - فى موعظة أشد غضباً منه يومئذ ثم قال : « إن منكم منفرين ، فأيكم صلى بالناس فليتجوز - يخفف - فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » (٣) .

وعن أبى هريرة - رضي الله عنه - عن النبى - ﷺ قال : «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبة، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشئ من الدلجة » (٤) .

---

(١) متفق عليه كما فى اللؤلؤ والمرجان صـ .

(٢) متفق عليه المصدر نفسه صـ ١١٣١

(٣) متفق عليه : اللؤلؤ والمرجان ، ص ٨٨٥ .

(٤) رواه البخارى والنسائى ، انظر : صحيح الجامع الصغير ص : ١٦١١ .

ثانيا ـ الإعداد الثقافي :

لن يستطيع الخطيب أن يقوم بمهمته على الوجه الأكمل إلا إذا ألم بأهم الجوانب الثقافية وخاصة الثقافة الاسلامية .

١ ـ **الثقافة الإسلامية :** وهى الثقافة التى محورها الإسلام ، بمصادره وأصوله وعلومه المتعلقة بهذة الأصول المنبثقة عنه، فالخطيب الداعية الذى يدعو إلى الإسلام لابد أن يعرف ما الإسلام الذى يدعو إليه الناس ، ولابد أن تكون هذه المعرفة يقينية عميقة لاسطحية مضطربة. ولهذا كان لابد أن تكون هذه المعرفة عن الإسلام من مصادره الأصلية وينابيعه المصفاة بعيداً عن تحريف الضالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين،لأن ثقافتنا لها خصائص تميزها عن غيرها من الثقافات ، من ذلك .

أ ـ خصيصة الربانية :

لأنها ثقافتنا جاءتنا عن طريق الوحى الشريف وامتزجت بالإيمان عامة ، والتوحيد خاصة ، وهذه الخصيصة امتزجت بجوانبها كلها، وجرت فيها مجرى الدم فى الشعيرات، فى شعرها ونثرها، فى أدبها وعلمها، وفلسفتها، فى كتب اللغة وكتب الدين، وكتب العلم، فيما يزين المساجد والمنازل .

ب ـ خصيصة الأخلاقية :

ثقافتنا الاسلامية تقوم على العنصر الأخلاقى الذى ربط بين الإلزام والجزاء، جزاء الدنيا وجزاء الآخرة، وحررها من غلو الجاهلية، وجعل للأخلاق مكاناً عالياً ، فقال ﷺ : « إنما بعثت الأتمم مكارم الأخلاق » (١) .

وندد بالعلم الذى لايثمر خلقاً ولاسلوكاً حسناً ، وجعل العالم غير العامل أول الناس عذاباً يوم القيامة، وفصل آداباً للمعلم والمتعلم والقارئ والسامع، والباحث والمناظر والمجادل ، وآداباً لكل شئ فى الحياة .

ولا تعترف هذه الثقافة بتجزأة الأخلاق ، فلا يوجد لدينا أخلاق لمعاملة المسلمين ، وأخلاق لمعاملة غير المسلمين ، فالخير خير للجميع ، والشر شر على الجميع ، والحلال حلال للجميع، والحرام حرام للجميع، لا كما يوجد فى توراة اليهود المحرفة .

كما لاتعترف ثقافتنا بالمبدأ اللاأخلاقى الذى قال به كبار الفلاسفة وهو أن الغايه تبرر الوسيلة .

جـ - خصيصة الإنسانية :

من خصائص ثقافتنا التى يجب أن يحيط بها الخطيب أنها إنسانية فلحمتها وسداها إحترام الإنسان، ورعاية فطرة الإنسان ، وكرامة الإنسان، وحقوق الإنسان ، فهى تقوم على اعتبار أن الإنسان مخلوق مكرم ، وأن الله جعله خليفة فى الأرض ، وأنه تعالى سخر له مافى السموات والأرض جميعاً منه ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة .

وهى تقوم أيضاً على تكريم الانسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن جنسه ، أولونه، أو لغته، أو موطنه ، أو طبقته، أو دينه ، فهو مكرم بإنسانيته قبل ديانته، ومن المواقف الرائعة مارواه الإمام البخارى عن النبى ﷺ أنه مرت عليه جنازة يهودى وهو جالس فقام لها واقفاً فقيل له : انها جنازة يهودى؟ فقال : « أليست نفساً ؟ » (١) .

د - خصيصة العالمية

من الخصائص التى تميزت بها ثقافتنا : العالمية ولهذا عملت على تقريب الفوارق بين بنى الإنسان ، تلك التى فرقت البشر قديماً وحديثاً ، ولهذا اشترك فيها عرب وعجم ، بيض وسود أغنياء وفقراء ، ملوك وسوقة ، مسلمون ونصارى ويهود ومجوس ، إنها ثقافة مفتوحة لكل الجماعات البشرية ، غير مغلقة على نفسها ولامتعصبة ضد غيرها » (١) .

هـ - خصيصة التسامح

من الخصائص التى يحتاج إلى فهمها الخطيب الدارس خصيصة التسامح، لأن الإختلاف بين البشر واقع بمشيئة الله تعالى، مرتبط بحكمته ، ولا يملك أحد أن يرد مشيئته أو يغير سننه فى الكون، قال تعالى :﴿ ولَوْ شاءَ ربُّكَ لجعلَ النَّاسَ أُمَّةً واحدةً ولا يزالُونَ مُخْتلفينَ (١١٨) إلاَّ مَن رَّحِمَ ربُّكَ ولذلكَ خلَقهُمْ ﴾ (٢) .

ثقافة متسامحة لأن حساب من ضل أو انحرف، إنما هو إلى الله يوم القيام، وليس إلى الناس اليوم، وفى هذا يقول الله لرسوله فى شأن المخالفين : ﴿ فلذلكَ فادْعُ واسْتقمْ كما أُمرتَ ولا تتَّبعْ أهْواءهُمْ وقُلْ آمنتُ بما أنزلَ اللَّهُ من كتابٍ وأُمرتُ لأعْدلَ بيْنكُمُ اللَّهُ ربُّنا وربُّكُمْ لنا أعْمالُنا ولكُمْ أعْمالُكُمْ لا حُجَّةَ بيننا وبيْنكُمُ اللَّهُ يجْمعُ بيْننا وإليْه الْمصيرُ ﴾ (٣) .

ولهذا وسعت الثقافة الإسلامية فى رحابها الفسيحة الأديان المختلفة ،

---

(١) د / يوسف القرضاوى : ثقافتنا بين الانفتاح والأنغلاق ص ٢٤ ، ٢٥ بتصرف

(٢) سورة هود : الآية رقم : ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) سورة الشورى : الآية رقم ١٥ .

والأجناس المختلفة ، والألوان المختلفة ، واللغات المختلفة ، ولم تضيق بدين ولا عرق ولا لون ولا لسان .

و ـ خصيصة التنوع

من الأمور التى يحتاج اليها الخطيب فى ثقافته الإسلامية العلم بخصيصة التنوع فثقافتنا ليست مجرد ثقافة دينية لاهوتية، كما يتصور البعض إنما هى ثقافة واسعة متنوعة فيها الدين بفروعه المتعددة واللغة والأدب والفلسفة، فيها مدرسة الرأى التى يمثلها فقه أبى حنيفة ، ومدرسة الأثر التى يمثلها فقه الإمام مالك ، فيها أصول الشافعى وكلام الأشعرى ورواية البخارى وتفسير الطبرى ، وأدب الجاحظ ، ومعجم الخليل، ونحو سيبويه ، وبلاغة عبد القاهر ، وطب ابن سينا ، وشعر المتنبى ، وبصريات ابن الهيثم، ورياضيات البيرونى . فيها ابن حنبل من العراق ، وابن تيمية من الشام ، وابن طفيل من الأندلس ، وابن أبى زيد من تونس ، وابن العربى من المغرب، وابن حجر من مصر، وابن الوزير من اليمن، والشيرازى من إيران ، والزمخشرى من خوارزم ، والدهلوى من الهند .

إن ثقافتنا متنوعة، والذى يجب أن نعول عليه فى التثقيف والتوعية وفى التعليم والتربية هى الثقافة المعتدله المعبرة عن رسالة الأمة وعن هويتها ومقوماتها وخصائصها الذاتية .

ز ـ خصيصة التوازن

تتميز ثقافة الخطيب الداعية بخصيصة التوازن التى تمثل المنهج الوسط للأمة الوسط بدون إفراط أو تفريط ، نجد هذا التوازن واضحاً بين العقل والوحى ، بين المادة والروح ، بين الحقوق والواجبات ، بين النص والإجتهاد ، بين استلهام الماضى والتطلع إلى المستقبل » (١) .

---

(١) الدكتور : يوسف القرضاوى : ثقافة داعية صـ ٨٨ .

٢ ـ الثقافة التاريخية :

لكى ينجح الخطيب فى دعوته فهو مطالب بالثقافة التاريخية «لأن التاريخ ذاكرة البشرية، وسجل أحداثها، وديوان عبرها والشاهد العدل لها أو عليها . »

والتاريخ يوسع آفاق الدارس ويطلعه على أحداث وأحوال الأمم وتاريخ الرجال ، وتقلبات الأيام بها وبهم .

وقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنة الله فى المجتمعات بلاجور ولا محاباة ، يقول الاستاذ عمر عبيد حسنة :

«فالتاريخ هو التجسيد العملى للعقيدة ، أو لعالم الأفكار، أو هو التجلى والاستجابة للقيم والأفكار لسائر الأنشطة الإنسانية ..وهو الذاكرة الجمعية المتراكمة للأمة، وسجل حركتها، ومرآة مستقبلها، أو هو المختبر الحقيقى للمبادئ والأفكار ومدى قابليتها للتطبيق ، ونصيبها منه ، وقدرتها على البناء الحضارى ابتداء ومعاودة النهوض الحضارى عندما تتعرض الأمم للإصابة أو السقوط لسبب أو لآخر .

والتاريخ ليس شيئاً منفصلاً من عالم الأفكار .. فالعقيدة هى روح التاريخ ومرتكز تدفقه منها تستمد القيم والموازين التى تقوم الفعل البشرى ، وتبين مواطن الإصابة ، وتحدد أسباب القصور ومواطن التقصير وتصوب مسيرة التاريخ وتحميها ، وتبين سبيل الخروج ومعاودة النهوض .

والتاريخ يمنح البصارة للأجيال فى حاضرها ومستقبلها ويختزل أعماراً فى عمر ، وتجارب فى تجربة ، وهو تراكم معرفى لأجيال فى جيل ، بحيث يقف على أكتاف من سبقوه فيبصر الماضى ويستشرف آفاق المستقبل .

والتاريخ يوقف الإنسان على قمة التجربة التاريخية، ويتحقق برصيدها، ويمكّن من استقراء قانون الحركة الاجتماعية واكتشافه ، ذلك القانون الذى ينتظم سير الأمم ويبيّن فاعلية السنن فى الأنفس والآفاق ويؤكد إطرادها ويبصر بكيفية التعامل معها، ويحذر من الغفلة عنها والعدول عن تسخيرها، .. وللتاريخ الدور الأساس فى تلمس وسائل النهوض الحضارى ، وتصويب المسيرة البشرية وتحقيق الوقاية .. لقد امتلكت أمة الوحى المخزون التاريخى العام والجذور الضاربة فى عمق الزمان والمكان ، وشكّل القصص القرآنى ، الذى يمثل تاريخ النبوات، ويبصر بتضاريس السقوط والنهوض، إن المساحة التعبيرية فى نصوص الوحى الكريم لأهل مهبط الوحى ومن ثم للمسلمين بشكل عام، ليتحركوا على بينة، ويستشرفوا الماضى بكل عبره، ليصلحوا الواقع ، ويبصروا المستقبل تماماً، ويعيدوا البناء وفق سنن الله، التى لاتحابى أحداً، وتكون عندهم القدرة على الانفتاح والإنتفاع بتجارب الآخرين،التاريخية منها والمعاصرة .

ان الله تعالى لم يرض للمسلمين أن يفهموا التاريخ بصورة مبسطة وإنما أمرهم بالسير فى الأرض والتوغل فى التاريخ العام والتزود بالقوانين الإجتماعية (١) . قال تعالى :﴿ فسيرُوا فِي الأَرْضِ فانظرُوا كيْف كان عاقبةُ الْمُكذِّبين (١٣٧) هذَا بيانٌ لِّلنَّاس وهُدًى ومَوْعِظةٌ لِّلْمُتَّقين ﴾ (٢) .

إن السيرة النبوية رغم أنها حلقة فى تاريخ الأمة المسلمة إلا أنها حلقة متميزة، لأنها تشكلت على عين الوحى وحركة المعصوم (ﷺ) وبيانه، من

---

(١) انظر : الاستاذ عمر عبيد حسنه : الوراثه الحضارية ص ٨٥ ، ٨٦ بتصرف .
(٢) سورة آل عمران آية ١٣٧ ، ١٣٨ .

خلال تأييد الوحى وتسديده، وغطت جميع المساحات التاريخية والإنسانية بما فى ذلك فترة الدعوة والمجتمع والدولة ، والسرية والعلنية، والضعف والقوة والتمكين والنصر، والهزيمة وبناء المجتمع والمواجهة والحوار

وخلاصة القول:إن التاريخ بيان، ومعرفة وعلم، واهتداء إلى السنن الفاعلة فى الحياة والأحياء وعبرة وموعظة بمن سبق من الأمم ووقاية حضارية من إصابات السقوط .

إن الخطيب لاينجح إلا إذا كان ملماً بهذا التاريخ بطوله وعرضه لأنه يشكل عبرة وعظة ويمثل الأسوة والقدوة وهو المعيار الحقيقى لتحويل الفكر إلى فعل أو العقيدة إلى عمل .

وبهذا تنطلق الأمة مرة ثانية لإيصال الرحمة للعالمين حيث لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها أو كما قال إمام دار الهجرة . الإمام مالك رحمه الله .

والخطيب يحتاج إلى التاريخ لعدة أمور :

١ ـ أنه يوسع آفاقه ويطلعه على أحوال الأمم ، وتاريخ الرجال وتقلبات الأيام ، فقد يرى الإنسان بعين بصيرته كيف تعمل سنن الله فى المجتمعات « بلا محاباة ولا جور ، كيف ترقى الأمم وتهبط؟ وكيف تقوم الدول وتسقط ؟ وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم ؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت ؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون ؟ وكيف تنام الشعوب وتصحو ؟ » (١) .

قال تعالى : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان

---

(١) انظر د / يوسف القرضاوى ثقافة الداعية ص ٨٨ .

يسمعون بها، انها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ (١) .

الخطيب الداعية إذا كانت أفكاره التاريخية رحبة استطاع أن يحذر قومه من الأمراض التى تؤدى بحياة أمته لأن الأمم بشكل عام كالأفراد تتنابها حالات الصحة والمرض والوفاة .. والأسباب التى تؤدى إلى مرض الأمم وتسوقها إلى آجالها تتمثل فى اقتراف أسباب المرض والهرم والإنتهاء، وأسباب المرض يمكن التدخل فيها إيجاباً وسلباً بشرط التمييز بين أسباب المرض وأعراضه ومراحلة ، فالأسباب مثلاً تكون فى الغالب فكرية أساسها مافى الأنفس من معتقدات وقيم وثقافات، أما الأعراض فتكون سياسية واقتصادية واجتماعية .. وأما المراحل فتكون سياسية. والخلط بين الأسباب، والأعراض، والمراحل، يسبب الاضطراب والإرتباك فى ميادين التربية والدعوة والمعالجة، فيشتغل المعالجون بالأعراض بدل الأسباب .. أو يخطئون ترتيب الأسباب والمراحل ، أو يخطئون فى استعمال وسائل العلاج وطرائقه » (٢) .

والخطيب الفقيه هو وحده القادر على عملية التنبيه والتحذير حتى لايتضاعف المرض ويصل بالأمة أو المجتمع إلى الهرم والشيخوخة وهو وحده القادر على دحر فقه النزعات القومية التى تؤل آيات الكتاب وتحرفها عن مواضعها لتبرير بعض النظريات المرفوضة عقلاً وطبعاً فى الشرع والتى تحقق سنن الله فى الغضب كما قال تعالى : ﴿ فلما زاغوا أزاغ اللهُ قُلُوبهُمْ﴾ (٣) .

---

(١) سورة يوسف .

(٢) انظر: د/ ماجد غسان الكيلانى:إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها ص ١١١، ١١٢ بتصرف .

(٣) سورة الصف آية رقم ٥ .

٢ ـ إن التاريخ هو أصدق شاهد على مايدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم. فهو مرآة مصقوله تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لنعمة الله وعقوبة الكافرين بها ، ولهذا عنى القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين لما فيها من عبر بليغة وعظات حية.

قال تعالى :﴿ وكمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (١) .

وكما قال سبحانه : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) .

ولذلك يركز الخطيب على أن التمكين لن يكون فى الأرض للكافرين كما قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ (٣) لأن الله لن يقبل من الأعمال إلا ما كان متوافقاً مع سننه وشرعة :قال تعالى :﴿ أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ماعملوا ﴾ (٤).

٣ ـ أن التاريخ كثيراً مايعين على فهم الواقع الماثل ، ولاسيما إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع ، وهذا ما جعل العرب قديماً يقولون ما أشبه الليلة بالبارحة ، وجعل الغربيين يقولون التاريخ يعيد نفسه . بل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى حين أشار إلى وحدة التصرفات أو تشابه

---

(١) سورة ق : ٣٧ .
(٢) سورة النمل ٥٢ .
(٣) سورة الأعراف : ١٣٧ .
(٤) سورة النحل

الأقوال عند تشابه البواعث » (١) وذلك في مثل قوله عن المشركين وطلبهم الآيات الكونية من رسول الله كقولهم : ﴿ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ﴾ (٢) . ﴿ قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٣) وكقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٤) أي أنهم اتحدوا في الإستكبار والطغيان فاتحد ماصدر عنهم من زور وبهتان .

إن فهم الخطيب للتاريخ يعينه على فهم واقع الأحداث فبعض القضايا الحاضرة لها جذورها التاريخية البعيدة الأدوار فمن لم يعرف أغوار ماضيها لن يدرك أسرار حاضرها. فالصدام بين الإسلام والمسيحية في هذا العصر لايعرف حق المعرفة إلا إذا ألم الانسان بدوافع صراع الحروب الصليبية ، وما صحبها من دمار وما خلفته من آثار ، بل لايعرف إلا من بداية الصراع منذ موقعة اليرموك وفتوحات الشام ومصر وأفريقية في عهد الراشدين . بل منذ معركة مؤته وغزوة بقول في عهد الرسول (ﷺ) .

بل إن الواقع التاريخي يساعد الخطيب الداعية على فهم فقه الأحكام الشرعية المحكومة بالواقع لأن « المسلم لايتحرك في فراغ وإنما في واقع . وهذا الواقع غالباً مايكون مليئاً بالعقبات . وبعضها قد لايقهر . ومن هنا يصبح التكيف معه أمراً ضرورياً بل قد يكون مفروضاً أحياناً. فيقدم ما يتطلبه الظرف ويؤخر مالا حاجة إليه .. فقد ترك النبي (ﷺ) إعادة بناء

---

(١) د / يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ص ٨٩ .

(٢) سورة البقرة آية ١١٨ .

(٣) سورة البقرة آية ١١٨

(٤) سورة الذاريات آية ٥٢ .

الكعبة على قواعد ابراهيم ، مخافة إثارةٌ فتنة عند قوم حديثى عهد بكفر لم يتمكن الإسلام من نفوسهم . كما امتنع عن قتل المنافقين تفادياً للإساءة التى يمكن أن تلحق بالإسلام .

والذى نريد أن نقوله أن العمل الإسلامى اليوم يواجه واقعاً غير إسلامى فى كثير من جوانبه . بل رافضاً ومحارباً له أحياناً، مما يحتم على الخطباء والدعاة إلى الله العمل بحكمة وبصيرة وبخطوات ثابتة ورزينة، فلكل عصر طوارئ ومستجدات ومشاكل خاصة تقتضى إعادة النظر فى الاجتهاد والتخطيط » (١) .

تحذيرات الخطباء فى المجال التاريخى

يجب على الخطيب الداعية الذى يطالع التاريخ أن ينتبه إلى عدة أمور

أ ـ ألا يجعل أكبر همه الإلمام بجزئيات التاريخ وتفصيلاته فهذا أمر كبير لايمكن حصره ، ولو أمكن فالفائدة قليلة .

ب ـ أن يكون ذا وعى يقظ للوقائع التاريخية التى تخدم موضوعة ، وتعمق فكرته، وتقدم لها الشواهد الحية وخاصة ماجاءت فى القرآن الكريم . أو مالها ارتباط بالحديث أو بعصر الراشدين أو بالقرون الأولى أو بفقه الأحكام التى ترتبط بالواقع (٢) .

فللظروف دور أساس فى تحديد الأولويات وهذا لايتحقق إلا بالمعرفة الدقيقة للبيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يعيش فيها الخطيب الداعية .

---

(١) انظر : الاستاذ محمد الوكيلى : فقه الأولويات . داسة فى الضوابط ص ١٧٥ ، ١٧٦ بتصرف

(٢) د / يوسف القرضاوى : ثقافة الداعية ص ٩٠ .

جـ - أن يعنى الخطيب بسير الرجال ، ومواقف الأبطال وبخاصة العلماء والدعاة ، التى تبرز الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة والشخصية المسلمة السوية ، كما نلمس ذلك فى كتب الطبقات والتراجم والسير ، حيث بذل علماؤنا جهداً مباركاً فى إخراج مؤلفات نفيسة مثل طبقات ابن سعد وطبقات الحنفية والشافعية والأطباء والحكماء ، والنحاة ، وغيرهم .

د - أن يكون محور التاريخ هو الإسلام نفسه ، دعوة ورسالة ، وأثره فى تربية الأجيال وتكوين الأمة المسلمة وإقامة الدولة الإسلامية، وبناء الحضارة.

كما يجب على الخطيب أن يظهر الجاهلية العالمية والعربية التى كان يتردى فيها العالم عامة والعرب خاصة على حقيقتها بلا إفراط أو تفريط . ذلك أن دعاة التغريب والإستشراق والتنصير يريدون أن يلبسوا هذه الجاهلية حسنة ، مضخمين لما كان فيها من حسنات ، متغاضين عما عجت به من مسالب .

وقد طرب لذلك القوميون الذين حرصوا على عرض الجاهلية العربية مبرأة من كل عيب ، بل جعلوا الجاهليات القديمة هى أساس الأسوة والقدوة فنادوا بالجاهلية الفرعونية ، والجاهلية الآشورية ، والبابلية ، والطورانية ، وغير ذلك من جاهليات حكم عليها التاريخ بالتأخر والتخلف فى كل مناحى حياتها .

ج ـ الثقافة الواقعية :

من أهم مايلزم الخطيب الداعية التسلح بالثقافة الواقعية ، وهى المستمدة من واقع الحياة الحاضرة، وما يدور فى داخل العالم الإسلامى وفى خارجه، وما يقوم عليه من نظم ، وما يسوده من مذاهب وما يحركه من عوامل وما يجرى فيه من تيارات وما يعانيه من متاعب. وبخاصة العالم الإسلامى بآلامه وآماله وأفراحه ومآسيه، ومصادر قوته وعوامل ضعفه (١) .

وقبل ذلك بلده الصغير ، وبيئته المحلية ، وما يسودها من أوضاع وتقاليد. وما تقاسيه من صراعات ومشكلات وما يشغل أهلها من قضايا وأفكار .

ومن هنا وجب على الخطيب أن يدرس :

١ ـ واقع العالم الإسلامى، وذلك بمعرفة أوضاعه الجغرافية والاقتصادية والسياسية، وتوزيع سكانه وأسباب تخلفه وتفرقه، وعوامل تقدمه ووحدته. وإمكانات تكامله اقتصادياً، وتضامنه سياسياً وعسكرياً فضلاً عن تقاربه اجتماعياً وثقافياً . ولابد من معرفة مشكلات الأقليات والأكثريات المسلمة المضطهدة ـ كما يجب على الخطيب أن يدرس واقع القوى العالمية المعادية للإسلام وإمكاناتها المادية والبشرية والعلمية

٢ ـ على الخطيب أن يدرس الأديان والمذاهب السياسية المعاصرة المعادية للإسلام ليرد عليهم من واقع مايعتقدوه حتى يكفوا ألسنتهم عن التجريح والطعن لعقيدة الإسلام وشريعته .

٣ ـ على الخطيب أن يدرس الحركات الإسلامية المعاصرة ، وطرق

---

(١) انظر : ثقافة الداعية صـ ١١٩ .

التقارب والتنسيق فيما بينها للعمل على ما اتفقوا عليه وعذر بعضهم بعضا فيما اختلفوا عليه .

٤ - أن يكون دارساً للفرق المشتقة والمنشقة على الإسلام وأبرزها انشقاقاً فرقة البهائية والقديانية وإخوان الصفا وعبدة الشيطان .

٥ - ومن ثم فعلى الخطيب أن يدرس الغزو الفكرى الذى « يقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالى أو المشرق الماركس ، سواء تمثلت فى نظريات فلسفية أو إجتماعية، أو اقتصادية أو تربوية أو سياسية أو دينية أو دراسات استشراقية أو غير ذلك من نظريات وتيارات تتصل تجعل الدراسات الإنسانية .خاصة أن بعض هذه التيارات الفكرية قد وجد لنفسه مرتعا خصبا وفرصة مواتية لدى بعض النفوس المقلدة للغرب فى كل شئ من أبناء المسلمين تحت تأثير مركبات النقص، وعقد التخلف التى تعانى منها . . كما لايجوز اغفال الدور الذى تقوم به بعض وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى فى نقل الكثير من هذه التيارات الفكرية الهدامة سواء كان ذلك عن علم ودراية أم عن جهل وغفلة .. (١) .

- أمثلة لأهمية دراسة التيارات الفكرية :-

نجاح الخطيب مرتبط فى الأغلب الأعم على قدرته لفهم التيارات الفكرية المعاصرة والتى تعمل جاهدة على السقوط المريع للفكر الإسلامى لتحقيق الإستلاب الحضارى للأمة من خلال أسلحته الفكرية والثقافية والعلمية .

لذلك نرى أن الخطيب الداعية مطالب بإعادة تشكيل الشخصية المسلمة ، وترميم عالم الأفكار ، وهذا لايتحقق إلا بفهمه لما يلى : -

---

(١) الدكتور : محمود حمدى زقزوق : هموم الأمة الاسلامية صـ ١٧٧ .

أولا - لدور المستشرقين : الذين يعتبرون المصنع الفكرى للتنصير والإستعمار يقول الأستاذ عمر عبيد حسنه :«لاشك أن الاستشراق كان ولايزال يشكل الجذور الحقيقية، التى تقدم المدد للتنصير والاستعمار، والعمالة الثقافية، ويغذى عملية الصراع الفكرى ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامى واخضاع شعوبة، فالإستشراق هو المنجم والمصنع الفكرى الذى يمد المنصرين والمستعمرين، وأدوات الغزو الفكرى، بالمواد التى يسوقونها فى العالم الإسلامى، لتحطيم عقيدته وتخريب عالم أفكاره ، والقضاء على شخصيته الحضارية » (١) .

فالمستشرقون يخدمون أفكارهم التى وضعوها لأنفسهم بإخلاص تام وتفان إلى أقصى حد ، فعندما أراد المستشرق الهولندى :« سنوك هور جوورنيه » أن يكتب كتاباً عن مكة لم يثنه عزمه لدراسة مكة على الطبيعة ، وهو مسيحى لايجوز له أن يدخل مكة ، فماذا يفعل ؟ فانتحل لنفسه اسماً إسلامياً هو « عبد الغفار » ودخل مكة عام ١٨٨٤م وأقام فيها مدة خمسة أشهر ، وكان يجيد العربية كأحد أبنائها . وبعد هذه الرحلة كتب عن مكة كتابين ، أولها إلى مكة . ، وثانيها : مكة وجغرافيتها فى القرن التاسع عشر - فى جزءين - وصف فيه مكة وصفاً دقيقاً شاملاً مع خرائط عديدة » (٢) .

إن المستشرقين بصفة عامة لديهم صبر فى البحث والدرس والإحاطة فيما يتعلق بالمسلمين لتقويض المسلمين وطعنهم فى مقتل ، هذا فى القديم ،

---

(١) أ / عمر عبيد حسن : بعض المراجعات فى الفكر والدعوة والحركة . ص ٣٦ .

(٢) انظر د / محمود حمدى زقزوق هموم الأمة الاسلامية ص ١٥٥

أما مع المبتكرات العلمية الحديثة فقد تطور الاستشراق حيث تمكن من الإطلاع والرصد لما يجرى فى عالم الإسلام يومياً .

ففى القارة الأمريكية وحدها حوالى عشرة آلاف مركز للبحوث والدراسات ، القسم الكبير منها متخصص بشؤون العالم الإسلامى وظيفة هذه المراكز : تتبع رصد كل ما يجرى فى العالم ، ومن ثَّم دراسته وتحليله، مقارناً مع أصوله التراثية والتاريخية ، ومنابعه العقائدية ، ثم مناقشة ذلك مع صانعى القرار، لتبنى على أساسه الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية وتحدد وسائل التنفيذ » (١) .

يقول الدكتور محمود حمدى زقزوق : « هناك ترابط بين جماعات المستشرقين فى مختلف البلدان وتنسيق مستمر وتعاون وتكامل فى مجالات الدراسات العربية والإسلامية. فقنوات الاتصال بينهم قائمة ومستمرة عن طريق المؤتمرات المنتظمة والدوريات والحوليات والمجلات والنشرات المطبوعة المختلفة .. والتوفر على موضوع معين من الدراسات العربية والإسلامية وقضاء العمر كله فى البحث والأستقصاء لاستيفاء شتى جوانبه .» (٢) .

إن هذا كله يوجب على الخطيب الداعية أن يفهم علم الاستشراق وأساليبه ووسائله وأهدافه وغاياته، «فقد عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب محاسنه لإقناع قومهم بعدم صلاحيته لهم كنظام حياة» (٣) بل إنهم استطاعوا استلاب شهادة تزكية من المسلمين بطريقة ماكرة

---

(١) انظر : عمر عبيد حسن : مراجعات فى الفكر والدعوة والحركة ، ص ٣٦ .
(٢) انظر : هموم الأمة الاسلامية . د / محمود حمدى زقزوق ، ص ١٥٦ .
(٣) انظر : د / على جريشه : أساليب الغزو الفكرى ، ص ٢١ .

خبيثة « فالدارس المدقق سيكتشف هول الصدمة التى تواجهه عندما يغرق فى بحور الإطراء والمديح الذى يغدقه المستشرقون على ماضى الإسلام وحضارته وبناء أسسه الأولى . اذ اعتمد بعضهم على منهج « البناء والهدم» ومنهج البناء هذا يغرق القارئ فى بحور الاطراء والمديح الذى يكيله بعض المستشرقين للحضارة الإسلامية. فى جانب صغير من جوانبها - حتى يشعر القارئ أن المستشرق الذى امتدح ذلك الجانب إنما انطلق عن حب ونزاهة وموضوعية .

إن هذا ليس إلا مظهراً خادعاً لما يريد الوصول إليه .. ذلك أن القضية لاتستمر على مثل هذا النسق من التحليل والاطراء. لأن مابناه لن يستمر طويلاً ، لأنه سيتبعه بمنهج الهدم وهو المنهج الذى يختلق فيه المعايير لأظهار العيوب والنقائص والمثالب » (١) .

وقد اهتم المستشرقون بمحاولة التشكيل الثقافى للأمة المسلمة فى ضوء رؤية معينة وخطة مدروسة أصبحت اليوم تعلن بين الحين والحين، وتفرض على الدول الإسلامية فى أحيان كثيرة والتى منها ما يعرف بمصطلح تجديد الخطاب الدينى والذى لا يقصدون منه إعادة الخطاب إلى أصالته ومعايشته للمعاصرة ولهذا فعلى الدعاة دور كبير فى تصحيح هذه الرؤية.

ثانيا :دور المنصرين :الخطيب الداعية مطالب بفهم الدور الخطير للمنصرين الذى يقوم على تأصيل عداوته للمسلمين. يقول القس المبشر زويمر:«إن جزيرة العرب التى هى مهد الإسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية»

---

(١) انظر . أ / مصطفى نصر المسلاتى : الاستشراق السياسى ، ص ٤٢ .

ويقول وليم جيفورد: «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حين إذن أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»، ولهذا ركزت مراكز التبشير والتنصير على تنصير المسلمين وتخريب ضمائر المسلمين وزعزعة عقائدهم بوسائل وأساليب كثيرة، وركزوا أعمالهم في الفلبين ولبنان والحبشة ونيجيريا والسودان وتشاد وبلغاريا وتايلاند وأندونيسيا وأفغانستان ودول الخليج العربي والعراق فقضية التنصير من أخطر القضايا التي تتعرض لها الأمة حيث يعمل فيها جيش كبير من المنصرين والمستشرقين، والخطيب الناجح هو الذي يكون له دراية بمثل هذه القضايا التي تتعرض لها الأمة لكي يستطيع أن يرد على الذين يتهمون الإسلام بأنه يفرض نفسه على الناس بحد السيف وأن المسلمين لايفهمون الأديان كما قال المبشر الأمريكي «هنرجيب»: «المسلمون لايفهمون الأديان ولا يقدرونها قدرها... إنهم لصوص وقتلة ومتأخرون ، وأن التبشير سيعمل على تمدينهم » (١) . هكذا يزعمون.

ولهذا انطلقوا يعملون على تنصير المسلمين في كل مكان ففي بنجلادش ذكرت صحيفة « سان جياد » التي تصدر في دكا أن حوالي مليون مسلم قد إرتدوا عن الإسلام واعتنقوا دين المنصرين ونسبت إلى محمد عبد السبحان المدير العام للمؤسسة الإسلامية التابعة للدولة قوله : أن الفقر المدقع والأمية وانعدام الرعاية الطبية تمثل بعض أسباب هذا التحول، وأشار إلى أن بعض مسلمي المناطق الفقيرة يغيرون عقيدتهم بسبب وجود منشآت أفضل للتعليم والرعاية الطبية تتولى توفيرها نحو ٤٠٠ بعثة تنصيرية .

---

(١) انظر : جريدة الوطن القطرية مقال الدكتور محمد شعيب بتاريخ ١٢ / ٤ / ٢٠٠٠ .

وفى بلغاريا نقلت صحيفة « تايم » أن بلغاريا أجبرت ٩٠٠٠٠٠ نسمة على تغيير أسمائهم ، أما فى أندونسيا المسلمة التى تبلغ نسبة المسلمين تسعين فى المائة والباقى خليط من النصارى، والمتنصرين والبوذين والهنادكة فإن حملات التنصير تعمل فيها بلا هوادة حيث أنهم قرروا أن ينتهوا من تنصير المسلمين فى أندونسيا كلها خلال خمسين سنة، وهذا القرار اتخذوه فى مؤتمر لانج سنه ١٩٦٧م أى يجب أن ينتهوا من تنصير المسلمين فى اندونسيا سنه ٢٠١٧م .

ولذلك قام ببناء ٩٨١٩ كنيسة برونستانتنية ، و ٧٥٠ كنيسة كاثوليكية ، و ٣٨٩٧ قسيساً بروتستانتياً و٢٦٣٠ قسيساً كاثوليكياً و ١٢٨٩٧ قسيساً متفرعاً، و ١٧٠٠٠ قلعة عسكرية كنسية ، هذا بخلاف وسائل الإعلام ودور النشر والمعاهد والمدارس والجامعات والمستشفيات حتى وصل عدد المتنصرين من أبناء المسلمين أكثر من خمسة عشرة مليوناً.

فأين نحن من هذا الجيش العرمرم وفى الفلبين أربعة ملايين وثمانون ألف مسلم يتعرضون لعمليات التنصير أو الذبح ... وفى بولاندا كان عدد المسلمين مليونا وسبعمائة ألف مسلم تناقص هذا العدد إلى ثلاث مائة ألف وبعض المصادر الإسلامية تقدر أن عدد المسلمين أصبح مائة ألف على الأكثر . وفى أثيوبيا يتعرض المسلمون لأبشع صور التنفير بالرغم من أن عدد المسلمين نحو تسع وعشرين مليون مسلم حسب تعداد ألف وتسعمائه وسبعة وسبعين وهم يشكلون نحو ٥٥ ٪ فى المائة من عدد السكان بينما يشكل المسيحيون ٣٥ فى المائة والوثنيون عشر ١٠ فى المائة هذا حسب تعداد المصادر الإسلامية، أما المصادر الغربية فتقدر نسبة المسيحين ٤٨ ٪

والمسلمين ٤٥ ٪ وأياً كانت النسبة فيها فإن المسلمين يتعرضون لحملات تنصيرية شديدة منذ الإمبراطور الجبشى السابق «هيلاسيلاس» الذى قال : «إن الحبشة جزيرة مسيحية فى وسط محيط إسلامى » وعندما زار أمريكا فى سنوات حكمه قال عندما سئل عن المسلمين : « نعم توجد هناك أقلية فى الجنوب فى إقليم هرر اعتنقت الإسلام بتأثير الأجانب وقد وضعنا لها برامج منذ إثنى عشر عاماً ، فلن يمضى وقت طويل إلا وقد عادت هذه الأقلية المسلمة إلى حظيرة أبنائها .

أما فى نيجيريا أكبر دولة مسلمة فى إفريقية حيث يبلغ عدد سكانها ١٣٠ مليون نسمة يمثل المسلمين ٨٥ ٪ منهم ، ومع هذا فقد ذهب إليها المنصرون من كل حذب بمساعدة الفاتكان التى تسعى لتنصير العالم عامة وإفريقية خاصة ومن ثم ذهب إليها البابا مرتان وفى كل مرة يكون معه جيش من المنتصرين،الأولى سنه ١٩٨٢م والثانية عام ١٩٩٨م وتفيد المصادر أن المنصرين يركزون أعمالهم التنصيرية على قبائل الهوسا التى تمثل القاعدة الإجتماعية والجغرافية القوية للإسلام فى نيجريا .

وفى الجزائر ركز المنصرون الفرنسيون أعمالهم فيها ، وأوقعوا بينهم الفتنة ، وأحدثوا الشغب والقسوة والتسلط يقول المبشر الفرنسى « الفولى دولا مارتين » ج : « إن هذا البلد منتم إلى فرنسا .. والإسلام قد افتقده . إن الجزائر تحت سلطة مسيحية وليست مسلمة ولهذا خاطب المبشر « لا فيجرى » الأميرال « جيدون » حاكم الجزائر قائلاً : « إننى أؤكد لكم أنكم بالعمل على تقريب الأهالى إلينا لتعليم الأطفال وتنشئتهم على الطريقة المسيحية يقومون بخدمة فرنسا لقد إنطلق المنصرون يعملون أعمالهم فى

فرنسا وقت احتلال فرنسا لها بإنشاء الكنائس والمدارس والجامعات وبكل الأساليب التنصيرية ولم يخرجوا منها إلا بعد أن وضعوا فيها ما يقوض أركانها لأكثر من مائتى عام .

هذا بخلاف حملات التنصير الموجودة بكثرة فى دول الخليج ففى سلطنة عمان توجد أكبر جامعة تنصيرية لاهوتية فى الشرق الأوسط لتنصير من يريد التنصير من المسلمين وتعليم باقى المسلمين كيف يقومون هم بدور المنصرين فى التشكيك فى دينهم باسم الحرية ، وقد قام بافتتاح هذه الجامعة عدد كبير من رؤساء الدول الأوربية عام سنه ١٩٩٩ وكان على رأسهم الرئيس الأمريكى السابق ، وصاحب الباع الطويل فى عمليه التنصير «جيمى كارتر» ثم هذا فى دوله عربية هم يقولون . لم يكن مسموحا فيها لأى من الغرباء بالدخول حتى عام ١٩٧٠يقول المبشر «جون بوتين» سكرتير التجمع العالمى للمبشرين فى نيويورك عن سلطنه عمان :« لقد استطاع الجهد التبشيرى أن يخترق الواقع الثقافى بأكثر مما كان منا حاله ... فالمبشرون مدوا خدماتهم من العاصمه مسقط وضواحها حتى وصلوا إلى منطقتى مطرح وروى وبلدتى صور وتنام ..استطاعوا أن يشكلوا خلايا للمسيحين المؤمنين .. يحدث هذا فى بعثه لم يكن مسموحا فيها لأى من الغرباء بالدخول حتى سنه ١٩٧٠ م .

هذا بخلاف المؤسسات الموجودة فى الأمارات العربية والبحرين والكويت أما فى العراق الجريح فالأمر لم يتضح بعد وإن كانت لنتائج تؤكد أن إستعمار العراق لم يكن إلا مقدمة لتنصير الجزيرة العربية حسب الخطة الأمريكية البريطانية .

ثالثا : دور العلمانيين : فالعلمانية حركة تخريبية فى داخل العالم الإسلامى تعمل على إستبعاد الدين الإسلامى من توجيه شئون الحياة الدنيا فى السياسة والإقتصاد والعلم والأخلاق والتربية .

لأن العلمانى هو الذى ينبذ الدين أو هو الذى لايؤمن بالدين أو يؤمن به فى دائرة وجدانية ضيقة يوضح ذلك الدكتور يحيى هاشم فرغل بقوله : « العلمانى يعنى الدنيوى أو اللادينى ... » .

والعلمانية تعنى فصل كل ما هو دينى عن كل ماهو دنيوى. ويرى « لويس ورث » :أن العلمانى هو الذى ينبذ الإيمان المطلق، ويعبر عنه بالنظرة العلمانية للإنسان الحديث .

أما العلمانية فهى :رؤية للحياة أو أى أمر محدد يعتمد أساساً على أنه يجب إستعباد الدين »(١) .

والعلمانيون يروجون لها فى البلاد الإسلامية بمجموعة من الخرافات منها: أنها سر التقدم فى أوربا وأنها الأسلوب الوحيد لتحرير العلم من الدين . وأن المنهج الاسلامى الذى يحكم الحياة أثبت فشله فى التطبيق وأنها ـ العلمانية ـ لا تتعارض مع الإسلام .

فعلى الخطيب أن يفهم وسائل وأهداف وغايات العلمانين فى داخل العالم الإسلامى حيث يستهدفون بأقوالهم ومؤلفاتهم، وأعمالهم، ومؤتمراتهم الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً كما يعملون على دس الأكاذيب والأباطيل على الاسلام لطرده من ميادين الحياة المختلفة ، ولطوى تقاليده الإجتماعية

---

(١) إنظر حقيقة العلمانية بين الخرافة والتخريب الدكتور يحيى هاشم صـ ٧ ، ٨ .

والأدبية والإقتصادية، وإشعال الفتن والخلافات ، وإحياء العداوات والبغضاء والدعوات الهدامة بين المسلمين جميعاً .

لقد ركز الغرب على محاربة الإسلام من خلال دعاة التغريب والغزو الثقافى أولئك القوم الذين يعملون كما يقول شيخنا الفاضل :محمد الغزال : « على خلق جيل زاهد فى الانتماء لدينه غير متحمس له ، ولا حريص عليه، يهاب الأديان الأخرى ، ولا يهاب الطعن فى عقيدته ؛ ويفضل لألسنة الأخرى ويستهين بلغتيه ويبجل زعماء العالم قديماً وحديثاً، أما علماء الإسلام فليسوا أهلاً لاكتراثه ، وربما نال منهم وأزرى عليهم » (١) .

بل إنهم لم يقفوا عند هذا الحد بلْ تطاولوا على الإسلام بكل مكوناته العقائدية والتشريعية والأخلاقية ، ومن ثم أصبح على الخطيب الداعية أن تكون لديه القدرة الخطابية والعلمية على تفنيد مزاعم العلمانيين .

---

(١) إنظر فضيله الشيخ محمد الغزالى .

الفصل التاسع

الفصل التاسع :

نماذج من الخطب الإسلامية في صدر الإسلام

تمهيد : كان العرب أهل جاهلية وشرك ، يعبدون الأصنام، ويأكلون الميتة، ويأتون الفواحش . ويقطعون الأرحام ، ويسيئون الجوار ، ويأكل القوى منهم الضعيف ، فلما جاء الإسلام بنوره وهدايته أبطل عبادة الطاغوت والأوثان والأصنام ، واتخاذ الأنداد من دون الله . وحرم الفواحش ماظهر منها وما بطن ، والإثم والبغى بغير الحق ، وحرم الشرك بكل صوره ومظاهره ، ومنع المنكر والخمر والميسر وأكل مال اليتيم وأخذ الربا، وقذف المحصنات، وأمر بعبادة الله وحده لاشريك له، وبر الوالدين ، وأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذوى القربى ....

وحتى يتفاعل الناس مع الدعوة الإسلامية، فكان لهذه الدعوة أن تستخدم كافة وسائل الإقناع والتأثير ، والخطابة هى أبرز وأهم الوسائل الدعوية .

ولهذا كان للخطابة فى الإسلام شأن عظيم فى بث عقائده وتشريعاته وقيمه وأخلاقياته وزاد الأمر بها بعد أن شرعها الإسلام ، وجعلها شعيرة من شعائره . خاصة أن الخطابة وجدت فى البيئة الاسلامية عوامل رقى وأسباب تقدم ونمو . إذ استدعت العقيدة نقاشا وجدلاً يصحبها اضطهاد وتنكيل . فلا يقال قول حتى يعارضه رأى آخر بنوع من التنازع ، وزاد من رقيها أن الإسلام شرع حرية الكلمة ، وحرية ابداء الرأى وأمر بالشورى .

وكانت خطب النبى (ﷺ) مليئة بالموضوعات والخصائص والسمات

نماذج من الخطب النبوية :

أرسل الله رسـوله ﷺ بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلمة الحكمة وفصل الخطاب ، فكان أفصح الخلق لسانا ، وأبينهم بيانا ، وأوضحهم عبارة وأفوّاهم حجة ، كلامه أقل الكلام حروفا ، وأكثره معنى ، جُلَّ عن الصنعة ، ونُزِّة عن التكليف . المطلع على خطبه (ﷺ) يلمس هذا فى كل خطبه .

١ ـ فى أول خطبة دعابها قومه بمكةً قال :« إن الرائد لايكذب أهله، والله، لو كذبت الناس، جميعا ماكذبتكم. ولو غررت الناس جميع، ماغررتكم . والله الذى لا إله إلا هو ، إنى لرسول الله إليكم ، خاصة وإلى الناس كافة . والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعلمون، ولتجزون بالإحسان إحسانا ، وبالسوء سوءا ، وإنها لجنَّة أبدا، أو لنار أبدا »(١) .

مضمون هذه الخطبة :ـ

الناظر فى هذه الخطبة يجد أنها تضمنت عدة أمور منها :

١ ـ تأكيد دعوته ﷺ . بأن الرائد لايكذب ـ أيًا كان ـ لايكذب وهو نفسه معروف بالصدق والأمانة ، فقد اجتمع له مايزيد صدقه تاكيدا ، ثم أكد .

ثانيا : بأنه لو جاز أن يكذب فإنه لايجوز له أن يكذب عليهم ، لأنهم أهله وعشيرته .

---

(١) انظر السيره الحلبية جـ ١ ص ٢٧٢ ، والكامل لابن الاثير جـ ٢ ص ٢٧ .

٢ ـ عرض حقائق دعوته ﷺ بوضوح كامل .

٣ ـ تأكيد القول من خلال القسم وتكرير معنى المقطع الأول .

٤ ـ بيان الرؤى الفكرية الصادقة لدعوته ﷺ .

٥ ـ الإستدلال على عدة عقائد يقينية هى : الموت ، البعث بعد الموت ، الحساب ، الجنة والنار .

٦ ـ استعمال الصورة التصويرية التمثيلية بأمرين مماثلين لهما ، فقد مثل الموت بالنوم . ومثل البعث بعد الموت بالإيقاظ من النوم . وهذا مايسمى بقياس الغائب على المشاهد فى الأسلوب الخطابى .

٢ ـ **أنموذج آخر** فى خطبة أخرى للرسول ﷺ يقول : « إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . إن أحسن الهدى كتاب الله ، قد أفلح من زيّنه الله فى قلبه وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره على ماسواه من أحاديث الناس .. إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا من أحب الله ، أحبوا الله من قلوبكم ، ولاتملّوا كلام الله وذكره ... فاعبدوا الله ولاتشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، وأصدقوا الله تعالى صالح ماتقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (١) .

---

(١) انظر مسند الامام أحمد جـ ١ ص ٢٠٢ ، وانظر صبح الأعشى جـ ١ صـ ٢٩٣

تأملات فى هذه الخطبة : الناظر فى هذه الخطبة يجد أنها تضمنت الأمور الآتية : ـ

١ ـ أنها بدأت بالحمد لله والثناء عليه، وقد كانت هذه عادته ﷺ فى كل خطبه . حتى فى خطب العيد والإستسقاء والخسوف والكسوف.

٢ ـ استخدامه ﷺ لأسلوبى الترغيب والترهيب فى الدعوة إلى الله تعالى، نلحظ هذا فى قوله ﷺ: «إن أحسن الهدى كتاب الله » « إنه أحسن الحديث وأبلغه » « واتقوه حق تقاته» «تحابوا بروح الله بينكم » « أحبوا من أحب الله » فهذا أسلوب ترغيبى . ونلحظه أيضاً فى هذه التعبيرات :لاتملوا كلام الله وذكره، إن الله يغضب أن ينكث عهده . وهذا أسلوب ترهيبى وهكذا اعتمد الرسول ﷺ الأسلوبين، وقد بينًا سابقا أن أسلوب الترغيب والترهيب من مكونات الخطاب الدعوى .

٣ ـ أنه ﷺ أكد على أن القرآن الكريم هو أحسن الهدى، وأحسن الحديث وأبلغه، ومن ثم فهو المقوم الأول للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً . وهو الذى يشفى علل الناس ويصلح بالهم، ويدحض نزعات الإلحاد ويحبط كيد الشيطان .

٤ ـ أنـــه ﷺ استعمل لفظتى « زينه»، «اختاره»، والتزيين والإختيار مدارهما الإدراك أو التصديق القلبى والإدراك العقلى، وهو بهذا استعمل أسلوبى الإستعمالة العقلية والوجدانية .

٣ ـ خطبة أخرى له ﷺ :

« أيها الناس : إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم ، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم .إن المسلم بين مخافتين :بين أجل قد مضى لايدرى ما الله فاعل

فيه وأجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت . فو الذى نفس محمد بيده مابعد الموت من مستعتب . وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار » (١) .

المتأمل فى هذه الخطبة يجد أنه (ﷺ) يلفت أنظار أمته إلى سرعة انقضاء الزمن، وسرعه اغتنام الفرص حتى لاتصاب الأمة بالعطل، ولكن تجنب نفسها آفات الفراغ « فالساعة الواحدة يقرأ فيها من القرآن الكريم ماتنزّل الوحى به فى بضع سنين. ويقرأ فيها من حديث رسول الله (ﷺ) ماتردد على الآذان فى مثل هذا الطويل » (٢) فهذه الخطبة تدفع المستمع لها إلى سرعة التزود من العمل النافع الصالح الذى يصلح دنياه وأخراه .

٤ ـ **خطبة أخرى له (ﷺ)** :

« أيها الناس :كأن الموت على غيرنا قد كتب ، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب ، وكأن الذى نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، ونسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة ، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس . طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية ، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله ، ووسعته السنة ، ولم تستهوه البدعة » (٣) .

---

(١) تفسير لقرطبى جـ ١٨ صـ ١١٦ .

(٢) أنظر : فضيلة الاستاذ / محمد الغزالى : مع الله صـ ٣١٦ .

(٣) راجع : صبحى الأعشى جـ صـ ٢١٣ .

تأملات في هذه الخطبة :

١ - المتأمل في هذه الخطبة الشريفة يجد أنها تفوح بالحكمة فقد ذكَّر (ﷺ) أصحابه بالموت ، فالموت باعث على التوبة والعمل الصالح ، والإنسان العاقل هو الذي ينظر . كم شيع من الأقارب والأحباب، وكم دفن من الزملاء والأصحاب، ويستحضر صور هؤلاء وكيف كانوا في الحياة آمنين، ثم فجأهم الموت ، ويتذكر كيف كان إقبال الواحد منهم على الدنيا ، وحرصه عليها ، ومزاحمته فيها ، والإستمتاع بملذاتها ، وكيف كان نشاطه وسعيه ، وأمله في العيش والبقاء ، ونسيانه للموت والآخرة حتى جاءه الموت على غير موعد . ومن كان هذا حاله فإنه لن يستبعد نفسه أن يكون واحداً من هؤلاء الذين يذهبون ولايرجعون .

٢ - بينَّ لهم ﷺ في خطبته أن الإنسان إذا مات وأصبح تحت الثرى جثة هامدة لم ينفعه ماله ولا ولده ولا قريبه أو صديقه، وأن ماجمعه من مال يترك لغيره يتمتع به ويذهب وحده كما قال تعالى :﴿ ولقدْ جئْتُمُونا فُرادىٰ كما خلقْناكُمْ أوَّل مرَّةٍ وتركْتُم مَّا خوَّلْناكُمْ وراء ظُهُورِكُمْ ﴾ (١) .

٣ - لفت أنظار أصحابه إلى الإنشغال بعيوبهم ،لأن إنشغال الإنسان بعيوب الآخرين يعميه ويصمه عن عيوب نفسه، فيرى هفوات الآخرين كبائر، ويرى كبائره هفوات .

٤ - حث أصحابه إلى فضل إنفاق المال الطيب ، لأن إنفاق المال

---

(١) سورة الأنعام آية رقم : ٩٤ .

يبعد الإنسان عن البخل والشح والطمع ، ويذكر المسلم ، بضرورة شكر الله تعالى وحمده على نعمة الاكتساب والعمل ، ويذكره بأنه عضو فى مجتمع ينبغى أن يكون متعاونا متساندا متآزرا .

٥ ـ كما لفت انظارهم إلى فضل العلم والفقه ، وفضل أهله ، فالعلماء هم ورثة الأنبياء يقوموا بمهمتهم فى إصلاح الخلق ، ويؤدوا عنهم رسالتهم فى إبلاغ الامم .

٥ - خطبة الوداع:

فى حجة الوداع خطب رسول الله ﷺ خطبة جامعة قال فيها: «إن الحمد لله نحمده ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلاها هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعة الله، واستفتح بالذى هو خير، أما بعد، أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا، فى موقفى هذا. أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا، ألا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعه، وأول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة الحارث بن عبد المطلب. وأن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية. والعمد قود، وشبه العمد ماقتل بالعصا والحجر. وفيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك، مما تحقرون من أعمالكم. أيها الناس: إنما النسئ (١) . زيادة فى الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً

---

(١) النسئ: كان العرب إذا دخل الشهر الحرام الذى لايجوز فيه القتال، وهم فى حرب لايقطعون حربهم، بل يحلون الشهر ويستمرون فى حربهم ثم يحرمون شهراً آخر بعده. وقد ترتب عليه اضطراب الشهور ووقوعها فى غير موقعها.

ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا (١) عدة ماحرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات، وواحد فرد، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً، وإن لكم عليهن حقاً عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم ولايدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن (٢) .

وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غيرمبرح فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانى لايمكن لانفسهن شيئاً أخذ تموهن بأمانه الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء، واستوصوا بهن خيراً، أيها الناس انما المؤمنون اخوة ولا يحل لإمرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل بلغت اللهم اشهد ، فلا ترجعن بعدى كفاراً ، يضرب بعضكم اعناق بعض، فإنى قد تركت فيكم مالو أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد .

أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربى على أعجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولايجوز وصية فى أكثر من

---

(١) ليواطؤا : ليوافقوا .

(٢) العضل : هو المنع الشديد .

الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، من ادعى إلى غير أبيه ، أو تولّى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . » (١) .

هذه الخطبة من الخطب الجامعة لأنها حوت تعاليم كثيرة ، وهى آخر خطبة جامعة له ﷺ، وهى صارمة تبدو صرامتها فى أنه طبقها على ذويه قبل أن يطبقها على الآخرين ، فبدأ بوضع ربا العباس عمه ، وقد ضاع على العباس مال كثير ، ولكن حَسْبه أن كان له رأس مال ، كما وضع دم ابن عمه عامر بن ربيعة بن الحارث ، وبين أن فى القتل العمد القصاص فالنفس بالنفس ، والقتل الخطأ فيه الدية ، وأنه ضمن لأمته أن الشيطان لن يعبد فى أرض الدعوه إلى يوم القيامة .

---

(١) راجع : البيان والتبيين جـ١ ص ١٥ ، وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٩٠ ، وتاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٦٨ .

تأملات في هذه الخطبة

١ - المتأمل في هذه الخطبة يجد أن النبي ﷺ بين طبيعة دعوته ، فقد بين طبيعة مصدرها، وطبيعة موضوعها ، وطبيعة أهدافها ومقاصدها .

٢ - ركـــز ﷺ في هذه الخطبة على كثير من القضايا الكلية وخاصة مقاصد الدين، أو ما يعبر عنه بالضروريات الخمس ، وهي :الدين ، النفس ، والنسل ، والمال ، والعقل

٣ - أنه ﷺ راعى غرائز النفس الإنسانية حتى لا تنحرف عن التعادلية أو الإتدان ، وكان حرصه على ضبط غرائز النفس الإنسانية قاعدة من قواعد منهجه في الدعوة إلى الله تعالى في كثير من خطبه الشريفه ، والمتأمل في هذه الخطبه الشريفه يجد من أوجه الاستدلال التي تؤصل لهذه القاعدة المنهجه عدة أمور : منها مايلي :ـ

أ - اعلاء سلطان التقوى فوق سلطان الغرائز والشهوات .

ب - اعلاء قيمة العمل الصالح على العمل النزوعي الذي ينزع إلى الشر .

جـ - احترام المال الحلال وإهدار قيمة المال الحرام .

د - ضبط غريزة الأنتقام في نفس الانسان بالقصاص، أي المثلية ، وليس بالمجاوزة في الحد .

هـ - ضرورة التخلص من النزعات القَبَلية التي تؤصل لغريزة الشر في نفس الانسان ، وتمرق به من ضوابط الدين وقيوده .

و - تحريم التحايل لإرواء الغرائز واثراء روافدها وتقوية تأثيرها على النفس الانسانية

ز - تأصيل الخير في نفس الانسان وصيانته ، وحمايته من ثورة الغرائز

ح ـ ضرورة احداث تغيير عام فى تركيبة النفس الانسانية التى ارتضت الاسلام ديناً، تغييراً يتمحض للهدم والبناء :هدم ماهو سئ وفاسد، وبناء ماهو صالح وطيب » (١) .

ط ـ التحذير من عادات الجاهلية كافة فكما أبعدهم عن ربى الجاهلية والدم ، نراه هنا يحذرهم من التشبه بالجاهليين الذين كانوا إذا جاء شهر حرام ، وهم محاربون، أحلوه ، وحرموا مكانه شهراً آخر ، فيحلون المحرم ، ويحرمون صفراً ، فإن احتاجوا أحلوه وحرموا ربيعاً الأول. وهكذا حتى استدار التحريم على أشهر السنة كلها .

ى ـ بين ﷺ فضل النساء ومالهن من حقوق ، وهو فى ذلك أيضاً يخالف ماكان عليه الجاهليون من تحقير لهن وإستبداد بهن، دون أن يكون لهن حرمة. حيث أن بعض العرب كانوا يئدونهن خوفاً من عارهن ، ولهذا استدل حديثه عنهن بقوله : « إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق .

---

(١) انظر : خصائص خطب النبى للدكتور احمد اسماعيل ص ٢٧٧ .

الخصائص النفسية لخطب النبي ﷺ :

لخطب النبي ﷺ خصائص نفسية، عالية أثرت في عقلية المسلمين ونفوسهم، وكان ذلك بفضل القرآن الكريم ، وبفضل ما آتاه الله من جوامع الكلم ، وبهذا كانت خطبه ﷺ، تختلف في أسلوبها عن الخطابة الجاهلية في كل شئ بشدة لحمتها وتيسرها للجدل والبراهين والتعليم ولهذا تميزت بهذه الخصائص :

١ ـ سمو النزعة الجمالية : تتصف خطب النبي ﷺ في بعض مطالعها بمسحة جمالية متفوقة مثل قوله : « لا إله إلا الله وحده ، لاشريك له، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

٢ ـ تجدد الموضوعات والمعاني :الناظر في خطبه ﷺ يجد أن كل مقطع أو جملة من خطبه تقتضي بحثاً لاكفاية فيه عن النفس والروح والانسان والحياة، وما وراءها، وكأن كل مقطع له عطاء خاص، وكأن الخطبة كلها مقطع واحد .

٣ ـ اللغة التشريعية : في خطب النبي ﷺ لغة تشريعية ، كان يؤكد عليها بتكرير اللفظ الواحد في سبيل الإيضاح والتأكيد، كما في خطبة الوداع ، وبذلك يدنو الأسلوب الخطابي من الاسلوب العلمي .

٤ ـ استنانه لسنة المقدمات والنهايات الخطابية:استن النبي ﷺ في خطبة سنة المقدمات التي تستهل بالحمد لله والاستغفار والشكر . وقد لحققت هذه المقدمات الخطب الاسلامية، ولزمتها حتى أصبحت تلك المقدمات سنة عمل بها الخلفاء والقادة والأمراء، وولاة أمر المسلمين ومن تبعهم. وكذلك كان النبي ﷺ ينهي كلامه بعبارات تدل على ذلك، مثل السلام عليكم ورحمة الله، أو الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٥ ـ التقريع واللوم   كان النبى ﷺ يغضب حين يرى حدود الله تنتهك .
فيتجه إلى الذين يعصون أمر ربهم ، وإلى الذين يقولون مالا يعلمون فيلوم
ويؤنب ويخوف من عاقبة الظلم وسوء المصير .

٦ ـ هديه فى خطبه:خطب ﷺ على المنبر وعلى الأرض وعلى البعير وعلى
الناقة ، وكان إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر
جيش يقول :صبحكم ومساكم ، ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين
أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول :أمابعد فإن خير الحديث كتاب الله
تعالى، وخيرالهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة
ضلالة. وكان اذا صعد على المنبر أقبل بوجهه على الناس ثم قال :السلام
عليكم ورحمه الله .

الخطابة في زمن الخلفاء الراشدين :

توفى رسول الله ﷺ وترك للمسلمين ما إن تمسكوا به لايضرهم شئ؛ كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه، وسنته ﷺ، وأصبح أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين لينهض بالصحابة من كبوة أصابتهم إثر وفاة النبى ﷺ ويقودهم إلى حماية البيضة. فيضرب المرتدين ، وإخوانهم الذين نافقوا فى الدين ، ويتم فتح بلاد المسلمين بإنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه .

نموذج : بعد أن تمت البيعة لأبى بكر رضي الله عنه خطب الناس الخطبة التى عرفت بخطبة البيعة وفيها: حمد الله وأثنى عليه بماهو أهله ، وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال : « أما بعد أيها الناس فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى وإن أسئت فقومونى، الصدق أمانة ، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولاتشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعونى ماأطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله » (١) .

فى هذه الخطبة السياسية يبدأ أبو بكر رضى الله تعالى عنه بحمد الله والثناء عليه ، ويثنى بالصلاة على النبى ﷺ .

ثم يبين للناس أنه تولى الخلافة وليس بأجدرهم بها ، بل هو من عامتهم . يطلب عونه إن أحسن وتقويمه إن أساء ، ثم يبين أن صدق الراعى والرعية

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٦٦٠ .

٢٠٤

أمانة فى أعناق الجميع ، وأن الكذب خيانة ، وأنه ملزم بإعادة حق الضعيف المظلوم من القوى الظالم الذى ظلمه واعتدى عليه ، ونهى عن ترك الجهاد ، وبين أن من تركه سيضرب بالإهانة والذل ، وبين أخيراً خطر الفاحشة ، وخطر اشاعتها فى الناس ، وأنها تسبب البلاء ، بكل أشكاله ومظاهره .

والناظر فى هذه الخطبة من ناحية الأسلوب يجد فيها الايجاز على حين أنها تضمنت الكثير من المعانى ، وتضمنت المنهج القويم فى السيارة الحكيمة ، وفيها بعض المحسنات اللفظيه كالمقابلة بين الصدق والأمانه ، والكذب والخيانة ، والطباق بين القصى والضعيف . عصيت وأطعت ، وسجع فى أمانة وخيانه . والألفاظ واضحة ليس فيها غريب ولامستهجن .

الخصائص العامة لخطب أبو بكر:

١ ـ الحمد والشكر: يستهل أبو بكر ﷺ خطبه بالحمد والشكر وهو بهذا يهتدى بهدى النبى ﷺ، مثال ذلك قوله فى احدى خطبه « الحمد لله أحمده واستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه واستهدى الله والهدى ، وأعوذ به من الضلاله والردى ، من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حيّ لايموت ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شئ قدير » (١) .

٢ ـ الاكثار من صيغتى الأمر والنهى كتعبير عن الإمامة والإرادة النافذه مثل قوله : « الزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الجماعة ، وعدّوا أنفسكم من الموت، وما أشكل عليكم فردّوا علمه إلى الله ، وقدموا لأنفسكم خيراً » (٢) .

---

(١) انظر : العقد الفريد جـ ٢ ص ١٣١ .

(٢) انظر : عيون الأخبار جـ ٢ ص ٢٣٣

٣ ـ التدرج المنطقى : من خصائص خطب الصديق ﷺ التدرج المنطقى حيث كان يخلص من فكرة إلى أخرى ، كما تتولد النتيجة من السبب ، مثال ذلك قوله : « من يكذب يفجر ، ومن يفجر يَهْلِك » وقوله « ألا إن لكل كلام جوامع فمن يَلْقَها فهى حسبه . ألا إنه لادين لأحد لا إيمان له ولا أجر لمن لاحسبة له ولا عمل لمن لانية له » (١) .

٤ ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية: مثل استشهاده بقوله تعالى :﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾، فأطيعوا الله ورسوله فإن قال عز وجل : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾ (٢) .

٥ ـ انهاء الخطبة بذكر النبى ﷺ والترحم عليه :فكما كان النبى ﷺ ينهى خطبه بالسلام والترحم فإن أبا بكر كان ينهى خطبه بالترحم على النبى بمثل : « اللهم صلى على محمد عبدك ورسولك أفضل ماصليت على أحد من خلقك وزكنا بالصلاة عليه ، وألحقنا به ، واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضهُ » (٣) .

وجملة القول فى خطب أبى بكر أنه استكمل فيها قواعد الإسلام ، وأفصح عن تعاليمه وحث على اتباعها ، لايهادن فى الحق ولايلين لمأرب مقتفياً على نهج فكرى قلّما تترای فیه الانفعالات والأدوات البلاغية المتعددة الإيقاع .

---

(١) الطبرى جـ ٤ ص ٣٠ .
(٢) انظر : العقد الفريد . المقدمه ص ١٢١ ، وانظر
(٣) فن الخطابة لإيليا حاوى ص ٩٧ ، ٩٨ .

ثبت المراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانياً : بقية المراجع .

١) إخراج الأمة المسلمة و عوامل صحتها و مرضها : د / ماجد غثان الكيلاني – كتاب الأمة رقم ٣٠ ط١ – قطر ١٤١٢ هـ .

٢) أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري – ط . الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣ م .

٣) الإسلام و المسيحية و صراع القوي بينهما في العصور الوسطي : د / جوزيف نسيم يوسف – دار الفكر الجامعي – ط ١ ١٩٨٦ م .

٤) أساليب الغزو الفكري : د / علي جريشة – دار الاعتصام – ط ٣ ١٩٩٧ م .

٥) أسس و موضوعات علم الاجتماع : د / محمد أحمد بيومي .

٦) الاستشراق السياسي : مصطفي نصر المسلاتي .

٧) البيان و التبين : أبو عثمان عمر بن محمد الجاحظ – تحقيق / عبد السلام محمد هارون – ط ٤ ١٩٧٥م – مكتبة الخانجي – مصر .

٨) تاريخ الرسل و الملوك للإمام / الطبري – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ط ٤ – بدون تاريخ .

٩) الترغيب و الترهيب من الحديث الشريف : للإمام / ذكي الدين عبد العظيم المنذري – طبعة وزارة الأوقاف المصرية .

١٠) تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام : د / إبراهيم الكيلاني – مكتبة الأقصى – الأردن – ط ١ ١٩٨١ م .

١١) تلخيص الخطابة : للإمام / ابن راشد – تحقيق / عبد الرحمن بدوي .

١٢) تفسير الطبري " جامع البيان عن تأويل أي القرآن – دار الفكر العربي – بيروت ١٤٠٥ هـ .

١٣) تفسير أبي السعود المسمي أرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لقاضي القضاة الإمام / أبي السعود محمد بن محمد الصمادي – طبعة دار الصحف – القاهرة .

١٤) تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن – طبعة مكتبة الغزالي – دمشق – مؤسسة مناهج العرفان .

١٥) ثقافتنا بين الانفتاح و الانغلاق : د / القرضاوي – دار الشروق – الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ .

١٦) ثقافة الداعية : د / القرضاوي – مكتبة وهبة .

١٧) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة : د / أحمد ذكي صفوت – طبعة المكتبة العلمية – بيروت – لبنان ١٩٣٣ م .

١٨) حقيقة العلمانية بين الخرافة و التخريف : د / يحيي هاشم فرغل – طبعة دار الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر – دار الصابوني ١٩٨٩ م .

١٩) خصائص خطب النبي – صلى الله عليه و سلم - : د / أحمد إسماعيل .

٢٠) الخصائص العامة للإسلام : د / يوسف القرضاوي – ط ٣ ١٩٨٥م – مؤسسة الرسالة .

٢١) الخطابة : أرسطو – ط دار القلم – الترجمة العربية تحقيق عبد الرحمن بدر .

٢٢) الخطابة : ابن سينا .

٢٣) الخطابة و إعداد الخطيب : د / عبد الجليل شلبي . الطبعة الثانية ١٩٨٢ م .

٢٤) الخطابة أصولها و تاريخها في أزهى عصورها عند العرب : للإمام / محمد أبو زهرة – طبعة دار الفكر العربي .

٢٥) الخطاب الديني و كيف يكون : د / محمد سيد طنطاوي – هيئة مجلة الأزهر .

٢٦) خطبة الجمعة أهميتها و تأثيرها : محمد عبد اللطيف الرفاعي – طبعة طرابلس – لبنان – ط ١١ ١٩٩٥ م .

٢٧) خطبة الجمعة و الاتصال بالجماهير : د / محيي الدين عبد الحليم .

٢٨) دائرة المعارف القرن العشرين جـ ٢ : محمد فريد وجدي – طبعة دار المعارف – بيروت ١٩٧١م .

٢٩) الدعوة الإسلامية و الإعلام الديني : د / عبد الله شحاته – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب جـ ٢ ١٩٨٦ م .

٣٠) دراسات في المنطق : د / عبد الفتاح أحمد الفاو .

٣١) رياض الصالحين : للإمام / النووي .

٣٢) السيرة النبويه لابن هاشم : أبو محمد عبد الملك بن هاشم - تحقيق / مصطفي السقا و زملانه – ط ٢ .

٣٣) صبحي الأعشى – ط ٢ – أحمد بن على بن احمد عبد الله – النسخة المصورة عن الطبعة الأميرية – المؤسسة المصرية العامة للتأليف .

٣٤) صحيح مسلم بشرح الإمام / النووي – مكتبة الغزالي – مؤسسة مناهج العرفان .

٣٥) ضوابط العمل الدعوى في مجالات الموعظة المسجلة : د / حسين مجدي خطاب – مكتبة الأزهر الحديثة بطنطا ١٩٩٥ م

٣٦) العقد الفريد : لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي – طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة – النخائر .

٣٧) علم الاجتماع . النظرية . الموضوع و المنهج : د / محمد الجوهري – طبعة ١٩٩٧م – طبعة دار المعرفة الجامعية .

٣٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – مكتبة الغزالي – مؤسسة مناهج العرفان .

٣٩) فن الخطابة : د / أحمد محمد الحوفي – طبعة نهضة مصر ١٩٩٦ م .

٤٠) فن الخطابة لإيليا حاوي . طبعة دار الثقافة – بيروت – لبنان .

٤١) فن الخطابة و إعداد الخطيب : الشيخ / على محفوظ .

٤٢) في ظلال القرآن – السيد قطب – دار الشروق – ط ١٣ ١٩٨٧م .

٤٣) في فقه الاولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن و السنة – د / يوسف القرضاوي – ط ١ ١٩٩٩م – المكتب الإسلامي – بيروت .
٤٤) القاموس المحيط .
٤٥) قواعد الخطابة وفقه الجمعة و العيدين : د / أحمد غلوش – ١٩٧٩ م – بدون تحديد دار نشر .
٤٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير : أبي الحسن على بن محمد – دار الكتاب العربي – ط ٤ ١٤٠٣هـ .
٤٧) كيف نتعامل مع القرآن العظيم : د / يوسف القرضاوي – طبعة جامعة قطر – مركز بحوث السنة و السيرة .
٤٨) المثل السائر لابن الأثير .
٤٩) مجموعة الفتاوي لابن تيمية : ط ١٣٩٨ هـ - مطابع دار العربية – بيروت .
٥٠) مراجعات في الفكر و الدعوة و الحركة : عمر عبيد حسنة – طبعة المكتب الإسلامي – ط ٣ ١٩٩٨ م .
٥١) المعارف العقلية للإمام الغزالي : تحقيق د / عبد الكريم عثمان .
٥٢) المعجم الوجيز : إعداد مجمع اللغة العربية المصري – المركز العربي للثقافة و العلوم و الطباعة – بيروت .
٥٣) مع الله : الشيخ محمد الغزالي – مطبعة السعادة – مصر ١٩٥٩م .
٥٤) من فقه التغيير : عمر عبيد حسنة : طبعة المكتب الإسلامي – ط١ ١٩٩٥ م .

٥٥) مقومات الإنسانية : د / أحمد مهنا – طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٩٧١ م .
٥٦) المنجد في اللغة .
٥٧) الوراثة الحضارية : عمر عبيد حسنة – طبعة المكتب الإسلامي – ط١ ٢٠٠٣ م .
٥٨) هموم الأمة الإسلامية : د / محمود حمدي زقزوق – مكتبة الأسرة – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١ م .

فهرس